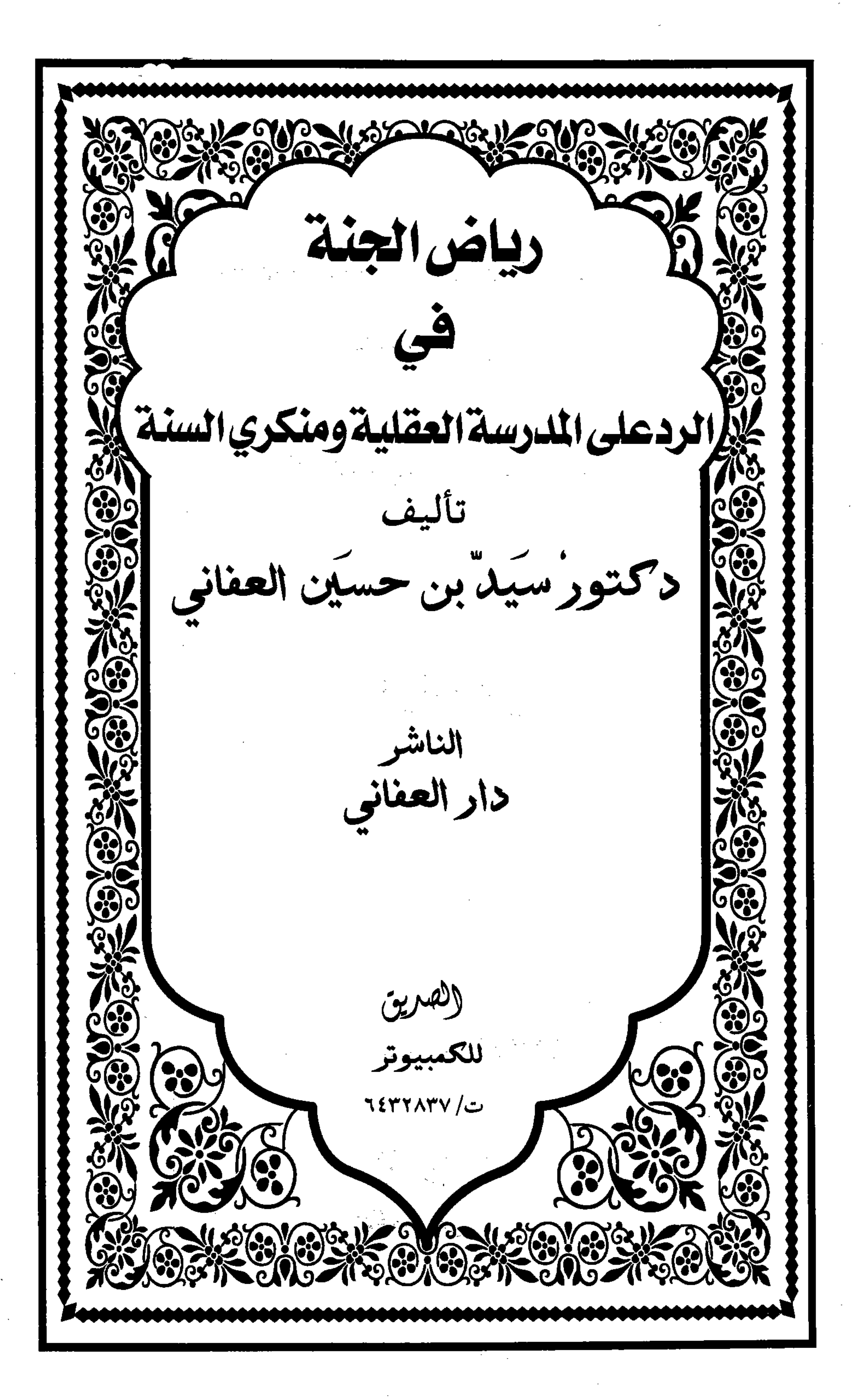


رياض الجنة

في

الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة

تأليف

دكتور سيد بن حسين العفاني

الناشر

دار العفاني

الصديق

للكمبيوتر

ت/ ٦٤٣٢٨٣٧

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٨٥٠٤ - ٢٠٠٥

دار العفاني

٣درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

ت/٠١٢/٥١٠٨٢٥٧ ـــ ت/٠١٢/٥٧٧٥٧١١

فرع بني سويف - برج الري - حي الرمد - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف

ت/٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤

الشركة الفنية للطباعة ت : 7771039

الصديق

للكمبيوتر

ت/ ٦٤٣٢٨٣٧

رياض الجنة

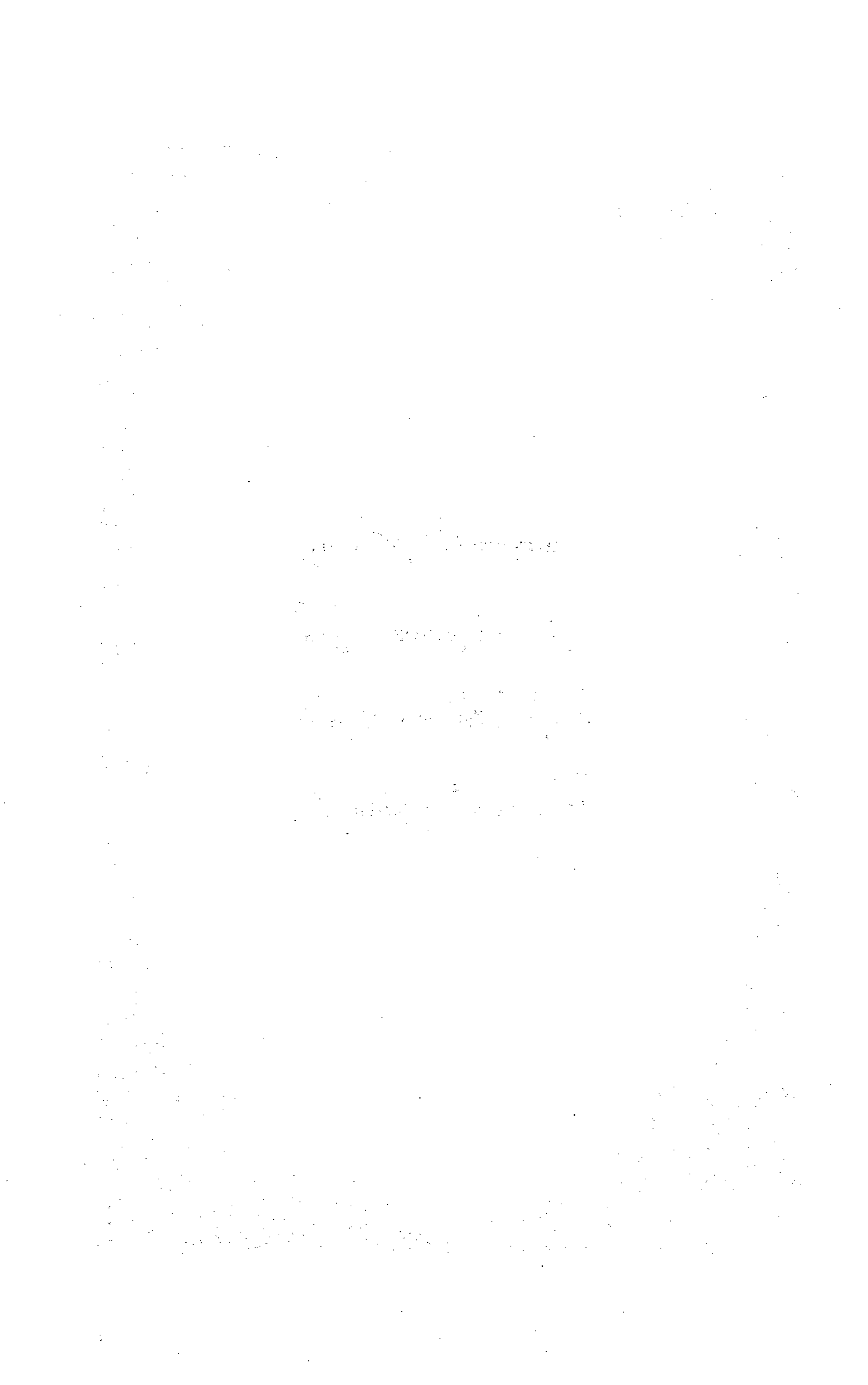
في

الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة


بسم الله الرحمن الرحيم



رياض الجنة
في الرد على
المدرسة العقلية
ومنكري السنة



منكرو السنة كُليًّا أو جزئيًّا

العقلانيون أفراخ المعتزلة ـ القرآنيون

أقلام وعقول تستجدي سقط متاع التاريخ وزبالة أحداثه، قطوف عَفِنة من حدائق الخوارج الدموية.. أو حنظل المعتزلة وثمارها النَّكِدة.. وفروع جافة من أشجار مدرسة القرآنيين التي لا ظلّ لها وغوص في مستنقع الضلال، يعلن الحرب على عائشة أم المؤمنين تارة، وعلى أبي هريرة والرسول ﷺ تارة أخرى، ثم بلا لفٍّ أو دوران وجَّهوا سهامهم نحو الإمام البخاري، لا تصفية حسابات مع عائشة أو أبي هريرة أو البخاري إنما الحقيقة التي طالما ترددوا كثيراً في إعلانها هي إنكار سنة النبي محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم إجمالاً..

وفي سنوات ضعف فيها ساعد الحق تم توزيع الأدوار، وانتشرت الأفاعي والخفافيش هنا وهناك، تعلن في صوت واحد لا للسنة النبوية المشرفة»[٢] .

❑ وتاريخ إنكار السنة تاريخ أسود.

فللحديث رجال يُعرفون به   وللتساويد نُسّاخ وكُتّابُ

يبدأ هذا التاريخ من الخوارج الذين أنكروا كل سنة يظنون أنها تخالف

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٢٧٥). ويراجع كتاب «إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء» لخالد بن ضحوي الظفيري فهو نافع في بابه، وأبى اللَّه العصمة إلا لكتابه.

(٢) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه ص(٣) ـ بيت الحكمة.

القرآن كالرجم ونصاب السرقة..

والشيعة الذين جرّحوا العدول بل وكفّروا جمهور الصحابة حملة الحديث إلى من بعدهم.

□ والمعتزلة الذين قدّموا العقل على النقل، وأتوا بمنطق اليونان وحكّموه في الأمة وافترى النظام منهم وأنكر حجية الحديث المتواتر ولم يحتج به وقال: إن القرآن غير معجز في نظمه، وزعم هذا الزنديق أن أبا هريرة كان أكذب الناس، وينكر حديث انشقاق القمر وهو متواتر ويكذِّب ابن مسعود، ويقول هذا الزنديق عن سمرة بن جندب الصحابي الجليل: ما نصنع بسمرة ابن جندب؟ قبّح اللَّه سمرة.

□ وقال عمرو بن عُبيد شيخ المعتزلة: لما ذكر حديث النبي ﷺ الذي رواه الأعمش قال: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذّبته، ولو سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت اللَّه يقول هذا لقلتُ: ليس على هذا ميثاقنا».

ويرى الدكتور محمد عمارة تلميذ الغزالي والممثل لمدرسته من بعده أن «التوحيد بمعناه النقيّ المبرأ من الشبهات هو الذي دعا المعتزلة لنفي القدم عن القرآن لأنهم ينفون الصفات عن الذات العلية حتى لا يكون هناك إقرار بقدم هذه الصفات فيكون مع القديم قديم آخر»(١).

بل ويكتب فصلاً كاملاً عن بدعتهم «المنزلة بين المنزلتين» في آخر كتابه «الإسلام والمستقبل» ص(٢٥٦) لينصر هذه البدعة.

□ وهو يثني على رجال المعتزلة القدرية قبلهم ثناءً حارًا وعلى مواقفهم ويعتبرهم من أفذاذ رجال الإسلام وأصحاب الفكر المستنير في تراثنا.

---

(١) «نظرة جديدة إلى تراث» للدكتور محمد عمارة ص(٩١).

فيقول عـن غيلان الدمشقي المبتدع: «كانت حياة غيلان نموذجًا فريدًا يُجسِّد المـوقف الثوري من سلبيـات مجتمعـه كذلك كان مماته نموذجًـا فريدًا يجسِّد سلبيات هذا المجتمع ويدين هذه السلبيات»[١] .

□ يقول محمد عـمارة عن مدرسة الأفغاني «هي بحق مـدرسة الجامعة الإسلامية كان رُوَّادها الشيخ الغزالي ومن قـبله الإمام محمد عبده والكواكبي والمراغي»[٢] .

□ ولقد ردّ العقـلانيون بعض الأحاديث الصـحيحة التي سلطوا عـليها عقولهم باعتبار أنها أحاديث آحاد منها:

١ ـ حديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وهو حديث متواتر تواترًا معنويًّا ردوه وطعنوا فيه[٣] .

٢ ـ أحاديث الدجال[٤] والجساسة وقد أخرجه مسلم.

---

(١) «مسلمون ثوار» لمحمد عمارة ص(١٤٩).

(٢) «هامش (١) ص(١٣٩) من كتاب «محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة» لسليمان ابن صالح الخراشي دار الجواب.

(٣) انظر قـول الشيخ محـمد عبده في «المـنار» (١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦)، والشيخ المراغي مـجلة الرسالة العدد ٥١٩ ص(٤٦٦)، والشـيخ رشيد رضا ـ «المنار» (٨/ ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧)، والشيخ شلـتوت ـ مجلة الرسالـة العدد ٥١٤ ص(٣٦٥)، ومجلة الرسـالة ـ العدد ٥١٨ ص(٤٤٥)، و«أضواء على السنة النبوية» لعـدو السنة أبي رية ص(١٤١)، و«السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» لمحمد الغزالي ـ طبعة دار الشروق.

(٤) وأحاديث الدجال في صحيح البخاري ومسلم.

قال القاضي عياض فـيما نقله عنه النووي: «هذه الأحاديث التي ذكـرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صـحة وجوده.. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والـفقهاء والنـظار خلافًا لمن أنـكره وأبطل أمره من الخـوارج والجهميـة وبعض المعتزلة» «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ٥٨).

انظر الطعن في الدجال والجساسة في مجلة المنار (١٠/ ٢٤٦)، (١٩/ ٩٩) و«أضواء على السنة المحمدية» ص(١٤٠ ـ ١٤١)، و«موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبـوي» =

٣ ـ حديث موسى عليه السلام وملك الموت[١] .

٤ ـ حديث عدم مس الشيطان لعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام[٢] .

٥ ـ حديث سحر النبي ﷺ[٣] .

= لمحمد إسماعيل السلفي ص(٣٩)، و«السنة النبوية» ص(١٢٢ ـ ١٢٥).

(١) انظر «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٩٨)، «السنة النبوية» للغزالي ص(٢٦ ـ ٢٩) والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ٢٣ باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة (٢/ ٩٢ ـ ٩٣)، وكتاب الأنبياء باب وفاة موسى (٤/ ١٣٠ ـ ١٣١).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى (٤/ ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣) والنسائي في «سننه» ـ كتاب الجنائز ـ باب نوع آخر من التعزية (٤/ ٩٦)، وأخرجه أحمد في «مسنده» نحوه (٢/ ٣١٥، ٥٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٢٣)، ولقد زعم عدو السنة أبو رية أن رائحة الإسرائيلية تفوح منه ـ «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٩٨)، فوسمه الشيخ المعلمي على خرطومه في كتابه القيم «الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة» ص(١٩٤) ـ المطبعة السلفية «ولو جاز الحكم بالرائحة لما ساغ أدنى تشكك في حكم البخاري؛ لأنه أعرف الناس برائحة الحديث النبوي، وبالنسبة إليه يكون أبو رية أخشم فاقد الشمّ أو فاسده». أما الشيخ الغزالي فقد قال: «والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة. ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافًا عقائديًا، والعلة في المتن يبصرها المحققون، وتخفى على أصحاب الفكر السطحي ـ انظر «السنة النبوية» ص(٢٩) فهل أصحاب الفكر السطحي هم أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم والنسائي وابن قتيبة وابن خزيمة والمازري والقاضي عياض والنووي وأئمة الإسلام.. إنها إساءة بالغة توجه لعلماء الإسلام وأئمته وهذا جور وظلم وتجني عليهم.

(٢) والحديث رواه البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ باب قول اللّٰه تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ (٤/ ١٣٨)، ومسلم حديث رقم (٢٣٦٦). وانظر الطعن في الحديث في «تفسير المنار» (٣/ ٢٩٢)، ومجلة المنار (١٠/ ١٦٦)، (١٩/ ٥٣٦، ٥٣٧)، و«أضواء على السنة المحمدية» ص(١٤٤، ١٤٧، ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٧ ـ ٩٨).

(٣) رواه البخاري ـ كتاب الطب ـ باب السحر (٧/ ٣٠)، وكتاب الأدب باب قول اللّٰه تعالى: ﴿إن اللّٰه يأمر بالعدل والإحسان﴾ (٧/ ٨٨)، وكتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطب: باب هل يستخرج السحر (٧/ ٢٩ ـ ٣٠) وكتاب الدعوات باب =

٦ ـ حديث شق صدر النبي ﷺ وإخراج حظ الشيطان منه[١] .

٧ ـ حديث إسلام شيطان النبي ﷺ[٢] .

٨ ـ حديث المعراج[٣] .

٩ ـ حديث وقوع الذباب في الإناء[٤] .

= تكرير الدعاء. و«مسلم» ـ كتاب السلام باب السحر حديث رقم (٢١٨٩ ـ (٤/ ١٧١٩ ـ ١٧٢١) وأنكره محمد عبده في «تفسير جزء عم» ص(١٨١ ـ ١٨٣)، ومجلة المنار (١٢/ ٦٩٧)، (٢٩/ ١٠٤)، و«أضواء على السنة المحمدية» ص(٢٥٩)، وسيد قطب.

(١) والحديث أخرجه البخاري (١/ ٩١ ـ ٩٣)، (٢/ ١٦٧)، (٤/ ٧٧ ـ ٧٨)، (٤/ ١٠٦ ـ ١٠٨)، (٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠)، (٨/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥)، و«مسلم» (١/ ١٤٧ ـ ١٥١).
وانظر الطعن في الحديث في «تفسير المنار» (٣/ ٢٩٢)، مجلة المنار (١٠/ ١٦٦)، (١٩/ ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٦)، «وأضواء على السنة» ص(١٤٥ ـ ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٨).

(٢) رواه مسلم (١٤/ ٢٨) ـ (٤/ ٢١٦٧ ـ ٢١٦٨).
انظر الطعن فيه في «تفسير المنار» (٣/ ٢٩٢)، مجلة المنار (١٠/ ١٦٦)، و«أضواء على السنة» (١٤٧ ـ ١٤٨)، و«السنة النبوية» ص(٩٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم.
وطعن فيه أبو رية في «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٢٣ ـ ١٢٤).

(٤) رواه البخاري (٧/ ٣٣)، والدارمي نحوه (٢/ ٩٨ ـ ٩٩)، ونحواً منه البيهقي في سننه. وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٥٥ ـ ٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٦، ٤٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٢٤٦)، والبغوي في «شرح السنة» والطبراني في «الأوسط»، وابن الجارود في «المنتقى».
انظر مجلة المنار (١٩/ ٩٧ ـ ٩٩)، (٢٩/ ٤٨ ـ ٥١)، و«أضواء على السنة المحمدية ص(١٩٩ ـ ٢٠١)، و«السنة النبوية» للغزالي.
ولله درّ ليث الحديث أبو الأشبال الشيخ أحمد محمد شاكر إذ يقول في تحقيق «المسند» (١٢/ ١٢٥) ـ «الهامش»: «والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث، لما وقر في قلوبهم من أنه ينافي المكتشفات الحديثة من المكروبات ونحوها، وعصمهم إيمانهم من أن يجرءوا على المقام الأسمى، فاستضعفوا أبا هريرة.
والحق أيضًا أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ولكنهم =

١٠ ـ حديث: إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة[1] .

١١ ـ حديث تحاجت الجنة والنار[2] .

* الشيخ محمد حسين الذهبي والمدرسة العقلية الحديثة:

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ عنها: «إنها أعطت لعقلها حرية واسعة فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلاَّ مجرد الاستبعاد أو الاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة اللَّه وصلاحيتها لكل ممكن.

كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحمّلت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في بعض الحديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم وهما أصحّ الكتب بعد كتاب اللَّه تعالى بإجماع أهل العلم، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد أو من قبيل السمعيات مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يُستهان بها»[3] .

= لا يصرّحون! ثم اختطوا لأنفسهم خط عجيبة: أن يقدموها على كل شيء، وأن يؤولوا القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربي، إذا ما خالف ما يسمونه «الحقائق العلمية» وأن يردوا من السنة الصحيحة ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه! افتراءً على اللَّه، وحبًّا في التجديد».

(١) «رواه البخاري (٧/ ٢١٠)، (٤/ ٧٨ ـ ٧٩)، (٤/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، (٨/ ١٨٨)، ورواه مسلم (٢٦٤٣)، (٤/ ٢٠٣٦).

وانظر الطعن فيه في «السنة النبوية» للغزالي ص(١٤٥ ـ ١٤٦، ١٥٩).

(٢) رواه البخاري (٦/ ٤٨)، (٨/ ١٨٦)، ومسلم (٢٨٤٦، ٢٨٤٧). والطعن فيه في «أضواء على السنة المحمدية» لعدو السنة أبي رية ص(١٩٨).

(٣) «التفسير والمفسرون» محمد حسين الذهبي (٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

□وقال: «وإذا كان الأستاذ الإمام قد أعطى لعقله الحرية الكاملة في تفسيره للقرآن الكريم فإنا نجده يُغرق في هذه الحرية ويتوسّع فيها إلى درجة وصلت به إلى ما يشبه التطرف في أفكاره والغلوّ في آرائه»[١] .

وقال في موضع آخر ما خلاصته «الأستاذ الإمام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة»[٢] .

وقال عن موقفه من حديث: **«كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها»**، وقد رواه الشيخان قال الذهبي عن موقف محمد عبده: «فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ثم يتخلص من إرادة الحقيقة على فرض الصحة بجعل الحديث من باب التمثيل، وهو ركون إلى مذهب المعتزلة الذين يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء فقط»[٣] .

وقال أيضًا: «وهذا المسلك الذي جرى عليه الشيخ رشيد هو مسلك شيخه ومسلك الزمخشري وغيره من المعتزلة الذين اتخذوا التشبيه والتمثيل سبيلاً للفرار من الحقائق التي يصرح بها القرآن ولا تعجز عنها قدرة اللَّه وإن بعدت عن منال البشر»[٤] .

وقال: «ثم إن صاحب المنار لا يرى السحر إلا ضربًا من التمويه والخداع وليس له حقيقة كما يقول أهل السنة وهو يوافق بهذا القول قول

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٣٥).

(٢) «التفسير والمفسرون» لمحمد حسين الذهبي (٣/ ٢٤١).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٢٤١).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٢٤٩).

شيخه وقول المعتزلة من قبله»[١] .

ولم يكن الشيخ الذهبي بالوحيد الذي ربط بين اتجاههم واتجاه المعتزلة بل حتى أنور الجندي الذي أشاد بهذه المدرسة وخدع بها قال: «وإذا كان جمال الدين الأفغاني هو أول من فتح باب المنطق والفلسفة في الفكر العربي الحديث بحسبانه طريقًا إلى الدفاع عن الإسلام في مواجهة الفلسفات الحديثة على نفس المنهج الذي اتخذه المعتزلة فإن محمد عبده هو الذي عمق هذا الاتجاه حتى أطلق عليهما اسم «معتزلة العصر الحديث»[٢] .

أما الدكتور علي محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق فقالا عن المدرسة العقلية: «ونحن ـ على عكس كثير غيرنا ـ نحسن الظن بأصحاب هذه المدارس ولا نقبل أن نسميهم عملاء، وإن بدا منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمر»، «ولكننا وإن نفينا عنهم «العمالة» فلا نستطيع أن ننفي عنهم «السذاجة» أنهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يضحكوا على الاستعمار ويمكروا به فإذا به أشد مكرًا ظنوا أنهم يستطيعون أن يمتطوه ليسخروه لصالح الإسلام وامتطاهم الاستعمار ليسخرهم لصالح التغريب والتغيير الاجتماعي»[٣].

وقالا: «وبهذه النية التي نحسن الظن بها ألف صاحب مدرسة العقل جمعية التقريب بين الأديان فيها المسلمون والنصارى واليهود.. ولعله لم يدرك أن التقارب بين الإسلام والمسيحية واليهودية لا يمكن أن يكون إلا على حساب الإسلام.. لأنه الوحيد الدين الصحيح وغيره محرف.. ولعله لم يدرك أن المشركين حاولوا مع رسول اللّه ﷺ ذلك التقارب حين قالوا نعبد إلـهك يومًا وتعبد آلهتنا يومًا فأنزلها رب السماء والأرض قاطعة حاسمة ﴿قُلْ

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٢) «اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار» لأنور الجندي ص(١٣٢).

(٣) «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» لعلي جريشة ومحمد الزيبق.

يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ السورة»[١] .

وقالا: ـ «وأما الذي نأخذه علي الرجل العالم:

أولاً: اقتصاره من الإسلام على الإصلاح عن طريق التعليم فالإسلام ليس مجرد ثقافة فقط لكنه منهاج تربية ومنهاج حياة، وليته في هذا الجانب استطاع أن يصلح.

ثانيًا: أن الرجل وهو في موضع القدوة للمسلمين مالأ «الكافرين» الذين غصبوا الديار وما بعد الديار! . . ولا ندري هل كان الإمام يحفظ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾** الآية وهل قرأ غيرها من الآيات في نفس المعنى أم أن له فيه تأويلاً كتأويله في الملائكة أو في سجودهم أو في معصية آدم أو في خلق عيسى عليه السلام أو في الجن أو في السحر أو غير ذلك مما أعمل فيه عقله (الكبير) ليقول «بالرأي في كتاب اللَّه؟!» لقد مضى الرجل إلى ربه فنترك له حساب سره وعلانيته لكننا إزاء الظاهر.

وعمره الذي أفنى في محاولة إصلاح التعليم بلوغًا إلى مقاومة الاستعمار أو إلى النهوض بالإسلام لا نملك إلا أن نتلو قول اللَّه **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾** [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]. ونترك من قبل ذلك ومن بعد ذلك حسابه على اللَّه لكننا نسوق ما نسوق ليعتبر أولو الأبصار. . ويتذكر أولوا الألباب فلا تتكرر الصورة مرة أخرى»[٢] .

---

(١) المرجع السابق ص(٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٢) «أساليب الغزو الفكري» ص(٢٠٤ ـ ٢٠٥).

أما الأستاذ غازي التوبة فعد من أخطاء محمد عبده دعوته للتقريب بين الأديان فقال: «قد أخطأ محمد عبده في دعوته إلى التأليف والتقريب بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاقدة على الإسلام والمسلمين، وما ذلك إلا لأنه لم يلتزم حدّ الإسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطًا»[1] .

واستعرض الأستاذ غازي جملة الأخطاء والانحرافات بعد أن قسمها إلى قسمين:

* نتائج سياسية: وعدّ منها:

١ ـ التعاون مع رياض باشا عميل الإنجليز.

٢ ـ التعاون مع المحتل الإنجليزي.

٣ ـ الاصطدام مع عباس الثاني فقد كانت في مصر آنذاك سلطتان سلطة الاحتلال وسلطة الخديوية إحداهما مغتصبة والأخرى شرعية تمثلت الأولى في الثعلب العجوز اللورد كرومر والثانية في الخديوي عباس الثاني.

٤ ـ تبرير وجود المحتل.

٥ ـ تكوين مدرسة سياسية باسم محمد عبده حيث وجد الاحتلال في محمد عبده وتلاميذه مدرسة سياسية تحقق أغراضه وتنفذ مآربه فرعاها ونماها.

* النتائج الفكرية:

كان الاستعمار يشعر بتحول المجتمع المسلم نحو الحضارة الغربية وأخذه منها في كل مجال وتقليده لها في كل أمر ولكنه كان يؤمن ـ في الوقت نفسه بأن الهوة ستبقى قائمة بين الغرب والمسلمين من جهة ولا يؤمن الانتكاس من

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة ص(٢٣).

جهة ثانية طالما أن الإسلام باق على طبيعته وحقيقته لذلك فقد صبّ جهوداً كبيرة كي يحوّر ويحوّل الإسلام من الداخل ليعطي السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية من ناحية وتناولها دون التحرج من ناحية أخرى، وقد وجد الاستعمار في محمد عبده ضالته التي تحقق له هدفه ذلك في التحويل والتحوير أو قل التي تبدأ له بالخطوة الأولى في ذاك التحويل والتحوير»[1] .

*** قول هام للدكتور محمد محمد حسين عن المدرسة العقلية الحديثة:**

والدكتور محمد محمد حسين غير مكثر في ميدان الكتابة لكنه رصين الأداء مقتدر في استيفاء جوانب موضوعه ينظر إلى الأمور في عمق كما قال الأستاذ أنور الجندي[2] ، وقد كان لدراسته العميقة في دعوة الأفغاني وتلاميذه نتيجة خطيرة توصل إليها حيث يقول: «الذي يبدو لي هو أن دعوة الأفغاني التي ربي محمد عبده في أحضانها كان لها ـ ككل الدعوات السرية ـ ظاهر وباطن فظاهرها يخاطب الجماهير. وهو يصور ما يريد صاحب الدعوة أن يعرفه جمهور المسلمين مما يعجبهم ويقع في قلوبهم موقع الارتياح والقبول، وباطنها يمثل حقيقتها التي يخفيها أصحابها عن الناس، ولا يكشفون الستر عنها قبل أن تحقق أهدافها بالوصول إلى مركز السلطة ومحمد عبده كان تابعاً لسيده الأفغاني أو خادماً له كما تعود هو نفسه أن يكتب إليه في بعض رسائله والأفغاني كان يريد أن يعيد الدور نفسه الذي لعبه الإسماعيلية من أصحاب الدعوات الباطنية التي تتستر وراء التشيع»[3] .

---

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة ص(٤٤ ـ ٦٥).

(٢) «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي ص(٢٦٤).

(٣) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد حسين ص(٨٣).

وإذا اردت أن تعرف أي تخبط وقعت فيه المدرسة العقلية الحديثة فانظر إلى قول الشيخ محمد عبده حيث يقول: «اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً ممن لا يُنظَر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أُخِذ بما دل عليه العقل وبقى في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه.

والثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل»[1].

وإذا أردت أن تعرف الطوام في عقيدتهم فانظر إلى عقيدتهم وتأويلهم الفاسد للملائكة وأصل الإنسان، والجن، وإنكارهم للمعجزات، قولهم في القضاء والقدر، وأمارات الساعة، والدجال والمهدي.

ولعل اللَّه يأذن في كتابة مجلد مستقل عن أخطاء المدرسة العقلية الحديثة وطوامها.

* الدكتور التركي محمد توفيق صدقي دجّال من الدجاجلة:

ينكر الدكتور توفيق صدقي حجية السنة ويعلن عنوان مقاله «الإسلام هو القرآن وحده» وينشر له الأستاذ محمد رشيد هذا المقال في عددين من مجلته المنار السابع والثاني عشر من السنة التاسعة.

ويزعم في مقاله أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين، وكل حكم من أحكامه وأنه بينه وفصله بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر كالسنة وإلا كان الكتاب مفرطًا فيه ولما كان تبيانًا لكل شيء.

ويلحد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فيزعم أنه تكفل بحفظ القرآن وحده دون السنة، ولو كانت دليلاً

(١) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده (٣/ ٢٨٢) جمع وتحقيق د. محمد عمارة.

وحجة كالقرآن لتكفل بحفظها؟!.

* أحمد أمين يدسّ السُّم بالعسل ويخلط الحق بالباطل:

وجاء من بعده أحمد أمين صاحب كتب «فجر الإسلام، وضحاه، وظهره» تحدث في فجر الإسلام عن الحديث النبوي فمزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل كما يقول المرحوم مصطفى السباعي [(١)].

زعم أن هناك أمورًا كثيرة تضعف من حجية السنة منها أن الحديث لم يدون في عهد رسول اللَّه ﷺ وزعم أنه نشأ عن هذا كثرة الوضع والكذب على الرسول ﷺ ساعد على ذلك كثرة دخول الشعوب في الإسلام، وزعم أن علماء الحديث إنما اعتنوا بالسند ولم يعتنوا بنقد المتن عشر عنايتهم بالسند ثم شكك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي حفظه؟!

وأنت قد لا تجد في كلامه نصًّا صريحًا واضحًا في إنكار حجية السنة فهو أدهى من أن يظهر هذا بل يرشد من يريد إنكار حجية السنة إلى السبيل لذلك فيقول للدكتور علي حسن عبدالقادر: «إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبًا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم صراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك وألبسها ثوبًا رقيقًا لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام، وضحى الإسلام» هذا ما قاله الدكتور علي حسن نفسه للمرحوم مصطفى السباعي [(٢)].

* إسماعيل أدهم يفتري على الأئمة:

وقد نشر إسماعيل أدهم رسالة سنة ١٣٥٣هـ زعم فيها أن الأحاديث التي تضمنتها كتب الصحاح ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» لمصطفى السباعي ص(٢٣٦).
(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» لمصطفى السباعي ص(٢٣٨).

فيها ويغلب عليها صفة الوضع، وثارت حول هذه الرسالة ضجة انتهت بمصادرتها ودافع أدهم عن نفسه بأن ما قاله قد وافقه عليه كبار أدباء وعلماء ذكر منهم أحمد أمين، ولم يكذب أحمد أمين ما قال هذا بل كتب ما يفيد تألمه مما حصل لصاحبه واعتبار ذلك محاربة لحرية الرأي، وحجر عثرة في سبيل البحوث العلمية[1] »[2] .

◻ وكتاب الدكتور إسماعيل أدهم هذا هو «مصادر التاريخ الإسلامي».
ولقد كان هذا الرجل عضو في المجمع الشرقي لنشر الإلحاد ثم مات منتحراً. . ومزابل التاريخ تسع الكثير.

كان هذا المفتري على حفّاظ الحديث قد أرسل رسالة إلى مجلة الفتح الإسلامي نُشِرت في العدد ٤٩٤، يؤكد فيها أن ما ذهب إليه من الشك في صحة السنة لم ينفرد به، إنما هو بموافقة جماعة من كبار الأدباء، ذكر من بينهم الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية بعد ذلك، والذي لم يكن قد أفصح عن عدائه للسنة.

*** أحمد أمين وإنكاره للسنة وخيانة الأمة وأسفه على موت المعتزلة:**

في كتبه الثلاث فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام قبح وجرم وخيانة الأمانة العلمية وعدم التزام الدقة البحثية والاعتماد القصدي للنقول المكذوبة والتغاضي عن الصحيحة والموثوقة، الحد الذي وصفه الأستاذ أنور الجندي ببراعة التضليل، وقد حذا حذو المستشرقين وبعض زعماء الخوارج والمبتدعة في إنكارهم للسنة النبوية المطهرة، وينقل كذبًا عن الإمام أحمد أنه لم يصح من أحاديث التفسير شيء، وتشكيكًا في صحابة رسول اللّه

---

(١) المرجع السابق ص(٢٣٧ ـ ٢٣٨).
(٢) «منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٤٦).

ﷺ الذين نقلوا أحاديثه أو رووها أنهم ﷺ كانوا ينتقدون بعضهم بعضًا بعدم الثقة والتكذيب والريبة، ويطعن في أبي هريرة ﷺ ويدلس تدليسًا علميًّا لا يخفى على الحُذّاق.

يقول تابعه على الدرب زكي مبارك: «إن أحمد أمين لا يهمه أن يردّ الحقوق إلى أربابها، إلا في موطن واحد هو اعترافه بأنه استأنس بآراء المستشرقين ليُقال إنه يطَّلع على أقوالهم فخراً.». يقول أحمد أمين: «في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة»[١] .

*** الدكتور محمد حسين هيكل صاحب «حياة محمد» من الطاعنين في السنّة:**

وهو ممن يستخدم سلاح القرآن ليطعن به السنة ويشكك في صحتها، وفي صدق الأحاديث التي انطوت عليها بصورة قطعية.

وهو يشكك في رصد الشبهات التي تشكك في رواة الحديث وفي صدق الأحاديث وفي ضوابط جمعها والقائمين عليها، ثم ما لبث أن أهال التراب على معجزات الرسول ﷺ بحجة أن القرآن لم يشر إليها فيقول:

«لقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة، لو أن أمة مسلمة آمنت اليوم بهذا الدين ولم تحتج إلى التصديق بمعجزة غير القرآن لما طعن ذلك في دينها ولا نقص من إسلامها».

◘ لقد تبع الدكتور هيكل وزير المعارف بغير إحسان المستشرقين فقال منكراً معجزات النبي ﷺ غير القرآن: «إن الشهادة برسالة محمد لا تحتاج

---

(١) «ضحى الإسلام» لأحمد أمين (٣/ ٢٠٧).

إلى معجزة غير القرآن ولا تحتاج إلى أكثر من تلاوة الكتاب الذي أوحاه اللَّه إليه». وقد أنكر هذا الرجل معجزات النبي إلا القرآن وقال: «كتب السيرة تذكر أن طائفة من المسلمين قد ارتدّوا عن إسلامهم حينما ذكر لهم النبي، أنه أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى».

ويقول: «وندع الدين جانبًا (!!) ونقف عند سيرة صاحبه عليه السلام فقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة»[1] .

وفي حديث شق الصدر الذي رواه البخاري ومسلم يقول هيكل: «لا يطمئن المستشرقون ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكْين ويرونها ضعيفة السند»[2] .

والصلة بين هيكل والمدرسة العقلية الحديثة عميقة الصلة.. يكفي أن تعلم أن «الشيخ مصطفى المراغي هو الذي كتب المقدمة لهذا المؤلّف مشيداً بما جاء فيه ومعجبًا به ومؤيداً له. ودافع عن المؤلف والكتاب السيد رشيد رضا في مجلته المنار وجاء في دفاعه «أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدي بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة اللَّه القطعية على ثبوت نبوة محمد ﷺ بالذات.. وإن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل»[3] .

والمؤلف ـ هيكل ـ نفسه كثيراً ما يستشهد فيما يذهب إليه بأقوال محمد

---

(١)«حياة محمد» لمحمد حسين هيكل ص(٣٤).

(٢)«حياة محمد» ص(١١١ ـ ١١٢).

(٣)مجلة المنار مجلد ٣٤ الجزء العاشر ص(٧٩٣) ـ عدد ٣ مايو ١٩٣٥م.

عبده نفسه ويشيد به[١].

❑ ويقول عن الشيخ محمد عبده ودعوته «وكانت دعوته موضع إعجابي[٢]»[٣].

* زكي مبارك:

نشر في مقال له بالعدد الممتاز من مجلة الرسالة «كان محمد إنسانًا بشهادة القرآن» ويعلن انضمامه إلى منكري السنة النبوية فيكمل النص بشيء من التعريض الذي هو سمة من سماتهم جميعًا في قلة الأدب والحياء في خطابهم مع النبي الكريم ﷺ فيقول: **«وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق!!»**.

* عدوّ السنة وعدوّ أبي هريرة محمود أبو رية يتصدى لظلماته العالمان الجليلان: محمد عبدالرزاق حمزة وعبدالرحمن المعلمي اليماني:

لقد كان هذا الهالك سبّاقًا في جرأته على النبي الكريم بما لم يتجرأ به أحد، نشر مقالاته في مجلة الرسالة منذ إبرايل ١٩٥١م، ونُشرت أبحاثه تحت عنوان «في الحديث النبوي» ثم جُمعت في كتاب «أضواء على السنة المحمدية» وردّ عليه الشيخ محمد عبدالرزّاق حمزة في كتاب «ظلمات أبي ريّة أمام أضواء السنّة المحمدية».

ثم ردّ عليه الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني في كتابه «الأنوار

---

(١) انظر الصفحات (٣٤، ٧٠، ١٨١، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٧٣).

(٢) «حياة محمد» ص(٧٠).

(٣) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٧٧ ـ ٧٧٩) للدكتور فهد الرومي ـ مؤسسة الرسالة.

الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة»، ثم سوّد كتابًا آخر فيه من الفحش والفسق والفجور والطعن على أبي هريرة ﵁ ما يعفّ اللسان عن نطقه ويأبى القلم أن يخطّه على الورق، يتهم فيه أبا هريرة بالكذب، هذا الدجال عدو أبي هريرة لما مات اسودّ وجهه وجعل يقول: «ما لي ولأبي هريرة».

هذا الذي ما أقرّ بعدالة الصحابة ولم يُسَلِّم بهذا. وقال طاعنًا في حفّاظ الحديث وحملة سنّة النبي ﷺ ساخرًا منهم:

«ماذا تكون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحدثين، أولئك الذين يتسللون بين أشباههم من العامة ـ ومبلغ علمهم أنهم قرءوا بعض كتب الحديث واستظهروا عددًا مما فيها، يجترّونه ليؤيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروّجوا به ما فشى بين الناس من الترّهات والخرافات، لكي يختلسوا احترام الدهماء وثقتهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم.

على أنهم لو عرفوا قدر أنفسهم، وأن ما يحفظونه مما لا يزيد أكثره عند أحفظهم على عشرات من الأحاديث، وأن كتابًا من كتب الحديث لا يزيد ثمنه عن بضعة قروش يغني عنهم جميعًا! لو أنهم عرفوا ذلك كله واستيقنوه لقبعوا في جحورهم، ولأراحوا الناس من نقيقهم.

ورحم اللَّه أستاذنا الإمام محمد عبده ـ رحمه اللَّه ـ حيث قال في رجل وصفوه بأنه قد جدّ واجتهد حتى بلغ ما لم يبلغه أحد، فحفظ متن البخاري كله ـ «لقد زادت نسخة في البلد». حقًّا واللَّه ما قاله الإمام، أي أن قيمة هذا الرجل ـ الذي أعجب الناس جميعًا به لأنه حفظ البخاري ـ لا تزيد عن قيمة نسخة من كتاب البخاري لا تتحرك ولا تعي»[1].

---

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٢٩).

* ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ :

وصدق أبو حاتم الرازي لما قال: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»(١) .

□ وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم واستخفافهم»(٢) .

□ وقال ابن أبي داود في قصيدته الشهيرة:

ولا تك من قوم تلَهّـوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدحُ

□ ورحم اللّه الفضيل لما قال: «الملائكة حرّاس السماء، وأهل الحديث حراس الأرض».

□ وللّه درّ من قال: «من لم يقرّ بأن أهل الحديث هم أنصار هذا الدين فإنه يُعدّ في ضعفاء المساكين الذين لا يدينون للّه بدين.

□ وقال السفاريني: «ولسنا بصدد ذكر مناقب أهل الحديث فإنّ مناقبهم شهيرة ومآثرهم كثيرة وفضائلهم غزيرة، فمن انتقصهم فهو خسيس ناقص، ومن أبغضهم فهو من حزب إبليس ناكص»(٣) .

□ لقد قال الدجال أبو رية عن أبي هريرة أن كبار الصحابة جرّحوه وشكّوا في روايته لأجل إكثاره من الحديث واتهمه بالكذب عمر وعثمان وعلي(٤) .

---

(١) «السنة» للالكائي (١/ ١٧٩).
(٢) «عقيدة السلف» للصابوني ص(١٠١).
(٣) «لوائح الأنوار» للسفاريني (٢/ ٣٥٥).
(٤) «أضواء على السنة المحمدية» ص(١٥٤ ـ ١٥٥).

❑ وقال إن عمر ضربه بالدرّة وأوعده إن لم يترك الحديث ليلحقنّه بأرض دوس أو بأرض القردة، ولذا لم يحدّث إلا بعد قتل عمر[١].

❑ ويقول عن أبي هريرة أيضًا أنه كان كثير النسيان لضعف ذاكرته، فاختلق قصته ليسوغ بها كثرة أحاديثه، ويثبت صحة ما يرويه في أذهان السامعين[٢]»، وأنه «لم يكن له علم ولا فقه ولا رأي ولا نصيحة، ولذا لم يجعله عمر في أهل شورته»[٣]، وأنه «كان من عامة الصحابة، ولم يكن بينهم في العير ولا في النفير[٤]. ولم يُذكر في طبقة من طبقاتهم، ولم يرد في فضله حديث»[٥] وأنه «كانت به غفلة وغرّة وسذاجة. ولذا استغله أعداء الإسلام في بث الخرافات والأوهام في الدين الإسلامي»[٦].

❑ أما زعمه بأن أبا هريرة غير فقيه، فلا يُؤخذ بما رواه مخالفًا للقياس فهو زعم واه ضعيف، ولذا قال الحافظ ابن حجر: «وهو كلام آذى قائله به نفسه، وفي حكايته غنى عن تكلف الردّ عليه»[٧].

❑ وقد كان أبو هريرة ﷺ ممن يُرجع إليه في الفتوى.

روى مالك بسنده إلى معاوية بن أبي عيّاش الأنصاري، أنه كان جالسًا مع عبدالله بن الزبير، وعاصم بن عمر بن الخطاب. قال: فجاءهما محمد بن إياس بن البكير. فقال: «إن رجلاً من أهل البداية طلّق امرأته ثلاثًا قبل أن

---

(١) المرجع السابق ص(١٦٣، ١٩٧).
(٢) المرجع نفسه ص(١٧٧).
(٣) المرجع السابق ص(٢٠٣) الهامش.
(٤) المرجع نفسه ص(١٥٢).
(٥) المرجع نفسه ص(١٨٤ ـ ١٨٥).
(٦) المرجع نفسه ص(١٧٢ ـ ١٧٣).
(٧) «فتح الباري» (٤/ ٣٦٤).

يدخل بها. فماذا تريان؟ فقال عبدالله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول، فاذهب إلى عبدالله بن عباس، وأبي هريرة، فإني تركتهما عند عائشة، فسَلْهما. ثم ائتنا فأخبرنا، فذهب فسألهما، فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة، فقد جاءتك معضلة، فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها، والثلاثة تحرّمها حتى تنكح زوجًا غيره، وقال ابن عباس مثل ذلك ﷺ»[1] .

❑ فقد دفع ابن عباس ﷺ الفتوى إلى أبي هريرة لما كان يعلمه عنه من فقهه وسعة علمه، ولذا قال الذهبي: «احتج المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه، لحفظه وجلالته وإتقانه وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدّب معه، ويقول: افت يا أبا هريرة»[2] .

❑ وقد ذكره ابن سعد في النفر من الصحابة ﷺ الذين صارت إليهم الفتوى بالمدينة وهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة وجابر ﷺ[3] .

❑ كما ذكره ابن حزم في المتوسطين من الصحابة ﷺ ممن رُوي عنهم الفُتيا[4] . وذكر ذلك أيضًا ابن القيم[5] »[6] .

❑ يقول الدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومي في كتابه القيم «منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩):

---

(١) إسناده صحيح: رواه مالك في «الموطأ» ـ كتاب الطلاق ـ باب طلاق البكر (٢/ ٥٧١). وذكره الذهبي في «السير» (٢/ ٦٠٧)، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦٠٩).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٣٧٢).

(٤) «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ٩٢).

(٥) «أعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ١٣).

(٦) «موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية» للأمين الصادق الأمين ص(٣٧٩) ـ مكتبة الرشد.

«وفي عام ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م ظهر كتاب جديد وأعني بالجديد فيه ذلكم الأسلوب الذي نهجه صاحبه وما رأيت مثله؟! رجل يحمل معول هدم السنة ينكر أحاديثها ويلقي أفظع السباب والشتائم على ناقلها الأول أبي هريرة رضي الله عنه ثم يزعم بعد هذا أنه يدافع عن الحديث؟!

أما المؤلف فمحمود أبو ريّة، وأما الكتاب فـ «أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث»؟.

ومن التوافق العجيب أن الذي قدم لهذا الكتاب الذي أنكر حجية السنة هو الذي أنكر صدق قصص القرآن وأنكر حجيته فيما يخبر به ـ كما مر بنا ـ وأعني به طه حسين.

أنكر محمود أبو رية حجية السنة، وإذا ما قال له قائل كيف تنكر حجية السنة وأنت تستدل على ما ذهبت إليه بأحاديث منها؟ أجاب «أن الأحاديث التي أوردها في سياق كلامي للاستدلال بها على ما أريد في كتابي إنما أسوقها لكي نقنع من لا يقنع إلا بها على اعتبار أنها عنده من المسلمات التي يصدقها ولا يماري فيها «ويشبه أسلوبه هذا باحتجاج» المسلم على النصراني بما في الإنجيل وهو في نفسه غير مؤمن بما يحتج به أو عكس ذلك[1] ؟!

وحتى ندرك أيضًا الصلة التي تربطه برجال المدرسة العقلية الحديثة وتأثره بهم فيما ذهب إليه نقول إنه كثيراً ما يسوق نصوصهم ويستشهد بها في التقليل من شأن حجية السنة أو التجريح بصحابي جليل، وحينما عاب عليه طه حسين كثرة نقله عن رشيد رضا أجاب بأنه لم يصنع ذلك «عفواً أو فقراً من الأدلة»[2] ، وإنما كان يقصد من ذلك أموراً مهمة، «منها أن هذا السيد

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٣).
(٢) المصدر السابق ص(٣٤ ـ ٣٥).

يعتبر في هذا العصر من كبار أئمة الفقهاء المجتهدين عند أهل السنة الذين يعتد برأيهم. إلخ»[١] «وأنه بلا منازع شيخ محدثي أهل السنة في عصرنا بحيث يعلم من أمر الأحاديث التي حملتها الكتب المشهورة لدى الجمهور ويدرك ما أعتراها من فعل الرواة وغير ذلك مما يتصل بكتابي ما لم يعلم مثله سواه»[١] «على أنه فوق ذلك ورث علم الأستاذ الإمام محمد عبده وناهيك به علمًا وفضلاً بحيث لا يختلف اثنان في أنه من كبار أئمة الدين المجتهدين فما يقوله السيد رشيد إنما أعتبره كأنه صادر عن أستاذه الإمام، وذلك فيما أرى أنه من منهج الأستاذ الإمام وأسلوبه في النظر إلى الدين»[٢] ، وفوق هذا وذاك فهو يكتب عن السيد رشيد بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته ويسميه «شيخنا» ويردد هذه العبارة[٣] .

إذن فهو يستند فيما ذهب إليه إلى أقوال أئمة رجال المدرسة العقلية الحديثة الأستاذ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد، ويحسب قوله بعد هذا فوق الشبهات!!» اهـ.

* أخي :

هل تتخيل أن عدو السنة أبا ريّة يقول عن الإمام أبي هريرة: «إنه شخصية وهمية لم يقف أحد على اسمه، فكان حريًّا عدم الثقة في شخصه والتشكيك في كل ما يُروى على لسانه»[٤] .

وقال عنه أنه: «نقل من الأحاديث أكثر مما يطيق عقل بشر».

---

(١) «أضواء على السنة المحمدية» ص(٣٤ ـ ٣٥).

(٢) المصدر السابق ص(٣٥).

(٣) «مجلة الرسالة أغسطس ١٩٤٠م مقال: «السيد رشيد رضا» بقلم محمود أبو رية ص(١٣٥٥).

(٤) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله ص(٣٢).

ويأبى الدكتور طه حبيش إلا أن يكشف لنا النقابَ ويفكّ اللغز المحيّر في سبب هذا الكمّ من حقد أبي رية الجاحد على أبي هريرة رضي الله عنه، إذ اشتهر عن محمود أبو ريّة فشله في الدراسة الأولية بالأزهر الشريف، وتردده الدائم على بعض الأديرة والكنائس، والتقائه فيها بمن أوهمه بأنه سوف يكون رجلاً ذا شأن إذا ما سلك هذا الطريق الوعر»[١].

◻ يقول الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد في مقدمته لكتاب «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» ص(٥) عن أبي رية: وكتابه «أضواء على السنة المحمدية» صادف رغبة أعداء الإسلام حتى اشترت إحدى السفارات الأجنبية في القاهرة أكثر نسخه، وأرسلتها إلى مكتبات الجامعات الغربية لتكون بين يديْ الحاقدين على الإسلام ورسوله وصحابته وليستندوا إليها فيما أورده من أكاذيب وأباطيل»[٢].

*** الكذّاب الأشِر المدعو «السيد صالح أبو بكر» وجنونه العجيب!!**

«كأن خداع العناوين مرض انتقل من أبي رية في زعمه الدفاع عن الحديث النبوي في عنوان كتابه إلى المدعو «السيد صالح أبو بكر» فنشر كتابًا زعم أنه «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» زعم فيه أن من أهدافه «تقديم حصيلة الفحص الدقيق للأحاديث المعارضة للقرآن، والمنافية لما يليق باللّه وبرسوله والتي جمعناها من صحيح البخاري باعتباره عمدة المراجع في هذا المجال وعددها مائة وعشرون حديثًا والتعقيب القرآني على كل منها بما يثبت أنها دخيلة على كلام النبي صلى الله عليه وسلم»[٣].

---

(١) المصدر السابق ص(٣٣).

(٢) نقلاً عن «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص(٤٦٧).

(٣) «الأضواء القرانية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية».

وعدّ من أهدافه «القضاء على منازعة الحديث الباطل للقرآن الكريم»[١]، ومنها «إدراك العواقب المترتبة على ترك الأحاديث المخالفة للقرآن الكريم دون تجريح وإظهار لعيوبها»، و«إثبات أن دين اللّه هو القرآن بداية ونهاية» ، وقال أخيراً: «كتابنا هذا يستند إلى كتاب اللّه نصًّا ومعنى»[٢] .

والحق أننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الأهداف والحق أيضًا أن هذا الرجل بعيد كل البعد عن المنهج الذي زعم بل عماد نقله وأسّه محمود أبو ريّة السالف ذكره فهو كثيراً ما ينقل عنه بل نستطيع القول أن الجزء الأول منه خلاصة لكتاب أبي رية، ثم أراد المؤلف منافسة أبي رية على مناهله الأولى فنقل أيضًا عن محمد عبده وعن رشيد رضا وغيرهم من مدرسة المنار.

بل إن بدء هجومه على أبي هريرة ﷺ يصدره برأي مدرسة المنار فيضع عنوانًا «أبو هريرة ورأي علماء الحديث فيه ممثلاً في مدرسة المنار»[٣] .

وقد خصص المؤلف الصفحات من ٥٨ إلى ٦٣ للتشكيك في أبي هريرة ﷺ وفي روايته.

وإن شئت مثالاً من الأحاديث المائة والعشرين التي كذبها المؤلف من صحيح البخاري وأسلوبه في التكذيب، حتى تدرك بعد منهجه عن عنوان الكتاب «الأضواء القرآنية» وعن أهدافه التي زعمها فإليك واحداً منها.

● ففي حديث ابن عمر ﷺ «قام رسول اللّه ﷺ في الناس فأثنى على اللّه بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «**إني لأنذركموه وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه:**

(١) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» للسيد صالح أبو بكر ص(٣ ـ ٦).
(٢) المصدر السابق ص(٣ ـ ٦).
(٣) المصدر السابق ص(٥٨).

تعلمون أنه أعور، وأن اللَّه ليس بأعور» رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله اللَّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾.

☐ أتدرون ماذا قال المؤلف بعد أن نقله نقلاً غير ملتزم بألفاظه كما هو شأن علماء الحديث الصالحين أتحسبون الرجل استند إلى ضوء آية قرآنية واحدة في رد الحديث فضلاً عن التزام «الأضواء القرآنية»!! لا لا ليس الأمر كما تحسبون. بل قال: «ودلائل الزيف في هذا الحديث وغيره من أحاديث الدجال كلها نقول فيها ما يلي:

أولاً: إن المسيخ الدجال هو كل مبدل وكل ماسخ لجمال الحق.. وأن هذا المسيخ ليس رجلاً واحداً فقط، ولكنهم كثيرون وهم عور وغير عور يعيشون معنا وأناس منا وكانوا مع من قبلنا وسيكونون مع من بعدنا وفي كل زمان ومكان.. وليسوا مسيخًا واحدًا كما يقول الحديث.

ثانيًا: إذا كان المسيخ سيظهر في آخر الزمان فقط.. فمن هو المسيخ الدجال الذي كان سببًا في ظهور الفساد والفتن في عهود الخلفاء وزمن التابعين بل زماننا هذا.

ثالثًا: إذا كان المسيخ الدجال رجلاً واحدًا ولا يأتي إلا في آخر الزمان فمن أي مسيخ كان يتعوذ النبي ﷺ هو وأصحابه والتابعون.. ومن أي مسيخ نتعوذ نحن الآن في نهاية كل صلاة كما علمنا النبي ﷺ ؟؟

رابعًا: .. بأي عقل نصدق أن يعطيه اللَّه كل هذه الأسباب ثم يأمرنا بمحاربته أو يلوم أتباعه وقد أعطاه من وسائل الإغراء والإقناع للناس ما لا يعطي الأنبياء والمرسلين.

خامسًا: في هذا الحديث أن النبي ﷺ يقول إن المسيخ الدجال رجل أعور وإن ربكم ليس بأعور فكيف يعقل أن تجري هذه الألفاظ على لسان

النبي ﷺ وأن تكون ألفاظه قد وصلت إلى هذا النقص في التعبير عن ذات اللَّه وأن يتكلم عن خالقه بتلك الصورة المزرية الركيكة.

سادسًا: كيف أنذر نوح قومه من المسيخ الدجال كما يقول الحديث مع أن الأحاديث التي وردت فيه تقول كلها أن المسيخ سيأتي في آخر الأزمان»[1] .

«وليس هدفنا هنا أن نرد على شبهه ونبطلها فليس هذا موضعه وإنما أردنا أن نظهر أسلوبه في النقد وأن أدلته تلك ليست أضواءً قرآنية كما زعم، ولم يستند فيها إلى أية آية قرآنية بل كلها شبه من فكره ومن مفهومه الضال الذي لم يستند إلى كتاب ولا إلى سنة أيضًا.

وليس هذا الأمر في هذا الحديث فحسب، بل هو في كل الأحاديث التي أوردها لم يستدل فيها بآية قرآنية إلا آية تُعرض عرضًا في حديثه وليس فيها من معارضة الحديث شيء.

إذن فلا عجب إذا ما أكثر النقل عن محمود أبو ريّة وعضّ على أقواله بنواجذه ولا عجب أيضًا إذا ما استند إلى أقوال محمد عبده ورشيد رضا بل إلى مدرسة المنار»[2] اهـ.

* * *

(١) «الأضواء القرآنية» ص(٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٢) «منهاج المدرسة العقلية الحديث في التفسير» ص(٧٤٩ ـ ٧٥٢).

* «الردّ القويم على المجرم الأثيم» لفضيلة الشيخ حمّود التويجري:

لقد ردّ الشيخ حمود التويجري على السيد صالح أبي بكر في كتابه «الرد القويم على المجرم الأثيم» في جزءين فأفحمه.. قال الشيخ: «فقد رأيت كتابًا لبعض أهل الزيغ والفساد والإلحاد من العصريين تهجّم فيه على بعض الصحابة والتابعين وعلى مائة وعشرين حديثًا في صحيح البخاري الذي هو أصحّ الكتب بعد القرآن، وزعم أنها أحاديث إسرائيلية وأنه يكتسحها بالأضواء القرآنية ويطهر البخاري منها. وتهجّم أيضًا على غير ذلك من الأحاديث الصحيحة وقابلها بالردّ والإنكار.

وقد سمّى المؤلف نفسه بالسيد صالح أبي بكر، وليس بسيد ولا صالح ولا كرامة ولا نعمة عين، لما رواه أبو داود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد عن أبي بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «**لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل**» ورواه الحاكم في مستدركه والبيهقي بنحوه وصححه الحاكم.

وفي تهجمه على بعض الصحابة والتابعين وعلى الأحاديث الصحيحة أوضح دليل على زيغه وفساد عقيدته وأنه ليس بصالح في الحقيقة.

وقد سمى الملحد كتابه «الأضواء القرآنية، في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها».. وكلام الملحد كله شبهات وحمل لكتاب اللّه على غير محامله، فهو في الحقيقة ظلمات بعضها فوق بعض كما سأبيّنه إن شاء اللّه تعالى.

ومن تأمّل كتابه لم يشك أنه محارب للإسلام والمسلمين، وأنه إنما أراد بكتابه الطعن في الإسلام وأهل الإسلام، وإن أظهر ذلك في قالب الإصلاح فهو بلا شك ممن يسعى في الأرض فساداً وإن كان يزعم أنه مصلح. وقد قال اللّه تعالى مخبراً عن سلف هذا الملحد: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي**

الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ وهذه الآية الكريمة مطابقة لحال الملحد غاية المطابقة، طهر اللَّه الأرض منه ومن امثاله من المفسدين في الأرض إنه سميع مجيب. وقد رأيت من الواجب الردّ على أباطيل هذا الزائغ المفتري على اللَّه وعلى رسوله ﷺ وتطهير الأحاديث في صحيح البخاري وغيره من كتب السنة من تلطيخ هذا الظالم المعتدي»[1] .

◻ قال الشيخ التويجري «وقد قال المؤلف[2] في صفحة (٤) ما نصّه:

سابعًا: الاستكشاف الفعلي لانحراف عقائد من سبقونا من أمم الدراويش وجماعات التنسك الشكلي وأصحاب الدعاوي بخروج بشريتهم أو بشرية شيوخهم على سنن اللَّه في خلقه ادعاءً للكرامات المصطنعة وزعمًا للمعجزات الخيالية التي ملأت المدونات الصفراء وليس لهم فيها من سند ولا أصل إلا أحاديث الخيال المفتراة على رسول اللَّه ﷺ تلك التي استقرت في كتبِ الأحاديث المعتمدة لدى المسلمين بحسن القصد من الناشرين والمستطلعين.

والجواب: أن يُقال هذه الجملة في أول كتاب المؤلف الجاهل كافية في بيان عداوته للرسول ﷺ وللسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: زعمه أن معجزات النبي ﷺ خيالية وأن كراماته وكرامات غيره من أنبياء اللَّه وأوليائه مصطنعة. وهذا قول أعداء اللَّه من الإفرنج

---

(١) «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التويجري ص(١، ٢) ـ مكتبة دار العليان الحديثة.

(٢) يُعني السيد صالح أبو بكر.

وغيرهم من أمم الكفر والضلال. وقد تلقاه هذا الجاهل وأشباهه من زنادقة العصريين بالقبول والرضا. وهذا القدر كاف في الحكم بردّة المؤلف وخروجه من الإسلام.

وقد أجمع العلماء على تكفير من عبث في جهة النبي ﷺ بسخف منَ الكلام وهجر ومنكر من القول وزور. وأجمعوا على تكفير من استخفّ بالرسول ﷺ أو استهزأ به أو بشيء من أفعاله، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه. ذكر ذلك القاضي عياض ـ وابن حجر الهيتمي وكلام المؤلف ههنا داخل فيما أجمع العلماء على تكفير قائله.

الوجه الثاني: زعمه انحراف عقائد الذين يؤمنون بمعجزات النبي ﷺ وكراماته وكرامات غيره من أنبياء اللَّه وأوليائه. وهذا يتضمن القدح في جميع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. ولا يقدح فيهم إلا مَن هو متبع لغير سبيلهم وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾.

وقد قال في الإقناع في ذكر ما يصير به المسلم كافراً: «أو قال قولاً يتوصّل به إلى تضليل الأمة أي أمة الإجابة فهو كافر؛ لأنه مكذب للإجماع على أنها لا تجتمع على ضلاله» انتهى.

ولا يخفى ما في كلام المؤلف من تضليل الأمة على إيمانهم بمعجزات النبي ﷺ وكراماته وكرامات غيره من أولياء اللَّه تعالى فيكون بهذا كافراً حلال الدم والمال.

الوجه الثالث: تسميته علماء السلف وأئمة الخلف بالدراويش وجماعات التنسك الشكلي وأصحاب الدعاوي وزعمه أنهم قد خرجوا ببشريتهم على سنن اللَّه في خلقه، وهذه الأوصاف أولى به وبأشباهه من زنادقة العصريين

وملاحدتهم.

الوجه الرابع: تسميته كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين بالمدونات الصفراء تحقيرًا لها وتصغيرًا لشأنها وزعمه أن الأحاديث الواردة فيها في المعجزات والكرامات أحاديث مفتراة على رسول اللَّه ﷺ وهذا من أعظم المحادة للَّه ورسوله ﷺ والمخالفة لما عليه المسلمون من الاعتناء بكتب الحديث والتعظيم لشأنها والإيمان بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والمعجزات والكرامات واعتقاد أن ذلك حق وصدق.

الوجه الخامس: رميه المسلمين بالغباوة والتغفيل من أجل اعتمادهم على كتب الحديث وإيمانهم بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والمعجزات والكرامات، والواقع في الحقيقة أن المؤلف هو الغبيّ المغفل الذي انقاد للشيطان فأغواه وتلاعب به حتى انسلخ من الدين وهو لا يشعر وصار حربًا للَّه ولرسوله ﷺ وللأحاديث الصحيحة والمحدثين وسائر المؤمنين وقال اللَّه تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾»[1] .

* الدكتور أحمد زكي أبو شادي وإنكار السنّة:

رئيس تحرير مجلة العرب الكويتية سابقًا.. تلقّى تعليمه في الغرب وله كتاب «ثورة الإسلام» يقول فيه ص(٥٧): «إن القرآن الشريف والأحاديث النبوية إنما هي مجموعة مبادئ خُلُقية وسلوكية، أحكامها عُرضة للتبدّل بتبدّل الأحوال والأسباب، ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها، لا أحكام ثابتة ترفض التعديل وفقًا لتبدّل الأسباب والظروف».

---

(١) «الرد القويم» ص(٤٩ ـ ٥١).

وهكذا لم ينف أبو شادي قدسية السنّة النبوية وحسب، إنما جمع معها القرآن الشريف حسب وصفه، بوصفها مبادئ خلُقية، خلع عنها الثبات، وأخضعها لإمكانية التعديل والتبديل وإعادة الصياغة وفقًا للأسباب والظروف. وكان أبو شادي قبل صفحات من كتابه الذي ننقل منه ـ قد حسم القضية ص(٢٥، ٤٤) وحدّد موقفه من السنّة النبوية، فقال كما قال قرناؤه المتغرّبون:

«إن سنن البخاري وابن ماجه وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل[١]، ولا نرضى بنسبتها إلى الرسول وأغلبها يدعو إلى السخرية من الإسلام والمسلمين والنبي الأعظم».
وقال أيضًا: «وأما التغنّي بأبي داود ومسلم والنسائي وترديد الأحاديث الملفّقه التي لا تنسجم مع تعاليم القرآن فبمثابة الخيانة لرسالة الإسلام الخالدة».

ويتهم هذا الرجل أبا هريرة وأنس بن مالك وعبداللَّه بن عباس بالغفلة وانتحال الأحاديث في صفحة ١٧٤ من كتابه، ويشترك في حركة البرلمان العالمي للديانات للجمع بين الإسلام واليهودية والمسيحية والبوذية.

«بلغ الحال إلى إنكار أبواب كاملة في الفقه؛ لأنها تضّمنت أحاديث نبوية تعارضت مع مبادئه العقلية وأخلاقه الوضعية، ولم تتطوّر وفقًا لهذه المبادئ والأخلاق»[٢].

* توفيق الحكيم أستاذ المتمرّدين على السنّة ورد الدكتور عبدالعظيم المطعني عليه:

«وسط زخم كثير من الطعنات الموجَّهة إلى علوم المسلمين وعلمائهم ودعاتهم في ظهورهم وبطونهم وحلوقهم، كتب توفيق الحكيم في صحيفة

(١، ٢) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(٣٨) لأبي إسلام أحمد عبداللَّه.

«الأهرام» أول عام ١٩٨٣م، سلسلة من المقالات تحت عنوان متبجح، اضطربت معه الصحيفة الكبيرة التي طالما فتحت صفحاتها للضالين والمنافقين والملاحدة والشعوبيين، فجاء العنوان «حوار مع اللَّه» حينًا، و«حديث مع اللَّه» حينًا آخر، و«حديث إلى اللَّه» حينًا ثالثًا في محاولة غير كريمة وغير لائقة لامتصاص السخط الذي استقبلت به هذه السلسلة مع إصرار شديد من القائمين عليها على مواصلة عرضها ونشرها على المسلمين دون اعتبار لمشاعرهم، إلى أن انتهى العنوان إلى «حديث مع نفسي» فيعلق د. عبدالعظيم المطعني الذي ندعو اللَّه له بالحفظ والرعاية والسلامة ودوام العطاء والجهاد ضد أعداء الإسلام قائلاً:

«الحكيم واحد من العقلانيين الذين انحرفوا بعقولهم وفكرهم، فقضوا على أنفسهم وعلى عقولهم وأفكارهم بالانتحار المريع، بيْد أن الحكيم قد فاق أسلافه في هذا المجال، إذ لم نر واحداً منهم يزعم أنه قال للَّه أو قال اللَّه له، فهذه أضحوكة انفرد بها من بين المنتحرين عقليًا وفكريًا إلى الأبد، ما لم يجد الزمان بحكيم مثله، يزعم ما زعم ويهزي بمثل ما هزي، فقد كانت كتابته هذه هي آخر ما يتصوره العقل من مزالق محفوفة بالمخاطر، عن إنسان يحترم عقله وفكره، إلاّ إذا أفلت عقله من كل المقاييس (والتعبير للدكتور المطعني) ولا مناص أن يؤدي الحكيم دوره، ويشارك في زفة إنكار السنّة، في حواره الكاذب مع جلال اللَّه فيقول نصًا:

«على رجال الدين أن يُفهموا المسلمين أن صلاح الإسلام ليس في التجمّد في زمن واحد مضى، بل مع الحركة المتقدمة مع تنقية ما يُفسد ويتعثّر بالحركة الطائشة».

والزمن الواحد الذي مضى ويقصده الحكيم غير الحكيم، هو تلك النصوص التي حدّدت للمسلم كل دقائق حياته، في نظام بديع يخضع له

الزمان والمكان، ولا يخضع هو لهما؛ لأنه ما جاء من الهوى إن هو إلا وحي يوحى، علّمه شديد القوى، إذا ضاقت به نفوس؛ فلأنها عليلة، وإذا رفضته عقول فلأنها ضالة يعزّ عليهم الاعتراف بضلالها، فيرمون أهل الهدى بما فيهم، وهو ما فعله الحكيم ونطق به قبل ذلك بسنوات خمس في مقال نُشر له في «الأهرام» أيضًا، متهمًا فيه أحكام الشريعة الإسلامية المتمثلة في سنّة المصطفى ﷺ، إذْ ما كان له أن يجرؤ ومسّ كتاب اللَّه في هذه الفترة الزمنية، مطالبًا بالخروج بها من جمودها وإفساح الطريق إلى أن نطوّرها ونجددها، لتتناسب مع روح العصر ومواكبة المفتونين بالمادة والعلمانية، وتُستباح لهم السنّة النبوية فيُضيفون ويحذفون ويعدّلون ما يلبي حاجاتهم وشهواتهم وأوامر أسيادهم.

ولأن اللَّه لا يغير ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم يقول د. المطعني:

«وبهذه النزعة «العقلانية» نصب الحكيم نفسه أستاذًا في مدرسة المتمردين على الشريعة، قصد أم لم يقصد، فالعبرة بالعمل لا بالقصد والنية، ولتلامذته حيل غريبة في ذلك، ففريق ينكر العمل بحديث الخبر الواحد ما لم يكن متواترًا، وبعضهم ينكر صحة العمل بالأحاديث كلها صحيحها وحسنها وخبر الواحد منها، ويقول آخرون: إن الأحاديث لا تفيد العلم اليقيني وإنما تفيد الظن، والظن يبطل الاستدلال، ولا تفسير لكلام الحكيم على ضوء ذلك إلا بإجراء هذه العمليات الجراحية، التي يريدون أن يدخلوها على ثوابت الإسلام ونظمه»[1] اهـ.

* * *

---

(١) المصدر السابق ص(٣٤).

*** الشيخ محمد فريد منكر المعجزات.. يردّ بعض الأحاديث فيلقمه شيخ الإسلام مصطفى صبري الحجر:**

الشيخ محمد فريد وجدي واحد من رموز المدرسة العقلية الحديثة، وهو «أحد كتاب مجلة المنار، وصاحب المقامات الصوفية، وتلميذ علي عبدالجليل راضي، رائد المذهب الروحي في العصر الحديث، يرفع لواء استحالة وقوع معجزات النبي عقلاً، مؤكداً أن كل ما جاء عنها في السنة غير مقبول أو موثوق به على الإطلاق، برغم أن الأستاذ وجدي عاش حياته وأنهاها بما لا يخفى على كثير من القرّاء والمثقفين، مدّعيًا لنفسه ممارسة المعجزات، حيث كان واحداً من أكبر رموز العاملين في الجمعيات الروحية التي تتعامل مع الجن والعفاريت، والاعتقاد بالجلاء البصري والجلاء السمعي الذي يسمح لمن يمارسه أن يبصرنا في أماكننا، ويبصر اجتماع الكونجرس الأمريكي، ويسمع كل ما يدور بداخله وهو في قلب القاهرة.

نقول: برغم هذا كله فحتى الآيات القرآنية التي أنبأت ببعض معجزات الأنبياء، اعتبرها فريد وجدي جميعًا من المتشابهات التي لا تُفهم معانيها، وكتب في مجلة الأزهر (ج٥/ م٨) «إن الإيمان بالغيب الذي هو أول صفة وصف اللَّه بها عباده المفلحين، يقابل الإيمان بالواقع» ليحطّ بهذه المقابلة من منزلة الإيمان الغيب.

□ وعلى صفحات الأهرام يقول في مناظرته مع شيخ الإسلام مصطفى صبري ـ رحمه اللَّه ـ: «لقد وُلِد العلم الحديث وما زال يُجادل القوى التي تقف أمامه حتى تغلّب عليها، فنظر نظرة في الأديان، فقذف بها جملة إلى عالم الأساطير وجعل منها (الأديان وكتبها) مجموعة كتب تُقرأ لا تُقدس، ليعرف الباحثون منها، الصور الذهنية، لا أن يُتعبّد بها ويُستعبَد لها».

◘ ويُعلِّق على ذلك الشيخ مصطفى صبري ـ رحمه اللَّه ـ آخر من تولّى منصب شيخ الإسلام قبل سقوط الخلافة عام ١٩٢٤ قائلاً: «إن إنكار المعجزات النبوية يتضمن إنكار النبوة فتشتد الحماقة وتتضاعف فيمن يؤمن بالأنبياء وينكر معجزاتهم ويصوّرونهم كأنهم لا يمتازون عن الناس إلا بما يمتاز به العظماء».

ثم يشير شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه، إلى جريمة الصحافة المصرية التي فتحت الباب أمام هؤلاء المتشككين في النبوة والمنكرين للسنة فيقول: «تفكّروا في كون صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الغربية لا تزال تشيد بمن يقول بهذا، ثم تفكروا في إنكار الأستاذ فريد وجدي لمعجزات النبي جهاراً نهاراً على صفحات الأهرام أثناء مناقشته إياي، تلك المناقشة التي استمرت أيامًا، ثم تعيينه بعد انتهائها مديراً ورئيسًا لتحرير مجلة الأزهر المسمّاه يومئذ «نور الإسلام».

ونجح فريد وجدي حقيقة، أن يجعل من نور الإسلام منبراً خاصًا لأفكاره الشاذة نحو النبي الأمين وسيرته العطرة ومعجزاته القرآنية والمتواترة بالحديث، بمباركة شديدة من فضيلة الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر حينذاك، فانبرى يترجم أفكارهم الشاذة حول نبي الإسلام وحول النبوة ومعجزاتها في سلسلة مقالات بعنوان «السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة» فيقول في (ج٧/ م١١):

◘ «تمتاز العصور النبوية بالخوارق للنواميس الطبيعية، فأساطير الأديان ملأى بذكر حوادث من هذا القبيل كان لها أقوى تأثير في حمل الشعوب التي شهدتها على الإذعان للمرسلين الذين حدثت على أيديهم».

◘ وسريعًا يكشف فريد وجدي عن وجهه في سفور وقح فيقول مستطرداً: «وقد حدثت أمور من هذا القبيل في العصر المحمدي «صاحبت

الدعوة في جميع أدوارها، وكانت أعظم شأنا وأجلّ أثرًا من كل ما سبق من نوعها».

☐ وفي جرأة منقطعة النظير، يؤكد في تحدّ وعناد ما ذهب إليه من بطلان وضلال فيقول: «ولست أقصد بها ما تناقله الناس من شق الصدر وتظليل الغمامة وانشقاق القمر وما إليها، مما لا يمكن إثباته بدليل محسوس، ومما يتأتى توجيهه إلى غير ما فُهِم منه، ولكن أقصد تلك الانقلابات الأدبية والاجتماعية التي تمت على يد محمد ﷺ في أقل من ربع قرن، وقد أعوز أمثالها في الأمم، القرون العديدة والآماد الطويلة».

☐ ونخلص إلى أن فريد وجدي يريد أن يقول بإنكار المعجزة، ومن ثَمّ بإنكار النبوة، خاصة أن النبوة نفسها من الأمور الغيبية التي هي اتصال خاص بين النبي وربه، ليصل إلى الغاية الشيطانية التي رضعها من الفكر الإبليسي أنه لا أنبياء على الإطلاق، إنما هم مصلحون اجتماعيون وحسب، وهو نفس ما ذهب إليه فرح أنطون منشئ مجلة «الجامعة» في مناقشة له مع الشيخ محمد عبده فقال:

- الدين هو الإيمان بخالق غير منظور، وآخرة غير منظورة، ومعجزة ووحي ونبوءة وبعث وحشر وسؤال وحساب وثواب وعذاب في الجنة والنار، وكلها غير محسوسة ولا معقولة، ولهذا كان العقلاء في كل ملة ينادون بإبعاد العقل عن الدين».

ولا تعليق لنا على الصليبي فرح أنطون أفضل مما كتبه، ليشهد على منكري السنة ويفضح مصادر فكرهم وتبعة إنكارهم»[١].

* * *

(١) المصدر السابق ص(٢٩ - ٣٠).

* الشيخ أبو زيد الدمنهوري صاحب كتاب «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن»:

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في المحيط العلمي وثورة ساخطة من شيوخ الأزهر على مؤلفه وانتهى الأمر بمصادرة الكتاب والحكم على صاحبه بالزيغ والضلال[1]، ويتلخص قول هذا الضال المضلّ في السنة أنها نكبة على المسلمين وعلى دين اللَّه عز وجل وهو يتمنى إحراقها وإعدامها من الوجود وتكون نقطة بداية التحريق من صحيح البخاري فمسلم فيرتاح الناس من شرّ ما فيهما، وأنكر هذا الرجل نبوة آدم.

* القرآنيون منكرو السنة بالهند وباكستان وتصدي شيخ الإسلام أبي الوفاء ثناء اللَّه الأمرتسرى لدجّالهم غلام أحمد القادياني:

قد كان لأعاجم شبه القارة الهندية النصيب الأكبر في ردّ السنة، وبدأ ذلك على يد رجل هو السير السيد خان (ت: ١٨٩٨م). ذكره أحمد أمين في كتابه المعروف «زعماء الإصلاح في العصر الحديث»[2] وقال عنه: «هو في الهند أشبه شيء بالشيخ محمد عبده في مصر، والرجل له اتجاهات إلحادية منحرفة ومع هذا يعتبر رائد النهضة التعليمية المعاصرة في أوساط المسلمين في القاهرة الهندية فقد أنشأ «جامعة على كره الإسلامية» فله في ذلك فضل يُذكر.

❑ أما انحرافاته فكثيرة منها:

ـ أن المعراج عنده عبارة عن سير النبي ﷺ في المنام.

---

(١) «الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم» للدكتور محمد حسين الذهبي ص(٩٤)، و«منهاج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٣٦).

(٢) ص(١٢١)، وما بعدها ـ طبعة ١٩٤٨م.

ـ والمراد بالملائكة والشياطين هو: الأخلاق الجليلة، والأخلاق الرذيلة.

ـ والجنة والنار عبارة عن أمر روحي.

ـ والاعتقاد بالبعث والنشور، والحساب والميزان، وما في النار من ألوان العذاب، وما في الجنة من أنواع النعيم من عقائد الناس البسطاء السذج.

ـ وأما عذاب القبر وعلامات القيامة ـ مثلاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، ونزول المسيح ـ عليه السلام ـ وغيرها من الأمور ليست عنده من الحقيقة في شيء[١].

❑ ومنهم «المرزا غلام أحمد القادياني» المتنبئ الكذّاب. وكان مواليًا للحكم الإنجليزي، فأفتى بعدم جواز القتال ضد الاستعمار، وأنكر الجهاد بالسيف، وطعن في الأحاديث الواردة في فضله. هذا وأنكر نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان، وحَرّف الأحاديث الواردة في هذا الأمر عن معناها العربي؛ لأنها كانت تقف في إثبات مسيحيته، ثم انتهى به الأمر إلى ادعائه للنبوة، وأنكر الأحاديث التي كانت تفند دعواه الباطلة وتكشف عن سخفها وهرائها.

❑ وهذا الأفيوني الخمّار تطاول على نبي اللَّه آدم ونبي اللَّه نوح وأهان نبي اللَّه عيسى، وفضّل نفسه على يوسف الصديق، وأهان جميع أنبياء اللَّه ورسله وفضّل نفسه عليهم.

فناقشة العلماء، وعبثًا حاولوا إصلاحه وإرجاعه إلى الإسلام، وحينما رأوا إصراره وصموده على الكفر والارتداد، ودعوى النبوة، نازلوه وناظروه، وأظهروا كذبه، وبطلان دعواه، وبعد إتمام الحجة أفتوا بالإجماع على كفره

---

(١) مقدمة كتاب موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد ص(٦، ٧).

ودجله، فكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ الجليل العلامة ـ شيخ الإسلام ـ ثناء اللّه الأمرتسري صاحب التصانيف الرائعة الكثيرة في الدفاع عن الإسلام ضد «الهندوسية» و«النصرانية» و«القاديانية» وطائفة «منكري الحديث» وهو مناظر الإسلام، ومحامي المسلمين في القارة الهندية، فقد جرى بينه وبين الغلام القادياني عدة مناظرات ومناقشات تحريرية، وتقريرية، ودومًا كان الانتصار حليفًا للرجل الإلهي وبطل الإسلام، فاستشاط من ذلك المتنبي القادياني غضبًا، وأصدر نشرة سنة ١٩٠٧م وبتاريخ ١٥ إبريل بالضبط وكتب فيها ما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم، يسئلونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق إلى خدمة الأستاذ ثناء اللّه، السلام على من اتبع الهدى.

من زمان وأنا أُكذّب وأفسّق في مجلتكم «أهل حديث» (اسم المجلة) ودائمًا تسمونني في مجلتكم هذه ملعونًا كذّابًا، ودجّالاً ومفسدًا، وتشهرني في العالم بأني مفتري كذّاب دجال، وأفتري في دعواي المسيحية، فأنا تأذيت منك كثيرًا، وصبرت ولكني لما رأيت نفسي بأني مأمور لنشر الحق وأنت تمنع العالم من التوجه إليّ بسبب افتراءاتك عليّ. فأدعو إن أنا كذّاب ومفتري كما تذكرني في مجلتك، فأهلكُ في حياتك لأني أعلم أن عمر الكذّاب والمفسد لا يكون طويلاً، بل هو يموت خائبًا في حياة أشد أعدائه بالذلة والهوان، وتكون في موته منفعة لعباد اللّه حيث لا يضلهم، فإن لم أكن كذّابًا ومفتريًا بل أكون متشرّفًا بمخاطبة اللّه والمكالمة معه، وأكون مسيحًا موعودًا، فأدعو أن لا تنجو من عاقبة المكذبين حسب سنة اللّه.

فأُعلِن إن لم تمت أنت في حياتي بعقاب اللّه الذي لا يكون إلا من عند اللّه محضًا مثل أن تموت بمرض الطاعون أو الكوليرا فلا أكون مرسلاً من اللّه تعالى، وهذا لا أقول نبوءة بل طلبت القضاء الفيصل من اللّه تبارك وتعالى،

وأدعو اللَّه، يا مولى البصير، القدير، العليم الخبير، يا عالم أسرار القلوب، إنْ أنا كاذب ومفسدٌ في نظرك، وأفتري عليك ليلاً ونهاراً يا اللَّه فأهلكني في حياة الأستاذ ثناء اللَّه، وسرّه وجماعته بموتي ـ آمين ـ ويا اللَّه إنْ أنا صادق، وثناء اللَّه على باطل، وكذّاب في التهم التي يلصقها بي، فأهلكه يا رب العالمين في حياتي بالأمراض المهلكة مثل الطاعون أو الكوليرا أو غيره من الأمراض، آمين.

يا رب أنا أوذيت وصبرت، ولكني أرى الآن أنه قد تجاوز الحد، وأنه يظنني أفسق من السارقين والغاصبين الذين يضرون العالم، ويحسبني أرذل خلق اللَّه، وقد شهرني في البلدان النائية بأني في الحقيقة مفسد ونهاب، وطمّاع وكذّاب، ومفتري وخبيث، وإن لم يكن لهذه الكلمات صدى كنت صبرت عليها، ولكني أرى أن ثناء اللَّه يريد بهذه التهم أن يفني دعوتي ويهدم عمارتي التي بنيتها أنت يا ربي ويا من أرسلتني، ولذا ألتجئ إليك يا اللَّه آخذاً بذيل رحمتك وتقدسك فاقض بيني وبين ثناء اللَّه بالحق، وأهلك الكذّاب والمفسد في حياة الصادق، أو ابتليه في آفة تكون مثل الموت، فافعل هكذا يا ربي الحبيب ـ آمين ثم آمين ـ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

وأخيراً أرجو من الأستاذ ثناء اللَّه أن ينشر هذه النشرة في مجلته، ثم يعلّق عليها ما يشاء، فالقضاء الآن بيد اللَّه». الراقم: عبداللَّه الصمد غلام أحمد المسيح الموعود عافاه اللَّه وأيده» (إعلان الغلام القادياني المنشور بتاريخ ١٥ إيريل ١٩٠٧ المندرج في «تبليغ رسالت» (١٠/ ١٢٠)، مجموعة إعلانات الغلام المرتبة من قاسم القادياني.

وفعلاً قُبلت دعوته هذه، وقضى اللَّه بينه وبين ثناء اللَّه بالحق، وبعد ثلاثة عشر شهراً وعشرة أيام بالضبط جاءه قضاء اللَّه وقدره بصورة بشعة كان

يتمناها للشيخ الجليل ثناء اللَّه، نعم بنفس الصورة وبنفس المرض الذي نصّ عليه هو؟ بالكوليرا، وإليك بيانه، يكتب ابن الغلام القادياني، وزعيم القاديانية «بشير أحمد» في سيرته: «أخبرتني أمي أن حضرته (أى الغلام) احتاج إلى بيت الخلاء بعد الطعام مباشرة، ثم نام قليلاً، وبعد ذلك احتاج مرة أخرى إلى بيت الخلاء فذهب مرة أو مرتين إليها بدون أن يُشعرني، ثم أيقظني، فرأيت أنه قد ضعف جدًّا وما استطاع الذهاب إلى سريره فلذا جلس على سريري أنا، فبدأت أمسحه وأُمسّجه، وبعد قليل أحس الحاجة مرة أخرى، ولكن الآن ما استطاع الذهاب إلى بيت الخلاء فلذا قضاها عند السرير واضطجع قليلاً بعد القضاء، ولكن الضعف بلغ منتهاه فجاءته الحاجة مرة أخري فقضاها ثم جاءه القيء وبعدما فرغ من القيء خرّ على ظهره واصطدم رأسه بخشب السرير وتغيرت حالته» («سيرة المهدي» ص(١٠٩) لبشير أحمد بن الغلام).

❑ وكتب رحيمه (أبو زوجه) «الليلة التي مرضها حضرته (الغلام) كنت نائمًا في غرفتي، ولما اشتد مرضه أيقظوني فذهبت إلى حضرته ورأيت ما يُعانيه من الألم فخاطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا، «ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة حتى مات اليوم الثاني بعد العاشرة من الصباح» («حياة ناصر» رحيم الغلام القادياني ص١٤).

هذا وقد نشرت الجرائد الهندية آنذاك «أن غلام أحمد المتنبي القادياني لما ابتُليَ بالكوليرا كانت النجاسة تخرج من فمه قبل الموت».

فمات وكان ثناء اللَّه حيًّا وبقي حيًّا بعد موته قريبًا من أربعين سنة يهدم بنيان القاديانية ويقمع جذورهم، وهكذا كذّب اللَّه الكذّاب حتى وإلى آخر لحظة من حياته، وعذّبه في الدنيا وعذاب الآخرة أشدّ وأقوى، ولقد صدق اللَّه عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣]»[1] .

☐ وقبل القادياني كان جُراغ علي ينكر الحجاب، وقال إن النبي ﷺ لم يأمر زوجاته بالحجاب ولا منعهن منه!!!

☐ وفي عام ١٩٠٢م ظهر غلام نبي عبدالله جكرلاوي مؤسس الحركة القرآنية أو جماعة أهل الذكر والقرآن»، وأنكر هذا الرجل السنة مطلقًا.

☐ ثم كان أوسخهم «غلام أحمد برويز» رئيس جمعية «أهل القرآن» ورئيس منكري السنة في باكستان، تسلّم قياد هذه الفتنة، ونظم جهود منكري السنّة، وقام بجهد متواصل في هدم بنائها، ونشر كتبًا كثيرة في إنكار الحديث، وأصدر مجلة «طلوع الإسلام» الناطقة باسم الجمعية، ونادى بالاكتفاء بالقرآن وحده لا يوجد شيء اسمه سنّة، وألّف كتابًا عن نظرية داروين التي يذهب فيها إلى تكذيب القرآن.

وبالتعاون مع زميله أسلم جيرا جبوري أصدرًا مجلة «فجر الإسلام» عام ١٩٥٧م لتكون لسان حال جماعة القرآنيين في الهند لأول مرة.

وعلى خطى أحمد أمين، المفكر والأديب والكاتب المصري، أعاد غلام أحمد برويز ترتيب موضوعاته وأصدر ثلاثيته «معارف الإسلام» وجعل لها عناوينًا جريدة؛ فجر الإسلام عام ١٩٥٨م، ثم ضحى الإسلام عام ١٩٥٩م، ثم ظهر الإسلام عام ١٩٦٠م، وبعدها نشر كتابه الضخم الذي أصبح سفرًا من أسفار منكري السنّة في مصر وهو «لغة القرآن» في أربعة مجلدات عام ١٩٦١م.

---

(١) «القاديانية لإحسان إلهي ظهير» ص(١٥٤ ـ ١٥٩) ـ إدارة ترجمان السنّة.

ولقد قال هذا الضال الفاجر أن تعيين الجزئيات في العبادات مثل الركوع والسجود. . إلخ تردُّ إلى مركز الأمة «أي يحددها الحاكم».

❑ قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: «إن منكري السنّة قديمًا وحديثًا ـ ما عدا أهل القرآن ـ كانوا يأخذون السنة العملية المتواترة، كالصلاة وهيئاتها، وركعاتها، والزكاة والحج وما شاكل ذلك من الأمور التي تناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل نقلاً عمليًّا.

ولكن ذهب «أهل القرآن» إلى أبعد من ذلك، فأنكروا حتى هذا الجزء المتواتر العملي من الإسلام»[1].

❑ ففاقوا جميع منكري الحديث، وصدق عليهم قول الشاعر:

كبهيمـــة عميـــاء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الحائر

وانظر إلى هذا التواطؤ الخسيس والخيوط الخفية بين منكري السنّة في الهند ومصر فأحمد أمين يثني على السير أحمد خان مرزا ويقول عنه أنه في الهند كالشيخ محمد عبده في مصر، وينشر أحمد خان مرزاً من خلال مجلته الداعية لإنكار السنة ـ حلقات متتابعة من كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين.

ومثلما وضع حسرت موهاني ونيار فتحبوري أسس الضلال وأصدرا مجلة تحمل اسم «إنكار» في الهند، وضع صبحي منصور يده في يد فرج فوده وأصدر مجلة تحمل اسم «التنوير» في مصر وطعنت المجلتان في العقيدة، وأثارتا الشبهات حول الوحي والقرآن وحجية الأحاديث النبوية وحطّتا من أهمية الفقه الإسلامي في حياة المسلمين.

وكانت جماعتا القاديانية والأحمدية بأمريكا على اتصال دائم بمركز توسان حيث يقبع مسيلمة الكذاب مدعي النبوة رشاد خليفة بمسجد توسان.

---

(١) «دراسات في الحديث» للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ص(٣٢ ـ ٣٣).

* صبحي منصور الدجّال منكر السنة نائب مسيلمة الكذاب بتوسان والمروّج لنبوته الكاذبة وتصدي فضيلة الشيخ الدكتور سعد ظلاّم له وفضحه إياه:

من مدينة كفر الزيات خرج علينا مسيلمة الكذاب رشاد خليفة المولود في ١٩٣٥/١١/١٨ تخرّج مهندسًا زراعيًّا وعمل بالهيئة العامة للإصلاح الزراعي في ١٩٥٧م وصدرت ضده الجزاءات، ومع هذا حصل على بعثة علمية لدراسة الدكتوارة في أمريكا ١٩٥٩/٨/٣٠م، وعاد الخائن ومعه زوجه الأمريكية السافرة ثم سافر إلى ليبيا ومنها إلى أمريكا وبعد أشهر معدودة أصبح رشاد خليفة خبيرًا بالأمم المتحدة ثم إمامًا لمسجد مدينة توسان ومئات الألوف من الدولارات.

❑ ومن قرية حريز مركز كفر صقر بمحافظة الشرقية جاء صبحي منصور وانضم في بداية أمره إلى الطريقة الرفاعية والتحق بالأزهر، وأصبح أستاذًا مساعدًا بكلية اللغة العربية ولفت الأنظار إليه بما يطرحه من آراء مخالفة لإجماع المسلمين، ليس بعدائه للصوفية فحسب، إنما بعدائه للسنة النبوية.

والتقى برشاد خليفة، ووجد كل منهما ضالته في الآخر فرشاد يملك السلطان والمال بالدولار، ويسكن بلاد اللحم الأبيض والحاسوب الذي يُحصي كلمات القرآن وحروفه وآياته في لمح البصر، وينبئك على الفور عمّا إن كنت تصلح نبيًّا أو مساعد نبي وراح صبحي منصور داخل الأزهر يعبث بعقول خير شباب الأمة، ويُنكر السنّة وينال من عصمة الأنبياء ويسيء إلى الصحابة، ويُحقِّر من شأن رواه الأحاديث النبوية، حتى فُضِح أمره عام ١٩٨٢م، وشكى الطلاّب إلى أساتذتهم، وتمّ جمع كتبه، فحاول أن يُقدّم استقالته إلا أن الأزهر أصدر قرارًا بفصله.

◻ لفظ الأزهر صبحي منصور، ولكن أيد خفيّة حافظت له على المسجد الذي يخطب فيه، بل إن مساجداً جديدة فتحت له أبوابها في الجيزة والقاهرة، وفي مسجد إسماعيل منصور صاحب كتاب إنكار عذاب القبر (٨٠جنيه للنسخة) ومقالات إنكار حجاب المرأة.

وهاجر صبحي إلى الشيطان رشاد خليفة، وذهب إلى أمريكا.

◻ وفي إحدى الصحف المصرية، كتب الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية الذي حمل العبء الأكبر في التصدي لهذا المنكِر لسُنّة خاتم الأنبياء، يوضح حقيقته ويفضح باطله، ويُشرك أهل العلم والتخصص فيما اتخذ ضده من إجراءات موّضحًا عقيدة الأزهر الشريف في الإيمان باللَّه وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، ومؤكداً على شهادة التوحيد أنه لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، وعلى الصلاة والزكاة والصوم والحج كما وردت في الصحاح ومذاهب الأئمة الأعلام، ومبشراً المسلمين بسفر صبحي منصور إلى خارج البلاد.

◻ ولم تمض أيام معدودة حتى انهال سيل الخطابات من رشاد خليفة من أمريكا، حيث استُقبل البطل المجاهد صبحي منصور هناك!! يكتبون إلى الدكتور ظلام، وهم في حالة هذيان تترنّح رءوسهم في كل اتجاه، وتقيّأوا كل ما في بطونهم ضد العميد وكليته وأزهره والمسلمين في أنحاء مصر بلا استثناء، فيكتب قبل أن يُعلن النبوة بخمسة أشهر فقط أول رسائله:

◻ في ٤/ ١/ ١٩٨٨م كتب يقول: لقد اخترتم أنتم وأربابكم تكذيب اللَّه سبحانه وتعالى عما يصفون، وقرّرتم وجود مصادر إبليسية - يقصد السنّة - أخرى إلى جانب كلام اللَّه.

◻ وفي ٩/ ١/ ١٩٨٨م كتب يقول: لقد وفّق اللَّه الدكتور صبحي إلى كشف الانحرافات التي جعلت إسلام اليوم مختلفًا تمامًا عن الإسلام الذي دعا إليه خاتم الأنبياء (ذلك قبل أن يدّعى النبوة).

□ ثم في خطاب بتاريخ ٢٦/ ١/ ١٩٨٨م وصفه الدكتور طه حبيشي في كتابه «مسيلمة في مسجد توسان» بأنه خطاب هابط الأسلوب نازل المعاني أشبه بعبث الصبيان، قال فيه رشاد: «لعلّك استلمت عدد فبراير من مجلتنا «الإسلام الحقيقي» ولعلك قرأت أول مقالة يكتبها د. صبحي اسمًا على مسمى منصور في أرض الحرية التي منّ اللَّه علينا بها.

ثم يشير إلى ما بذلته الحكومة الأمريكية من تقديم التسهيلات وتذليل العقبات أمام صبحي منصور حتى وصل سالمًا إلى أمريكا أرض الحرية والعزَّة والفخار، هاربًا من أرض أزهر الشيطان والقهر والفقر والانحطاط، حيث وافق الكونجرس الأمريكي على طلب رشاد خليفة باعتبار صبحي لاجئًا سياسيًّا، والرواية على لسان صبحي نفسه.

□ وفوجئ الرأي العام المصري بأحمد بهاء الدين يكتب في صحيفة أخبار اليوم ١٧/ ٤/ ١٩٨٨ قائلاً: أحبُّ أن أنبه الأزهر والمؤسسات الإسلامية إلى نشرة بالغة الخطورة والغرابة، تلقيتها بالبريد من ولاية أريزونا الأمريكية تقول: «الأزهر منكر القرآن يقود مصر إلى الهلاك، وأنه يوصي اللَّه ورسوله بابتداع العصمة للأنبياء والشفاعة لغير اللَّه متمسكًا بالبدع الإبليسية المسماة بالحديث والسنّة، تلك أولى غرائب هذه النشرة، ثاني غرائبها أنها تصدر عن جمعية إسلامية تملك من وسائل التكنولوجيا الشيء الكثير، فهي تبيع شرائط الفيديو والكاسيت في جميع الموضوعات، والأسماء السائدة في النشرة تأليفًا وإخراجًا وخطبة كانت للدكتورين: رشاد خليفة وصبحي منصور وبعض الأسماء المسيحية الأمريكية التي كانت مسلمة من قبل!!

وتقول النشرة (وما زال الكلام لأحمد بهاء الدين في صحيفة الأخبار): إن الخالق يعلّمنا أن نتيجة رفض كلامه وتكذيب آياته كما فعل الأزهر وأتباعه هي الهلاك وحتمية جفاف النيل ووقوع الكوارث، لأن أسّ البلاء هو ممارسة

الأزهر للقهر الفكري.

❑ وفي اليوم التالي ١٨/ ٤/١٩٨٨ يواصل أحمد بهاء الدين تعليقه على نشرة مسجد توسان فيقول: إن الملحوظات التي تستوقف النظر ونضيفها، أنها تبدو مموّلة تمويلاً جيدًا خصوصًا بإنتاجها التلفزيوني، والكثير مما سجلته على أشرطه فيديو للبيع، والإسلام الوحيد الذي يقابله تعريف واضح هو الدكتور صبحي منصور المحاضر في جامعة أريزونا، والمنتشر في الصحافة والإذاعة والتلفزيون عن القهر الفكري الأزهري.

❑ «في فبراير ١٩٨٨ عرضت النشرة الشهرية لمسجد الضرار والضلال في توسان بأريزونا مقالاً لصبحي منصور بعنوان «الأزهر يكفر بالقرآن» ردًّا على مقال نشر بمجلة منبر الإسلام لسان حال وزارة الأوقاف المصرية في عددها «يناير ١٩٨٨» قال فيه: «يقول جهلاء الأزهر أنه من المعلوم أن القرآن جاء دستوراً، ومن شأن الدساتير أن تكون مجملة في حاجة إلى تفصيل، لكن المشكلة الأزلية، للأزهر أنه مسجد سيئ الاستخدام «مسجد ضرار» يقوم على حماية التراث البشري «يقصد السنة النبوية» الذي يناقش القرآن ويتهم كتاب اللَّه بأنه غامض يحتاج إلى توضيح وأنه ناقص يحتاج إلى تفصيل، ومن الواضح أن الأزهريين لا يؤمنون ولا يعلمون ولا يذكرون، بعدما أعماهم اللَّه عن القرآن الكريم، ولقد أدت الأكنة على قلوبهم والوقر في آذانهم إلى تكذيب رب العزة في تقريره أن القرآن كامل وتام ومفصل».

❑ وفي ذيل المقال تعليقًا لنبي الزور رشاد خليفة يقول فيه: «كما هو مدعّم بالوثيقة في الصفحة السابقة فإن الأزهر يرفض التأكيدات المتكررة للقرآن بأنه كامل وتام ومفصل تمامًا.

إن الأزهر يأخذ موقفًا رسميًا من أن القرآن ليس كاملاً، ومن ثم فإن الأزهر يعزز تلك البدع الشيطانية مثل الحديث والسنة، وإن أي مسلم يمتلك

أقلّ قدر من التفكير والبداهة يستطيع أن يرى الأزهرَ لا يحترم إرادة الرب، وإنما يحترم إرادة إبليس، وصبحي منصور هو أول عالم أزهري يكتشف الحقيقة، ويقف في وجه السلطات في قلعة إبليس «الأزهر» ففي هذه السلسلة التاريخية من المقالات، يوضّح منصور الطبيعة المحمدية للأزهر ودوره في تحويل المسلمين المخلصين إلى محمدين مؤلهين للوثنية»[١].

❑ ومرّة أخرى حلّ صبحي منصور بهمّه وغمّه وضلاله على مصر وترك شيخه المزعوم بعد عام واحد فقط وقال صبحي عن رشاد خليفة أنه علا وتكبّر بعدما أصبح نبيًّا!!

عاد صبحي منصور يبث سمومه في المساجد إلى أن قُبض عليه بنفس التهم التي وُجِّهت إلى المتشيِّع حسن شحاته من إثارة الفتن والتعدي على صحابة رسول اللَّه ﷺ والتشكيك في السنة النبوية المطهرة.

❑ ولقد عرض رشاد خليفة على صبحي منصور النبوة فرفضها!! ثم لم يلبث أن ادعى النبوة لنفسه في مايو ١٩٨٨ ولم يخطر بباله هذا من قبل، هذا قول صبحي منصور أما رشاد خليفة فقال عن نفسه: أن الوحي قد هبط عليه وهو في سن الخامسة والأربعين أي في عام ١٩٨٠. ولقد قُتِل هذا الدّجال الكذاب.

❑ هذا المهووس الدجال أطلق على الآيات التي لم تخضع للرقم (١٩) آيات شيطانية وهما الآيتان الأخيرتان من سورة التوبة وأنكرهما وقال: إنهما أُقحمتا على القرآن وليستا منه. وقال اسمي جاء في القرآن ١٩ مرة ومثله اسم أبي.

وقال إن المسلمين عندهم عقيدة التثليث: «الإجماع والحديث والسنة»

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(٦٧).

وهذا يتنافى مع القرآن وكفّر البخاري، وقال: «جميع الأنبياء من قبلي لم يُؤتوا معشار ما آتاني ربي، والأنبياء ثلاثة فقط هم: إبراهيم ومحمد وأنا»، ويقول: «ليس هناك نصًّا قرآنيًا يلزم زوجتي الأمريكية بتغطية شعرها ووجهها أو خلع البنطلون». وقال: «أخبرني جبريل الأسبوع الماضي أن كل من ينكر السنّة لن يموت ولن يُوضع في قبر بل يدخل الجنة ومباشرة، كما أخبرني من قبل أن من يؤمن بي لن يُسأل عما ارتكبه من ذنوب ومعاص وفواحش قبل الأربعين».

❑ ولقد أعدّ صبحي منصور بخط يده رسالة مدّعي النبوة إلى العالم وكان العنوان «رسالة إلى العالم الجديد» جاء فيها:

«إن اللَّه يحب أمريكا التي تأسست على حرية العقيدة، والتي تنفرد في كل بلاد الدنيا بأن تكتب على عملتها (الدولار) «نحن نُؤمن باللَّه»، ولذا فإن أمريكا هي أحب الشعوب إلى اللَّه؛ ولأن العالم القديم قد أُرسل إليه العديد من الرسل، فقد حان أن تتلقى أمريكا بركة عظيمة «رسولاً من عند اللَّه» يساعدهم ويهديهم ويحلّ مشاكلهم المستعصية مع العقاقير والكحوليات والجريمة والفقر.

وكما جاء الأنبياء من قبل بمعجزاتهم، فإن رسول اللَّه إلى العالم قد جاء بدليل مثبت بالكمبيوتر!!! والذين فحصوا البرهان جيدًا توصلوا إلى قناعة مطلقة أنني رسول اللَّه، وباعتباري مكلفًا من قِبَل اللَّه مؤيدًا ببرهان مادي لا يمكن أن يدحضه أي باحث شريف يتمثل في قانون رياضي هائل ضمن رسالة إلهية إلى العالم، وقد ذُكر اسمي «رشاد» في القرآن مرتين» اهـ.

❑ وعند وقوع الخلاف بينه وبين صبحي منصور قال عنه صبحي منصور: «رشاد خليفة خليفة، هو الكاذب في كل نفس من أنفاسه، وقد ظل يكذب ويتحرّى الكذب حتى خالط الكذب كل خلية من خلايا لحمه وعظمه؛

لأن رشاد خليفة حين ادّعى النبوة والرسالة كان نبيًّا للشيطان ورسولاً من إبليس» اهـ. نقلاً عن «منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه.

* وممن أنكروا بعض الأحاديث المتواترة أو الصحيحة:

* الشيخ محمد بخيت المطيعي: جوّز تولّى رجل غير مسلم سدّة الخلافة العظمى بعد أن أنكر جميع ما ورد من السنّة، وأوّل آيات الكتاب المخالفة لذلك تبريراً للحكم الإنجليزي آنذاك، ويعتبر هذا الاستنباط مفخرة عظمى وتوفيقًا إلهيًّا لا يصل إليه إلا المخلصون من عباده»[1] !!!.

* وعلى درب الوالد سار الابن:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عــوّده أبوه

حسين أحمد أمين على درب والده، وللابن كتاب «دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين»، وهذا الكتاب أخذ جائزة أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي ١٩٨٤م وكله طعن في السنّة، ويقول هذا الرجل: «ما كان أبي أحمد أمين يفرض علينا الصلاة».

وله فتوى عجيبة في حدّ السرقة فيقول: «لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصاف قتله. لذلك كان من المهمّ للغاية أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة بالغة الشدة لجريمة السرقة في مثل هذا المجتمع»[2].

☐ وقال عن الحجاب «وهم صنعه الفرس والأتراك، وليس في القرآن نص يحرّم سفور المرأة أو يعاقب عليه»، و«أن الرجال يتمسّكون بالحجاب

(١) انظر «المنار» (٢٣٨/٩) عدد مارس ١٩٠٦م، ١٣٢٤هـ.

(٢) «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين ص(١٤١) ـ طبعة مدبولي/ نقلاً عن إسلام آخر زمن: للأستاذ منذر الأسعد ص(٨٤) ـ دار المعراج ١٤١١هـ.

ليستبدوا بالمرأة، فينفّسوا عن قهرهم سياسيًّا واجتماعيًّا»[١] .

❑ وأتى عبداللَّه عنان فأنكر أحاديث المهدي المنتظر والمسيح وكتب تحت عنوان «أساطير دينية عماد حوادث كبرى في التاريخ»: «لم تزدهر هذه الأساطير من الوجهة العلمية قدر ازدهارها في الدول الإسلامية، وكانت أسطورة المهدي من بينها أقواها وأبعدها أثرًا.. ومثل أسطورة المهدي المنتظر أسطورة المسيح وهي ترجع إلى أصل يهودي ولها في الإسلام مكان أيضًا، بل تُمزج أحيانًا بأسطورة المهدي فيُقال: إن المسيح المنتظر يظهر في أثر المهدي أو يظهر معه ويأتّم به».

* وعلى الدرب سار الدكتور مصطفى محمود:

فأنكر شفاعة الرسول ﷺ وأنكر الرجم وردّ الأحاديث منذ ربع قرن من الزمان حين أفادتنا مجلة «صباح الخير» في العدد (١٠٩٣) بتاريخ ١٦/١٢/١٩٧٦ بوقوف الدكتور على فقه منكري السنّة وتأييده لهم، فهو يسير على منوالهم. وصدق القائل: «إن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة فعليكم بالعتيق»[٢] .

* منكر السنة مصطفى كمال المهدوي صاحب كتاب «البيان بالقرآن» وتصدي الشيوخ في ليبيا له:

هذا الدجال المولود في الإسكندرية عام ١٩٣٤م لأب ليبي وعمل بالقضاء في ليبيا منذ عام ١٩٦٠م حتى أحيل للتقاعد على وظيفة مستشار عام ١٩٩٤م أشار إلى إنكاره للسنة الدكتور طه حبيشي..

(١) «موقف القرآن من حجاب المرأة» لحسين أحمد أمين/ الأهالي القاهرية ٢٨/١١/١٩٨٤م عن كتاب «غزو من الداخل» ص(٥٥).

(٢) «السياسة الأسبوعية» ص(١٧) العدد ٩٥ بتاريخ ٣١/١٢/١٩٢٧م.

كتب هذا الضال سلسلة مقالات في الصحف الليبية تحت عنوان «أفلا يتدبرون القرآن» ثم نشرها في كتابه الذي يحمل فكره «البيان بالقرآن» وقام الشيوخ في ليبيا ضده وعلى رأسهم الشيخ المستشار القضائي علي ونيس أبو زغيبة الذي كان يقف على منبر مسجده كل جمعة ويصفه «بالجهول الظلوم السفيه المتسلط» وردّ عليه الأديب عبدالكريم الوثّاق بعنوان «محاكمة البيان بالقرآن» جمع فيه ما نُشِر في الصحافة من هجوم ونقد ضد الكتاب.

❑ يقول هذا المأفون في إنكاره لحد الرجم للزانية المحصنة:

«إن لفظيْ الزاني والزانية جاء مُعَرّفين بالألف واللام بما يدل على ثبات الحالِ ودوامه في ممارسة الزنا، ولذا فلا ينطبق الحد الشرعي على الزاني والزانية إلا إذا كان ذلك عملاً مستمراً وثابتًا، أما الذي يزني مرة أو اثنين لشهوة أو نزوة أو غير ذلك فلا يُقام الحدّ عليه، أما المرأة فتحبس في بيتها حتى يتوفاها الموت أو يجعل اللَّه لها سبيلاً». ولقد أطلق هذا الضال لفظ «أوصياء على الدين» بصفة الذم على أبي هريرة وابن عباس وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم.

❑ ويقول: الإسلام قرآن وسنن الأنبياء جميعًا!!! ليس قرآن وسنة، وحينما سُئِل ماذا تقصد بسنن الأنبياء؟ قال: أن نصبر كصبر يعقوب.

❑ وهو يقول إن الصلوات المفروضة خمس صلوات: «الصلوات الخمس حسب القرآن هي: فجر، وصبح، وظهر وعصر، وصلاة واحدة من دلوك الشمس إلى غسق الليل». ويقول: «الصلاة ركعتان - لجميع الصلوات من صلاة الصبح وحتى صلاة الدُّلوك». وكان يقول: «السنة ليست منهاجي، ولا أقبل غير منهج القرآن، ليس عندي غير القرآن ولا تلزمني بالسنة. والسنة نعرضها على القرآن».

❑ ويقول عن «العمرة» في كتابه ص(٩٤): «والعمرة هي عمارة المسجد

الحرام وهي واجبة للمساجد جميعًا، وتكون بالبناء والترميم والفرش والإضاءة والمصاحف والصلاة فيها»!! أمّا الحج عنده فطوال ستة أشهر تقريبًا.

❑ يقول هذا المأفون: «إن اللَّه تبارك وتعالى حفظ لنا كتابه، وفيه الدين كله مفصّل، وفيه السنّة أيضًا، فيما تصف الآيات الكريمة خُلُق الرسول الكريم وأفعاله وأقواله فيجب أن نكتفي بذلك ونهجر ما سواه. إنه من الصعب أن نتأكد من أن الذي كتب صحيح البخاري هو البخاري نفسه.

إن ما يُوصف بأنه سنة رسول اللَّه ﷺ من حيث كونها تكميلاً للقرآن أو تفصيلاً أو تفسيراً لهو مردود مرفوض بآيات القرآن.

ويقول عن الصلاة في كتابه «قراءة الفاتحة ليست شرطًا في الصلاة، وإنما تُقرأ لأنها من القرآن. والفاتحة ليست هي السبع المثاني، والسبع المثاني هم العينان والشفتان والأذنان.. إثباتًا لبشرية النبي.

❑ تسبيح المصلي في ركوع أو سجود وقول سمع اللَّه لمن حمده كله باطل.

❑ ليست هناك صلاة جهرية وأخرى غير جهرية، ولا تشهد أوسط أو أخير إذ تنتهي الصلاة بالسجود.

❑ لا صلاة جمعة إنما المقصود بآية النداء هو قول الصلاة جامعة عند كل صلاة مفروضة في يوم الجمعة، إذ لا أذان للصلاة في بقية الأيام»[1].

❑ وفي فتوى له عن حكم أكل لحوم الكلاب قال: إن القرآن الكريم لم يرد فيه نص واحد يحرّم على العموم أكل الكلاب الضالة والمستأنسة، ولذا فإن لحم الكلاب طعام شهي لمن يريدون أكله ولا إثم عليهم فيما يفعلون.

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه ص(٧٩ ـ ٩٤) ملخصًا.

*** العقيد معمر محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي وإنكاره للسنة وتصدي العلماء له وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ:**

«في ٣/ ٧/ ١٩٧٨م عُقدت في طرابلس «ليبيا» ندوة علمية حول منزلة السنّة النبوية من القرآن الكريم شارك فيها عدد من مفكري البلاد الإسلامية، تحدّث فيها الرئيس معمر القذافي، مُركّزًا على التناقضات التي ادّعاها في الأحاديث النبوية التي تحتويها كتب الصحاح والسنن مستشهداً بعدد من النصوص الحديثة التي يتصور أن بينها تناقضًا ثم ختم حديثه قائلاً:

«إن في البخاري ومسلم أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ لا تتفق مع القرآن، وقد دُوِّنت بعده بأكثر من مائتي سنة، يرتفع فوقها علامة استفهام»، ثم يضيف: «إذن لنجمع كل ما قيل من حديث ونقارنه بالقرآن فالذي يتفق معه نعمل به، والذي لا يتفق معه لا نعمل به، ولا نقول: قال البخاري وقال مسلم فالقرآن معروف ومحفوظ ولا يختلف فيه المسلمون من جاكرتا إلى طنجة» بثّت قنوات الإذاعة والتلفاز الليبية ونقلت على الهواء مباشرة هذه الكلمات القاسية على كل نفس تنتمي إلى عقيدة الإسلام، فكانت صدمة ألجمت كل ألسنة المسلمين في ليبيا الشقيقة، وهم يستمعون إلى رئيسهم في أطول حديث وأجرأ حديث سهر أمامه الشعب الليبي حتى الثانية من صباح اليوم التالي.

وقبل أن يُشرق شمس اليوم الجديد، كانت ليبيا ثلاثة أحزاب:

أولها: الحزب الذي صفّق طويلاً سعيداً بما أسمَوْه في صحفهم «بروتستانتية» إسلامية جديدة.

وثانيها: الحزب الذي حبس غضبه في صدره مكلومًا، يضرب أهله كفًّا في حسرة وألم قائلين: وإن سلّمنا جدلاً أن هناك بعض الأحاديث النبوية

المنسوبة كذبًا إلى النبي في كتب الحديث، فهل يجوز أن نتخذ ذلك تكأة لهدم كل معتقدات المسلمين؟!

أما ثالث الأحزاب: فهم هؤلاء الذين التزموا الصمت، إمّا جهلاً بخطورة ما سمعوا، أو خوفًا من تبعة الغضب فيما لو عبّروا عن مشاعرهم، أو تجاهلاً متعمّدًا»[1] .

*** وفرية أخرى: ادّعاء النبوة:**

أعدّت الكاتبة الإيطالية ميريللا بياتكو، كتابًا باللغة الفرنسية صدر عن شركة stoc في باريس وطُبع في مطابع دار الشورى ببيروت في ١٥/ ٢/ ١٩٧٤م تحت عنوان «القذافي رسول الصحراء».

وكان سؤال المؤلفة لمعمر القذافي بهذه العبارة: يا رسول اللَّه!! أرعيتَ الغنم؟ فأجاب العقيد: بلى فلم يكن هناك نبي لم يفعل ذلك.

Envoyed. allah tuas donce etetre de moutons?

Qui etil yapas de prophete Qui ne laitete.

◻ وجاء الرد «ببيان من الرئاسة العامة للمجلس الأعلى للمساجد حول ما دار مع العقيد معمر القذافي حول إنكاره للسنّة النبوية كمصدر للتشريع كما تناقلتها الصحف والأنباء»: على لسان الشيخ ابن باز - رحمه اللَّه - «قام وفد من الأمانة العامة للمجلس المذكور برئاسة فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية وعضوية كل من فضيلة الشيخ أبي بكر محمود جومي كبير قضاة نيجيريا وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ أحمد الحماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ علي

---

(١) المصدر السابق ص(١١٨).

مختار الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد بزيارة الجماهيرية الليبية بناءً على ما دار بين الأمانة والجماهيرية للبحث مع فخامة العقيد معمر القذافي حول ما تناقلته الصحف والأنباء من إنكاره للسنة النبوية أن تكون مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد تم بالفعل اجتماع الوفد بفخامته في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر صفر ١٣٩٩هـ في مدينة بني غازي بليبيا وتبادل الجميع وجهات النظر، وبيّن الوفد لفخامته الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على عظيم منزلة السنة في الإسلام، وأنها الأصل الثاني في إثبات الأحكام وأن العلماء قد عنوا بها وعرفوا صحيحها من سقيمها، ووضعوا لذلك قواعد وأصولاً يُعرف بها صحيح الأحاديث من ضعيفها، وأجمعوا على اعتماد ما صحت به الأحاديث فأظهر اقتناعه بأكثر ما قاله الوفد، وأوضح فخامته للوفد موقفه من الكتاب والسنة والحديث. وأنكر بشدة ما نُسب إليه من أنه حذف كلمة «قل» من «قل هو اللَّه أحد» أو أنه صلى العصر ركعتان حضراً، كما أوضح للوفد بأنه يعترف بالسنة الفعلية فقط كالصلاة والحج أما الأحاديث القولية فإن ما يصح عنده منها يعمل به ووعد أنه سيُعلن ذلك على الملأ.

هذا ملخص قرار الوفد وقد سرّنا كثيراً رجوع فخامة العقيد إلى الصواب في الأخذ بالسنة الصحيحة، وقد دلّت الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة واجتماع أهل العلم على أن السنة الصحيحة القولية والفعلية والتقريرية أصل عظيم من أصول الإسلام، وهي الأصل الثاني في إثبات الأحكام الشرعية وبيان الحلال والحرام، وهي الوحي الثاني، كما أجمع العلماء أيضًا على أن من جحد كون السنة أصلاً معتبراً يرجع إليه في الأحكام، وزعم أنه يكتفي بالقرآن عنها فهو كافر مرتد عن الإسلام، وقد صنف في ذلك الحافظ السيوطي رسالة سمّاها «مفتاح الجنة في الاحتجاج

بالسنة» ذكر فيها الأدلة من الكتاب والسنة والآثار على وجوب تعظيم السنة والأخذ بها وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام، كما ذكر فيها إجماع العلماء على كفر من أنكر السنة وزعم أنه لا يحتج إلا بالقرآن، ولا شك أن من أنكر السنة فقد أنكر القرآن وكذّبه؛ لأن القرآن الكريم قد أمر في مواضع كثيرة بطاعة الرسول ﷺ واتّباعه وعلّق الرحمة والهداية ودخول الجنة والنجاة من النار على ذلك.

□ وقد كتبنا في هذا المقام مقالاً أبسط من هذا البيان ننشره قريبًا إن شاء اللَّه.

□ فالواجب على فخامة العقيد أن يعلن توبته إلى اللَّه سبحانه من إنكاره ما أنكر من السنة، وأن يعلن التزامه بما صح منها عند أهل العلم كأحاديث الصحيحين وغيرها مما صحّ عن رسول اللَّه ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريرًا.

وهنا أمر عظيم يهمّ القرّاء والمسلمين يتعلّق بفخامة العقيد، ويجب علينا التنبيه عليه وبيان حكمه، وهو أن الكاتبة الإيطالية (ميريلابيانكو) قد ذكرت في كتابها (القذافي رسول الصحراء) ص(٢٤١) عن فخامة العقيد ما يدلّ على أنه يدّعي أنه رسول من رسل اللَّه، وقد خاطبته في الصفحة المذكورة بقولها له: يا رسول اللَّه أكنت راعي غنم؟ فأجابها بقوله: «بلى فلم يكن هناك نبي لم يفعل ذلك»، وهذا الجواب يقتضي إقراره لها على أنه رسول اللَّه؛ لأنه لم ينكر عليها ولم يقل لست برسول، ومعلوم أن دعوى الرسالة أو النبوة بعد نبينا محمد ﷺ كفر أكبر وضلال عظيم وردّة عن الإسلام بإجماع المسلمين؛ لأن ذلك تكذيب لقول اللَّه عز وجل: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وتكذيب لما تواترت به الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ الدالة على أنه خاتم

النبيين والمرسلين لا نبي بعده ولا رسول، وقد قاتل الصحابة ﷺ من ادّعى النبوة بعده واعتبروه كافراً حلال الدم والمال كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والمختار بن أبي عبيد الثقفي، وقد أجمع علماء الأمة إجماعًا قطعيًّا على أن نبينا محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين لا نبي بعده ولا رسول، وقد كفّر العلماء في عصرنا وقبل عصرنا مرزا غلام القادياني لما ادعى النبوة، وكفّروا من صدّقه في ذلك.

فالواجب على فخامة العقيد أن يُعلن في وسائل الإعلام تكذيبه لما زعمته هذه الإيطالية وأنه يبرأ إلى اللّه من ذلك إن كان ذلك لم يقع منه، فإن كان وقع منه فالواجب عليه إعلان التوبة النصوح من ذلك، ومن تاب تاب اللّه عليه، كما دلّ على ذلك كتاب اللّه المجيد وسنّة رسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ومن قول اللّه سبحانه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠]. فبيّن سبحانه أنه لا بدّ من إعلان التوبة وبيان ما كتم من الحق، وقال النبي ﷺ: «**التوبة تهدم ما كان قبلها**». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ونسأل اللّه أن يهدينا وإياه سواء السبيل، وأن يمنّ علينا وعليه وعلى سائر المسلمين بالتوبة النصوح من جميع الذنوب إنه وليّ ذلك والقادر عليه وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان» انتهى رد فضيلة الشيخ ابن باز على القذافي[1].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية - العدد الخامس محرم - جماد الثاني ١٤٠٠ هـ تحت عنوان «ايضاحات وتنبيهات» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ص(٢٦٢ - ٢٦٣)، ومجلة المجتمع الكويتية العدد ٣٩٣ ص(٢١)، وكتاب «السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح ص(٣٥٣ - ٣٥٤). وهذه رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية بالجامعة بالمدينة المنورة.

فللّه درّ ابن باز من مدافع صلب عن الإسلام وعقيدة أهل السنة والجماعة من سلفنا الصالح.

*** شطح وانفلات:**

في يوم الاثنين ١٨ من ذي الحجة ١٤٠٠هـ الموافق ٢٧ من أكتوبر ١٩٨٠م صدرت جريدة أخبار العالم الإسلامي التي تصدرها «رابطة العالم الإسلامي» من مكة المكرمة، تحمل مانشيتًا رئيسيًّا «القذافي رأس حربة ضد الإسلام» أما الخمس عشرة صفحة التالية من الجريدة فكانت عبارة عن ملف صحفي عن إنكاره حجية السنة النبوية، وادعائه النبوة، وإنكاره تعدد الزوجات، وحجاب المرأة في القرآن، وإلغائه العمل بالتاريخ الهجري، وتأييده الاستعمار الروسي لأرض أفغانستان، ثم دعوته المصلين في صباح عيد الأضحى من هذا العام إلى ترك الحج قائلاً: «فليعلم المسلمون في كل مكان من العالم أن مكة الآن، الكعبة الشريفة، بيت اللّه، وأن المدينة المنورة وقبر الرسول، وأن جبل عرفات المقدس تقع الآن تحت طائلة الاحتلال الأمريكي، فأي معنى للحج هذا العام أو في الأعوام القادمة إذا استمر الاحتلال، إن المعنى الوحيد هو القتال والجهاد لتحرير بيت اللّه، ومن يمارس شعائر الحج متجاهلاً هذه الحقيقة إنما هو يمارس عبادة ساذجة ليست هي التي أرادها اللّه، والآن المسلمون يؤدون شعائر الحج تحت ظلال الطائرات الأمريكية[1]، وعندما يرفعون رءوسهم إلى السماء وهم يدعون تسقط عليهم نفايات وفضلات الطائرات الأمريكية ويعتقدون أنهم سيعودون وقد غُفرت ذنوبهم وقُضيت حوائجهم، ولن تغفر الذنوب ولن تُقضى الحوائج إلا إذا تحوّل الحج إلى معركة، وتحوّل الدعاء للغفران إلى دعوة للجهاد والقتال»[2]..

---

(١) أي صفقة طائرات التصنت.

(٢) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللّه ـ جريدة الأحرار ١١ =

ثم بعد هذا يدافع عنه د. محمد بن عبدالكريم الجزائري الليبي المولد والجنسية في كتابه «القذافي والمتقوّلون عليه»:ـ

فلتسمعنّ بكل أرض داعيًا ... يدعو إلى الكذّاب أو لسجاح

ولتشهدن بكل أرض فتنة ... فيها يُباعُ الدين بيع سماحَ

يُفتى على ذهب المعز وسيفه ... وهوى النفوس وحقدها الملحاحِ

نعم انظر إلى طوام العقيد:

ـ يبيح التعدد من اليتيمات فقط!!

ويقول: «كل من يخرج على القرآن هو من الخوارج ولو كان مسلمًا، وبذلك تنتهي مشكلة: هذا مسلم وهذا مسيحي»[1].

□ يقول الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي بكلية الألسن جامعة عين شمس عن المجموعات القصصية التي كتبها معمر محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي والتي أثنى عليها حملة المباخر من جوقة النقاد المسبّحين لهذا العمل الفذ، والتي هبت وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية بالجماهيرية الليبية ابتداءً من ديسمبر عام ١٩٩٣م تعلن في أوقات متواصلة طلوع نجم السياسي الكاتب العقيد القذافي من خلال هذه المجموعة القصصية.. يقول الدكتور جابر قميحة عن أدب العقيد في مجموعاته القصصية: «إن الأدب المقصود حرص فيه كاتبه أن يزرع في تضاعيفه أساليب سمّاها حواريوه من النقاد «سخرية راقية»، وهي في الحقيقة إذا ما قدمنا مفارقة بين السخرية الأدبية والفنية، وبين التهريج، لأدرك القارئ بسهولة؛ أن ما قدّمه القذافي الأديب يمثل تهريجًا في صورته الهابطة المبتذلة.

= جمادي الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٢ أغسطس ١٩٩٩ ـ الحلقة (١١).

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٢٦).

لأنه في بساطة قول، تهكّم في قصصه الأدبية هذه، بأسلوب سوقي على بعض صحابة رسول اللَّه ﷺ، من أمثال خبيب بن عدي، وخالد بن الوليد، وأم أيمن، واستهزأ بعلماء السلف من أمثال ابن تيمية وأبي حامد الغزالي والحافظ ابن كثير، ونال من سيد قطب والبنا، إلى أن بلغ به الأمر إلى التهكّم على أم المؤمنين زينب رضي الله عنها.

وحتى لا يظن ظان بنا سوء فالمجموعة القصصية يمكن الحصول عليها، والتهكم والاستهزاء ليس فيه تورية مما قد يكون حمّالاً للتأويل أو التجني على الكاتب، إنما كان الكاتب العقيد واضحًا في ذلك تمام الوضوح»[1].

☐ يقول القذافي في خطبة ١٢ ربيع الأول ١٣٨٧ (١٩/ ٢/ ١٩٧٨) عن النبي ﷺ نصًّا بأنه «مجرد بوسطجي»، وقال بالنص في هذه الخطبة: «إن المسلمين ابتعدوا عن الدين الإسلامي وهم في طريقهم إلى النتيجة التي وصل إليها المسيحيون، ونحن الآن بدأنا عبادة الأصنام، وبالأحرى في بدايته، فنحن نجسّم النبي حتى يحجب اللَّه، ولو قلت لكم «رسول اللَّه» لقلتم كلكم «صلى اللَّه عليه وآله وسلم» ولو قلت لكم: «اللَّه»: لما تكلم أحد، وهذا نوع من الاستعباد والوثنية». وقال نصًّا: «إن صلاتنا على النبي ﷺ تعني أننا نخافه أكثر من اللَّه أو أننا نرى الرسول أقرب إلينا، مثل المسيحيين الذين قالوا: إن عيسى أقرب من اللَّه»[2].

☐ ويقول في خطابه هذا المطبوع ص(١٤): «النبي لو كان يقول: اتبعوا حديثي، يعمل بديل للقرآن، لكنه باستمرار كان يؤكد تمسكه بالقرآن فقط»!!!

---

(١) المصدر السابق «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٤٠) - انظر جريدة الأحرار ٢٠ جمادي الأولى ١٤٢٠هـ - ٣١/٨/١٩٩٩ - الحلقة (٢٠).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٢، ١٤٣).

وص(١٦): «القرآن لم يرد فيه أن النبي قال عليكم أن تتبعوا كل الكلام الذي قلته وإلا فأين الكلام الذي قاله لمدة أربعين عامًا قبل البعثة»[١] .

وقال ص(٢٣): «لو كان الحديث الذي يقوله الرسول يُعتد به أو يُؤخذ كشريعة، لوجب أخذ كل كلامه حتى الذي قبل الرسالة».

وص(٢٦): «سنّة النبي هي عمله، وليس كلامه، فهل النبي كان يسرق؟ طبعًا لا، هذه سنّة من سننه، ومن أخلاقه أنه لا يكذب ولا يسرق، ويتصف بالأمانة والنزاهة، هذه هي السنّة، أي أنها تصرّف النبي وطريقته في ذلك، إذن كيف نأتي بعد ألفيْ سنة، ونقول إن الحديث هو السنّة».

□ ويقول في قصته «الموت» محدداً جنس الموت فيقول عنه بأنه «أنثى، لأن أباه؛ ـ أبا معمر القذافي ـ استسلم له في النهاية، ولو كان ذكراً لقاومه وانتصر عليه فيقول نصًّا: «ولكني تأكّدت أخير أنه أنثى لأن أبي استسلم لها يوم ٨/ ٥/ ١٩٨٥ ولم يحرّك ساكنًا لمقاومتها».

وفي مجموعته القصصية «الفرار والموت» التي تضم اثنا عشر عملاً «المدينة، عشبة الخلعة، ملعونة عائلة يعقوب ـ أفطروا لرؤيته ـ دعاء الجمعة الآخرة ـ وانتهت الجمعة دون دعاء ـ المسحراتي ظهراً ـ القرية القرية ـ الأرض الأرض ـ الفرار إلى جهنم ـ الموت. . .

يقول في «دعاء الجمعة الآخرة» هازئًا بالكتب الشرعية: «فقه السنّة في استعمال الشامبو والحنّة» و«الكناش في دخول الجنة ببلاش»، ويصف مؤلفات ابن تيمية الذي يقول عنه ساخراً «تيمية» بدلاً من ابن يقول عنها: «تشرح لكم حكمة الأكل بثلاث صوابع، والأكل وأنت متكئ، والأكل في قصعة العود أو قصعة الحديد».

---

(١) هو نفس كلام رشاد خليفة.

□ وفي عمله «وانتهت الجمعة بدون دعاء» يقول مستهزئًا متهكمًا من «أم أيمن» رضي الله عنها والتي كان النبي صلى الله عليه وسلم يناديها «يا أمي»، ويقول: «هذه بقية أهل بيتي»، يقول عنها: «أم أيمن كادت تموت عطشًا بين مكة والمدينة وهي صائمة، فنزل عليها حساء من شوربة بالمعدنوس، ودلو ماء معدني ماركة «أفيان» ولم تعطش طيلة عمرها بعد «أفيان»، ويقول عن خبيب بن عدي رضي الله عنه: «وهل العنب الذي كان يسقط على خبيب بن عدي، وهو أسير عند المشركين في مكة، كان من كوكب الزهرة، أم من كوكب عطادر؛ لأن مكة لا عنب فيها». ويقول عن سيف اللَّه خالد: «إن خالدًا حاصر حصنًا منيعًا للروم، وطلب منهم التسليم فقالوا له: لا نسلم حتى تشرب السم، فشرب قدحين منه ولم يوجعه مصران واحد من مصارينه»[1] انتهى ولا تعليق.

*** دجّال السودان حسن الترابي يردّ السنة، وينحرف عن قواعد الدين ويطعن في الصحابة وينكر حدّ الردة والرجم ويمجّد الفن ورقص الغرب!!**

من أراد أن يعرف ضلال هذا الرجل فلينظر إلى بعض أخطائه كما يعددها فضيلة الدكتور جعفر شيخ إدريس:

- نظرته للسنة النبوية المطهرة.
- نظرته لصحابة رسول اللَّه رضي الله عنهم.
- نظرته إلى فقهاء أمة الإسلام.
- نظرته إلى مجمع تاريخ المسلمين.
- إنكاره لبعض الحدود الشرعية.

---

(١) «شبهات وشطحات منكري السنة» ص(١٤٧، ١٤٨)، وجريدة الأحرار ٢١ جمادي الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١/٩/١٩٩٩ ـ الحلقة (٢١).

ـ آراؤه المتناثرة في الاجتهاد والمرأة والموسيقى.

وزد على ذلك نظرته أنه لا ضابط لتفسير القرآن إلا ما يمليه تجديد اللغة والاستحداث الاجتماعي والإعمال العقلي لفهم الدلالة دون أية قيود أو قوالب.

وقد تصدت له جماعة أنصار السنة بالسودان بشيوخها من علماء الدعوة السلفية، وتصدّى له الدكتور عصام البشير وهو من قيادات العمل الإسلامي بالسودان وفي خطب الجمعة أعلن هذا الداعية الصادق بكل وضوح وعلى الملأ الحرب على فكر الترابي، وأهال كل تراب السودان على رأسه، وما تحويه من نظريات تجديدية.

* آراؤه في العقيدة:

يذهب الرجل إلى قول ما سبقه إليه أحد وهو تجديد العقيدة فيقول: «لا بد إذن من تجديد الفكر العقدي الإسلامي في كل طور؛ لأن الشرك في كل عهد من العهود يتخذ مظهراً مختلفًا»[١].

ويقول: «كذلك ينبغي لفقه العقيدة اليوم أن يستغني عن علم الكلام ويتوجّه إلى علم جديد غير معهود للسلف»[٢].

ويقول: «لا تجد في مباحث العقيدة حديثًا عن الفن، كأن التوحيد يجمع الحياه كلها صلاتها ونسكها ومحياها ومماتها ويترك الفن ولكن الواقع أن مباحثنا العقدية الإسلامية مباحث فقيرة وليست مباحث توحيدية»[٣].

---

(١) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن الترابي ص(٤٢) ـ الدار السعودية للنشر طبعة ٢ ـ ١٤٠٧هـ.

(٢) المصدر السابق ص(٤٤).

(٣) من محاضرة له ألقاها في الخرطوم وقوله هذا مسجّل بصوته.

● ويقول عن الرسول ﷺ: «ما برضه الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ومرات مرات يقول أخبار تطلع غلط»[١].

❑ ويقول عن حديث الذبابة: «إنه أمر طبي آخذ فيه بقول الكافر ولا آخذ بقول الرسول ﷺ ولا أجد في ذلك حرجًا ألبتة»[٢].

❑ ويقول في عصمة النبي ﷺ: «ولا إيه تقول في القرآن في العملوه الأنبياء دول والرسول ذاتو ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، و﴿ويتوب اللَّه عليك﴾ وكان الرسول يستغفر، يستغفر من إيه؟ من الصلاة؟ هآ هآ هآ هآ.

❑ وهو ينكر نزول المسيح عليه السلام:

قال محمد سرور بن نايف «أنكر أستاذ الحقوق الدستورية في الجامعات السودانية الدكتور حسن عبداللَّه الترابي نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان، فقلت له في مجلس ضمّنا قبل أكثر من إحدى عشرة سنة، كيف تنكر حديثًا متواترًا؟ قال: أنا لا أناقش الحديث من حيث سنده وإنما أراه يتعارض مع العقل، ويُقدّم العقل على النقل عند التعارض، وقال أيضًا: هناك أحاديث قالها الرسول ﷺ بصفته البشرية فهي ليست حجة رغم صحة أسانيدها وتوسّع في ذكر نماذج من هذه الأحاديث»[٣].

❑ ويقول في محاضرة له مسجلة بصوته «كل الصحابة عدول؟ ليه؟!!»[٤] أي لماذا؟!

---

(١) «الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول» لأحمد بن مالك جامعة أم درمان قسم الدراسات العليا.

(٢) نقلاً عن محاضرة له بصوته.

(٣) «الصارم المسلول» ص(٦)، وكذلك قوله هذا مسجل بصوته في محاضرة له.

(٤) «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف ص(٣٠٨) طبع دار الأرقم، وتاريخ =

❑ ويقول عن تنظيمه الذي يترأسه في السودان مفضلاً له على مجتمع الصحابة: «يعني نحن هسع[١] مثلاً تنظيم جماعة كالجماعة الإسلامية طبعًا أدقّ من تنظيم جمهور المسلمين في عهد الصحابة طلّعو لهم مجتمع (أي الصحابة) نحن مآخذين منه نفس الآيات ونفس الأحاديث، طلّعنا مجتمع أدق وأكفأ وكده»[٢] .

❑ ويقول في سخرية عن ابن عباس: «وابن عباس ده كم مره قال كلام كده، زرّوه[٣] ، الآخر كده قال: ما قال الرسول، في الحقيقة كلّمني الفضل ابن عباس»[٤] .

❑ ويقول: «الصحابة، السيدة عائشة ما كانت تناقش الصحابة وتقول: كذبوا على رسول اللّه ﷺ»[٥] .

* إنكاره لبعض الحدود:

في محاضرة له بجامعة الخرطوم أجاز للمسلم أن يرتد عن دينه فقد قال: «وأود أن أقول إنه في إطار الدولة الواحدة والعهد الواحد يجوز للمسلم كما يجوز للمسيحي أن يُبدِّل دينه»[٦] .

❑ ويقول عن الحكم في الردّة: «هو حكم اجتهادي في تقديري وليس حكمًا حَدِّيًّا»، وجوّز هذا المأفون زواج المسلمة من الكتابي نقل ذلك عنه

= كتابة المقال في شوال ١٤٠٦ .

(١) الآن.

(٢) محاضرة مسجلة له.

(٣) أي: ضيّقوا عليه حتى يبيّن الحقيقة.

(٤) من محاضرة له مسجلة.

(٥) «الصارم المسلول» ص(٨).

(٦) من محاضرة «تحكيم الشريعة» بجامعة الخرطوم نقلاً عن «الصارم المسلول» ص(١٢).

الدكتور محمود الطحان في كتابه «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد»، ويقول إن الشيخ السنانيري ظل يحاوره على مفهومه هذا الخاطئ طويلاً وما اقتنع وما عدل عن رأيه.

وهو ينكر حد الرجم بالنسبة للزاني المحصن[١] ، أما حدّ شرب الخمر فيقول الترابي: «وكانت العقوبات التي افترضناها (أي في لجنة تعديل القوانين) لشرب الخمر رفيقة لا تتعدى الجلد بين عشرين وأربعين ولا تتعدى السجن نحو شهر أو أكثر من ذلك بقليل وغرامة قليلة»[٢] .

ويقول هذا الضال في هذيانه بدعوى تجديد أصول الفقه: «لا بد أن نقف وقفة مع علم الأصول تصله بواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تُؤخذ تجريداً حتى غدت مقولات نظرية عقيمة لا تكاد تلد فقهًا البتة، بل تولد جدلاً لا يتناهى».

وانظر إلى قوله في تجديد «الإجماع» وهو الأصل الثالث من أدلة الشرع بعد الكتاب والسنة وكما هو معلوم فإنه إجماع المجتهدين من الأمة لا إجماع الجهال.. يقول: «فيمكن أن نرد إلى الجماعة المسلمة حقها الذي كان قد باشره عنها الفقهاء.. وهو سلطة الإجماع. ويمكن بذلك أن تتغيّر أصول الفقه والأحكام ويصير إجماع الأمة المسلمة أو الشعب المسلم، وتصبح أوامر الحكّام كذلك أصلين من أصول الأحكام في الإسلام»[٤] .

---

(١) انظر «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين» للشيخ محمود الطحان ص(٣١) مكتبة دار التراث. وكتاب «الصارم المسلول» ص(١٢).

(٢) «الصارم المسلول» ص(١٢).

(٣) «تجديد أصول الفقه» للترابي ص(٧) الدار السعودية للنشر ط ١٤٠٤هـ.

(٤) المصدر السابق ص(٥٨).

* **موقفه من الفن:**

انظر إلى مدّعي التجديد والمزكي لنفسه يقول نصًّا: «كما قدّر اللَّه وأرسل محمد ﷺ وتلا (أي: تاليًا) للأنبياء ليجدّد رسالتهم، فبتوفيق من اللَّه أرسلني لتجديد فقه محمد».

ويقول عن الفنانين: «قد يكون باب الجنة الذي يدخلون به، اسمه «باب الفنانين في الجنة»[(١)].

وقال محذرًا من إهمال الفن:

«فلا بد إذًا من اتخاذ الفن لعبادة اللَّه، فمن تلقائه يضل كثير من الضالين وبه يمكن أن يهتدي المهتدون، فمن أهمله ترك بابًا واسعًا للفتنة الملهية عن اللَّه والداعية إلى معاصيه، ومن أخذه بما ينبغي فتح بابًا واسعًا للدعوة إلى اللَّه بدفع جاذبية الجمال ولعبادته أجمل وجوه العبادة»[(٢)].

وخذ آخر الطوام لهذا الضال الذي يجعل للراقصين والراقصات والمطربين والمطربات وممثلات الإغراء وعرايا الفن السابع بابًا في الجنة باسمهم يقول عن «الرقص» لجريدة «الصحافة» السودانية.

«الرقص تعبير جميل يصور معنى خاصًّا بما تنطوي عليه النفس البشرية من شعور.. إلى أن يقول: «ولا ننكر أن في الغرب رقصًا يعبّر عن معاني أُخر كريمة»[(٣)].

أخزاك اللَّه فليس بعد هذا إسفاف وابتذال وجنون.

---

(١) «الدين والفن» للترابي ص(١٠٦)، الدار السعودية للنشر ط١ ١٤٠٨هـ، ومحاضرة له - وقوله هذا مُسجّل فيها بصوته.

(٢) «الدين والفن» ص(١١٠).

(٣) جريدة الصحافة الصـــادرة في الخرطوم ١٥/١١/١٩٧٩م نقلاً عن «الصارم المسلول» ص(١٢).

في ذمة العلماء هذا كله إن كان فيما بيننا علماءُ

***روجيه جارودي من صنع الجهّال حوله هالات النور وهو يهدم دين الله من أساسه ويحطم الثوابت والسنة فيتصدى له شيخ الإسلام الفذّ الشيخ عبدالعزيز بن باز:**

حال هذه الأمة بعيدًا عن العلم حين يسود الجهال وحملة المباخر وأتباع كل ناعق من الهمج الرعاع يصوره حديث رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئُلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»** (١).

● وقال ﷺ: **«إن الله لا ينزع العلم منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء بعلمهم ويبقى جهال، فيسألون فيفتون، فيضلون ويضلون»**.

◻وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قرّاؤكم يذهبون ويتخذ الناس رؤساء جهّالاً يقيسون الأمور برأيهم» (٢).

لقد تكلّم في إسلام هذا الرجل الكثير وجعلوه فتحًا من فتوح الإسلام وأضفوا عليه وخلعوا عليه من الألقاب وكأنه مجدد هذا القرن، فلما ردّوا الأمر إلى شيخ الإسلام ابن باز «سقطوا على الخبير».

وقبل أن نأتي بكلام الشيخ عن جارودي نذكر بعض الأقوال لجارودي

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمي وابن ماجه عن ابن عمرو.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٥٧).

يهدم بها الثوابت من دين اللَّه:

❑ قال: «دخلت الإسلام وبإحدى يديّ الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس ولست مستعدًا للتخلي عن أي منهما»[١].

فانتسابه للإسلام لا يعني التخليّ عن الماركسية أو ترك النصرانية!!!!

❑ **ويقول عن القدر والإنسان:**

«إن اللَّه لم يخلق منفذين مستسلمين للقدر، إنه جعل من الإنسان خليفة أي خليفة اللَّه[٢] على الأرض، والخليفة ليس منفذًا قدريًّا، إنه إنسان يأخذ القرارات عندما يكون الحاكم غائبًا، ولا يمكن لأي كان أن ينزع منا هذه المسئولية»[٣].

❑ **أما عقيدته في اليوم الآخر:**

فهي تصور غريب لا يتفق مع التصور الإسلامي فعندما سُئل عن الحساب الأخير والبعث أجاب: «إن الحساب الأخير ليس حسابًا أخيرًا يعقب هذه الحياة، فاللَّه ليس في الزمان بما يتضمنه الزمان من تعاقب بين القبلي والبعدي، والاعتراف بالحساب الأخير لا يعني إذن مقارنته بمحكمة إنسانية فالحساب الأخير ليس هو الأخير في الزمان، وإنما هو كذلك في كل آن بوصفه الحكم المطلق والنهائي وراء أحكامنا الإنسانية لأنها قائمة على ظواهر نسبية وعلى نجاحنا وفشلنا وعلى خداعنا أيضًا.. ولهذا فحساب اللَّه هو

---

(١) Montour du siecle كما جاء في تصريح له صريح بأنه لم يتخلّ عن الماركسية! انظر السبيل العدد ١٠٤، تاريخ ١٢/١١/١٩٩٥.

(٢) وهذا قول خطأ فاللَّه ليس غائبًا حتى يخلفه غيره وقد جاء في الحديث «اللَّهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في المال والأهل والولد».

(٣) الموقف ١٩٨٤ انظر كتاب رامي كلاوي «جارودي من الإلحاد إلى الإيمان» ص(١٨٥).

الحساب الأخير في قيمته النهائية، وفي اعتماده على قانون مطلق لا في مجرى الزمان، ولذا فالإيمان بالحساب الأخير يعني أن نحيا في صفاء مع اللَّه في كل آن»[١] .

□ مفهوم البعث :

لم يكتف جارودي بإنكار القيامة ولكنه ينكر مفهوم البعث بصفته الحقيقية: وقد قال: «ذلك هو البعث، فهو ليس ظاهرة كيميائية غريبة يُسَوّى بموجبها لحمنا ودمنا وعظامنا من جديد.

إن الأمر يتعلق بمثل ضربه اللَّه لنا وهو اللغة الوحيدة التي اعتمدها اللَّه المتعالي، الذي ليس كمثله شيء ليُوحي إلينا بحقيقته التي لا تدركها حواسنا ولا فهمنا، فالبعث ممكن كل يوم، لأن قدرتنا على تقويم ماضينا تمكننا رغم هفواتنا وذنوبنا من بعث إنسان جديد واع»[٢] !!

□ أما السنّة :

يقول جارودي: «إن سنّة النبي لم تُوضع لأجل المستقبل، لما بعد وفاة محمد وحسب، إذ أن اللَّه يذكّر الرسول في عدة مناسبات أن من الواجب عليه، خارج الوحي الذي يبلّغه في القرآن أن يقول: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

في القرآن أمر بطاعة النبي لا تقليده، اللّهم إلا في إيمانه وعقيدته»[٣] .

«تُعدّ هذه المسألة عند جارودي من أخطر المسائل التي تناولها، فقوله

---

(١) مقدمة بقلم جارودي لكتاب محسن الميلي «المشكلة الدينية» ص(٧).

(٢) مقدمة لجارودي لكتاب «المشكلة الدينية» لمحسن الميلي ص(٨).

(٣) «الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها» لجارودي ص(٨٢).

يستهدف استبعاد السنة النبوية وعدم قبولها بعد وفاة النبي ﷺ»(١).

ويفتري جارودي على المسلمين بإدخالهم السنّة من خارج القرآن!!

فيقول: «لقد أُدخِل مَفهوم السنة من خارج القرآن وبعد وفاة النبي ﷺ» فهو يدعو إلى الاعتماد على القرآن وحده وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ يقول: «لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب اللَّه! فيضلوا بترك فريضة أنزلها اللَّه، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة، أو كان الحمل أو الاعتراف. قال سفيان: كذا حفظت: ألا وقد رجم رسول اللَّه ﷺ ورجمنا بعده»(٢).

* **الوحدة الفيديرالية الإبراهيمية:**

اقترح جارودي تصورا للطوائف الدينية فقال: «إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي ﷺ كانت إقامة ما نسميه اليوم «وحدة فيديرالية» للطوائف الدينية، لكن حصل أن هذا الأمر لم يتحقق أبداً في التاريخ: لا في المسيحية ولا في اليهودية أو في الإسلام لكن أعتقد أن هذه المعادلة قابلة للعيش والاستمرار، أي أن تصل بنا إلى روابط الجماعة»(٣).

وعقيدة الولاء والبراء تخالف معتقد جارودي هذا البتة.

ويقول عن تصوره لأساس الخلاف بين المسيحية والإسلام: «سنضع جانبًا أيضًا الاتهامات الموجهة من المسلمين إلى المسيحين حول سر التثليث لأن

---

(١) «فكر جارودي بين المادية والإسلام» لعادل التل ص(٧٣) ـ دار البيّنة.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) «الموقف» (١٩٨٤)، وانظر كلاوي ص(١٨١).

محتوى سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يتطابق تمامًا مع قول مجمع (لاتران) المنعقد عام ١٢١٥ حول التثليث: «اللَّه أب وابن روح قدس»، وهذه حقيقة معنى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ القرآنية»[1].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ تزوير للحقائق بصورة فاضحة من المفكر الكبير جارودي!! الذي يريد أن يجعل من الكفر إيمانًا بجرّة من قلمه.

أما عن قوله عن الحجاب وأحكام المرأة والتشريع الإسلامي فانحراف تام عن الإسلام.

من أجل فهم فتوى الشيخ ابن باز كان لا بد من هذه المقدمة حول بعض معتقدات جارودي لتعلم أي علم ووعي كان يحمله الشيخ ابن باز بين جنبيه.

بيان حكم الشرع في الجارودي
على ضوء المقابلة معه في مجلة المجلة
لسماحة الشيخ: عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز[2]

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد كثر في الآونة الأخيرة في الصحف والمجلات الكلام عن الرجل المسمى (روجيه جارودي) الشيوعي الفرنسي؛ الذي ادعى أنه دخل الإسلام عن اقتناع ومحبة ففرح بذلك بعض المسلمين وأظهروا حفاوة به، وأكرموه ومنحوه الثقة، وجعلوه عضوًا في المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة

---

(١) كتاب «الإسلام الحي» لروجيه جارودي ص(١٨) ترجمة دلال ومحمد طاهر.
(٢) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد (٥٠) عام ١٤١٨هـ. ص(٣٦١).

العالم الإسلامي، وصار يحضر الندوات واللقاءات التي تعقد في العالم الإسلامي عن الإسلام متحدثًا ومناظرًا. ثم لم يلبث أن تكشفت حقيقته وافتضح أمره وبان ما كان يخفيه في صدره من حقد على الإسلام والمسلمين، وأنه لم يزل على كفره وإلحاده فانضم إلى أشكاله من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ** ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وآخر ما نُشِرَ عنه الحوار الذي أجرته معه مجلة المجلة في عددها (٨٣٩) حيث جاء فيه: أنه لم يتخل عن اعتقاداته الخاصة وأنه لم يعتنق الإسلام الذي عليه المسلمون، وإنما اعتنق إسلامًا آخر تخيله بذهنه زعم أنه خليط من الأديان: اليهودية والنصرانية ومن الإسلام الذي تخيله هو، لا الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ، وقال إن هذا الإسلام المزعوم هو دين إبراهيم عليه السلام. فإبراهيم بزعمه هو أول المسلمين فالإسلام بدأ من عهد إبراهيم، قال: ولم يكن إبراهيم يهوديًا ولا مسيحيًا ولا مسلمًا بالإسلام التاريخي للكلمة أي الذي عليه المسلمون اليوم. وكذب في ذلك فإن الإسلام الذي هو توحيد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه هو موجود من قبل إبراهيم من عهد آدم ونوح والنبيين من بعده وهو دين جميع الرسل. وهو الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [النحل: ١٢٣]، وهو دين المسلمين اليوم من أتباع محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ولم يكن دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليطًا من الحق والباطل كما زعم هذا الضال؛

بل كان دينه التوحيد الخالص للَّه عزّ وجل والبراءة من الشرك وأهله قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وهو الدين الذي بعث اللَّه به محمداً ﷺ، ويرى هذا الضال أن البراءة من الكفر والشرك وما عليه اليهود والنصارى من الوثنيات والتحريفات الباطلة دين تفرقة؛ لأن الإسلام في مخيلته معناه التوحيد والتقارب بين المسلمين وغير المسلمين، يريد إسلامًا يجمع بين المتناقضات والمتضادات، ويكفر المسلمين الذين يخالفونه في ذلك.

ويرى أيضًا أن سنة الرسول ﷺ وأن الفقه الإسلامي المستنبط من الكتاب والسنة انتهت صلاحيتهما في هذا الزمان لأنهما كانا لزمان معين، وأنه يجب إحداث فقه جديد. وهذا معناه ترك دين الرسول ﷺ؛ لأنه لا يصلح لهذا الزمان وإحداث دين جديد. وهذا كفر بعموم رسالة الرسول لكل زمان ومكان، ولكل جيل، ولكل البشرية إلى أن تقوم الساعة، وكفر بختم الرسالة بمحمد ﷺ خاتم النبيين، وكفر بصلاحية رسالته لكل زمان ومكان، وهذا كفر صريح وقول قبيح مناقض لقول اللَّه سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

● وقول النبي ﷺ: «**كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1] متفق على صحته.

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب (التيمم) برقم (٣٢٣)، واللفظ له، ورواه الإمام مسلم في =

● وقوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»(١)، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد أجمع العلماء رحمهم اللَّه من الصحابة ﷺ ومن بعدهم إجماعًا قطعيًّا على أن محمد بن عبداللَّه بن عبدالمطلب ﷺ هو رسول اللَّه إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده.

ثم يتناول هذا الملحد الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة وهو الصلوات الخمس الثابت بالكتاب والسنة والمعلوم من الدين بالضرورة، فيرى أن الصلوات ثلاث صلوات في اليوم والليلة لا خمس صلوات. ويزعم أن هذا هو ما يدل عليه القرآن. وهذا القول الباطل بل الكفر الصريح ناتج عن كفره بالسنة التي بينت الأوامر التي جاءت في القرآن، ومن ذلك الصلوات فقد بينت السنة الصحيحة المتواترة أنها خمس صلوات في اليوم والليلة وأجمع المسلمون على ذلك:

ثم بين هذا الضال الصلاة التي يعنيها وأنها ليست الحركات التي هي عبارة عن القيام والقراءة والركوع والسجود، وإنما هو التفكير العميق في الذات الإلـهية، وذلك يستغرق عنده ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين ساعة. وهذه صلاة الباطنية الملاحدة لا صلاة الأنبياء وأتباعهم وهذا القول كفر صريح وردة عن الإسلام عند جميع أهل العلم.

= كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) برقم (٨١٠).

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب (الإيمان) برقم (٢١٨)، ورواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين» برقم (٧٨٥٦).

ثم تناول الركن الرابع من أركان الإسلام وهو الصيام وقال: إنه ليس هو الامتناع عن الأكل والشرب وإنما هو معاني الصيام وأهدافه. ثم إنه أعفى سكان المناطق القطبية من الصيام لأنه لا يمكن تطبيقه في مناطقهم؛ لأنه ليس عندهم طلوع فجر ولا غروب شمس. وهذا تكذيب للَّه ولرسوله ولإجماع المسلمين في أن الصيام ترك الأكل والشرب وسائر المفطرات.

* قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

● وقال النبي ﷺ: «إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم»[1] متفق على صحته. فمن أعظم منافيات الصيام الأكل والشرب. وأما الاقتصار على معاني الصيام وأهدافه فليس صيامًا شرعيًّا وإنما هو صيام الباطنية الذين يقولون الصيام هو كتم الأسرار، وهذا إلحاد في دين اللَّه عز وجل، وكذلك لا يعفى أحد من الصيام في جميع أقطار الأرض لأن أحكام الشريعة عامة للبشرية أينما كانت وإنما يصوم المسلم حسب استطاعته. وكيفية صيام أهل المناطق القطبية قد بحثها علماء المسلمين قديمًا وحديثًا وقرروا فيها رأيهم حسب ما ظهر من أدلة الكتاب والسنة. ثم إن هذا الملحد يُجهل علماء المسلمين فيقول: «قد عملت معهم عندما كنت عضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد. واكتشفت أنهم أناس جهلة، بل إنهم من أجهل الناس إطلاقًا يرددون بطرق آلية الأحاديث النبوية وآراء فقهاء القرون الوسطى التي حفظوها عن ظهر قلب، ولا أعتقد أن لدي استعداداً للتعاون مع هؤلاء بشأن أي موضوع كان بسبب الانطباعات السيئة التي تركوها في ذهني».

---

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب (الأذان) برقم (٥٨٧)، ورواه الإمام مسلم في (الصيام) برقم (١٨٢٩) واللفظ متفق عليه.

□ هذا شعوره نحو علماء الإسلام الذين اغتر الكثير منهم به وأحسنوا به الظن وأكرموه وأشركوه معهم في مؤتمراتهم وندواتهم. وإنها لموعظة للعلماء أن لا يتسرعوا بمنح الثقة لكل من تظاهر بالإسلام خصوصًا من أمثال جارودي ممن عرفوا بالإلحاد والزندقة والشيوعية قبل ادعاء الإسلام حتى يتثبتوا في شأنه.

ومن كفر جارودي الصريح أنه يدعو إلى تعطيل حد السرقة وتغيير مقادير المواريث، فيرى أن قطع يد السارق اليوم غير مناسب وهذا اتهام للإسلام بالقصور وعدم صلاحيته لكل زمان ومكان. بل هو وصف للَّه سبحانه بالجهل وأنه لا يعلم ما يَجدُّ في المستقبل وما يناسبه من العقوبة، فإن اللَّه سبحانه أمر بقطع يد السارق والسارقة جزاء بما كسبا ثم ختم الآية بقولة سبحانه: ﴿**واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٨] فهو سبحانه يشرع لكل ذنب من العقوبة ما يناسبه ويمنع وقوعه في كل زمان ومكان. ثم يقول: (لو كنت قاضيًا وجاءني أخ وأخت يتنازعان في قضية ميراث لأعطيت البنت ضعف ما أعطي الذكر)، وهذا مصادم لقول اللَّه تعالى في شأن الإخوة في آخر سورة النساء: ﴿**وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١٧٦]، ولقوله تعالى في أول السورة: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١]، فهو اعتراض على اللَّه في حكمه وكفى بذلك كفرًا وإلحادًا.

ثم يدعو علماء الإسلام أن يتمردوا على شرع اللَّه كما تمرد المسيحيون على البابا وثاروا في وجه الكنيسة، فهو يسوي بين الدين الحق الذي هو دين الإسلام ودين الكفر الذي هو دين البابوات ورجال الكنيسة المغير لشرع اللَّه.

وأخيرًا فإن روجيه جارودي لا يحكم عليه بأنه مرتد عن دين الإسلام كما توهمه بعضهم، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام كما اعترف

هو بذلك حيث يقول: (انتهيت إلى الإسلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية).

إن دين الإسلام لا يجتمع مع القناعات الإلحادية ولا يجتمع مع اليهودية والنصرانية لأنهما ديانتان محرفتان ومنسوختان بدين الإسلام الذي بعث اللَّه به نبيه محمداً ﷺ وأمره أن يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

● وقال ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»**(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كما تقدم، وفي «الصحيحين» عن جابر ابن عبداللَّه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**(٢) وبذلك يعلم أنه لا يسع أحداً من هذه الأمة جنها وإنسها إلا اتباع محمد ﷺ ولا يقبل اللَّه من أحد بعد بعثته إلا دينه.

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب (الإيمان) برقم (٢١٨)، والإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (٧٨٥٦).

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب (التيمم) برقم (٣٢٣) واللفظ له، ورواه الإمام مسلم في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) برقم (٨١٠)، والنسائي في (الغسل والتيمم) برقم (٤٢٩).

* ودينه هو الإسلام وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة قال اللَّه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

● وتقدم قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»[1]. وذلك أن اللَّه سبحانه أخذ الميثاق على الأنبياء كلهم من أولهم إلى آخرهم بالإقرار بنبوة محمد ﷺ وعموم رسالته، وأنه لو بُعث وأحد منهم حي وجب عليه اتباعه وطاعته ومناصرته، وهذا الحكم يتناول أتباعهم أيضًا فإن من زعم أنه يتبع موسى وعيسى يجب عليه أن يؤمن بمحمد ﷺ بعدما بعثه اللَّه ويتبعه؛ لأن رسالته ختمت الرسالات وشريعته نسخت الشرائع ولم يبق دين مقبول عند اللَّه سوى الدين الذي بعثه اللَّه به كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهذا الحكم واجب على جميع المكلفين من الجن والإنس إلى يوم القيامة، كما تقدم ذلك في قوله سبحانه آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يقول

---

(١) سبق تخريجه.

للناس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] الآية. وتقدم قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨].

* وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

• وقول النبي ﷺ: **«كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**[(١)] متفق على صحته.

• وقوله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»**[(١)] والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة، وأسأل اللَّه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا وأن يثبتنا وإياهم على دينه، وأن يمنحنا جميعًا الفقه فيه، والاستقامة عليه، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من شر أعداء اللَّه ومكائدهم كالجارودي وأشباهه من سائر الملحدين، والكافرين، إنه على كل شيءٍ قدير وصلّى اللَّه وسلّم على نبينا محمد، وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

* الشيخ ابن باز يحكم بردة من تنقّص الرسول ﷺ ويرد على جريدة المساء المصرية:

حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئًا مما حرمه[1]

بسم اللَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه.. لقد اطلعت على ما نشرته صحيفة صوت الإسلام بالقاهرة نقلاً عن صحيفة المساء المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي من الجرأة على الجانب الرفيع والمقام العظيم مقام سيدنا وإمامنا: محمد بن عبداللَّه ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات، وهو الديك، لا يشك مسلم أن هذا التمثيل كفر بواح، وإلحاد سافر واستهزاء صريح بمقام سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين، إنها لجرأة تحزن كل مسلم، وتدمي قلب كل مؤمن، وتوجب اللعنة والعار والخلود في النار، وغضب العزيز الجبار، والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها، ولقد نطق كتاب اللَّه الكريم بكفر من استهزأ بالرسول العظيم، أو بشيء من كتاب اللَّه المبين، وشرعه الحكيم، قال اللَّه عز وجل: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] الآية، فهذه الآية الكريمة نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ باللَّه العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين، وقد أجمع

---

(١) نداء من الجامعة الإسلامية إلى العالم الإسلامي «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٢٥٣).

علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من الدين، وأجمعوا على أن من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافرًا مرتدًا عن الإسلام يجب قتله؛ لقول الرسول ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه».

□ ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه - أن الاستهزاء تنقص واحتقار للمستهزأ به والله سبحانه له صفة الكمال، وكتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله عزّ وجل، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم وخاتم المرسلين وخليل رب العالمين، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفر ظاهر ونفاق سافر وعداء لرب العالمين وكفر برسوله الأمين.

□ وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم ﷺ أو تنقصه، وعلى وجوب قتله.

□ قال الإمام أبو بكر ابن المنذر - رحمه الله -: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي. انتهى.

وقوله: (عوام): جمع عامة، والعامة هنا بمعنى الجماعة، فمراده - رحمه الله - أن جماعات العلماء أجمعوا على وجوب قتل من سب النبي ﷺ.

ولا شك أن السب يتنوع أنواعًا كثيرة، ولا ريب أن الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام وتنقصه وتمثيله بحيوان حقير من أقبح السب وأعظم التنقص، فيكون فاعل ذلك كافرًا حلال الدم والمال.

□ وقال القاضي عياض - رحمه الله -: أجمعت الأمة على قتل متنقصه

من المسلمين وسابه. انتهى.

□ وقال محمد بن سحنون من أئمة المالكية: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. انتهى.

□ قال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية - رحمه الله - بعد ما نقل أقوال العلماء في شاتم الرسول ﷺ ومتنقصه في كتابه: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ما نصه: وتحرير القول فيه: أن الساب إن كان مسلمًا أنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقال حنبل: سمعت أبا عبدالله يقول: من شتم الرسول ﷺ أو انتقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب. انتهى.

وكلام العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نقلنا عنهم كفاية لطالب الحق.

ولقد وفقت صحيفة صوت الإسلام القاهرية في ردها على جريدة المساء المصرية ما اقترفته من المحاربة للإسلام ومن الجرم الفظيع والمنكر الشنيع في حق المصطفى ﷺ وشريعته بقلم رئيس التحرير الشيخ محمد عطية خميس، ولقد أحسن فضيلته إحسانًا عظيمًا حيث أنكر ما فعلته هذه الصحيفة من الكفر الصريح والاستهزاء السافر بسيد عباد الله وأفضل رسول، واحتج على حكام مصر وطالبهم بوضع حد لهذه الفتنة.

وإلى القراء بعض كلمته، قال وفقه الله بعد كلام سبق في رد مقالات شنيعة كتبتها بعض الصحف المأجورة ما نصه:

فلا عجب بعد كل هذا أن يتجرأ صحفي من صحفي جريدة المساء ليعرض برسول الله ﷺ في صورة كاريكاتورية في عددها الصادر في ٢٩ يناير الماضي فيرسم شخصًا له جسم الديك ويقول تحت هذه الصورة «اهوه ده

يا سيدي محمد أفندي اللي متجوز تسع» بمثل هذا الخبث تنشر مثل هذه الصورة التي تعرض برسول الله ﷺ وبشريعة الإسلام.

□ من الذي تزوج تسعًا غير رسول الله ﷺ؟ أيصل الأمر إلى أن ينشر مثل هذا الرسم في جريدة يومية يشرف عليها الاتحاد القومي، وتصل السخرية والتريقة على شخص رسول الله ﷺ وأن يقال عنه: (محمد أفندي) ويرمز إليه بمثل هذا الرمز، لماذا اختار المحرر أو الرسام محمد أفندي بالذات ولم يختر علي أفندي أو سعيد أفندي أو أي اسم آخر؟ ولماذا حدّد العدد بتسع بالذات؟ ولم يحدد بسبع أو عشر أو اثني عشر؟ إن خبث الرسام ظاهر واضح ولا يحتاج إلى تأويل والتماس عذر له، إن مثل هذا الرسم لو نشر في أية صحيفة انجليزية أو أمريكية أو فرنسية أو حتى إسرائيلية لقامت الدنيا وقعدت، ولاتخذت سلاحًا بتارًا للدعاية والتشهير، أما أن ينشر في جريدة من جرائد هذه الأمة فتغمض عنها الأعين وتمر بها مرورًا عابرًا، ومن المؤسف المؤلم أن يحدث هذا في صحافتنا في الوقت الذي يعمل فيه الأعداء أكثر من حساب لمشاعرنا نحن المسلمين، فأمريكا وإيطاليا يريدان إنتاج فيلم عن رسول الله ﷺ فإذا بهم يلجأون إلى مشيخة الأزهر والجامعة العربية ليأخذوا رأيها وموافقتها في كل ما يتعلق بهذا الفيلم من حوار وسيناريو وخلافه، وكان باستطاعة هاتين الدولتين أن تخرجا الفيلم كما تشاءان وعلى النحو الذي يتفق مع روحهما العدائية لنا، هذا ما يحدث من أعدائنا، وهذا ما يحدث من أبناء أمتنا. إلى متى يسكت المسئولون عن هذه الصحافة؟ وإلى متى نسكت نحن أبناء هذه الأمة؟ هل ننتظر إلى أن يلجأ هؤلاء الخونة والمفسدون إلى التصريح بدلاً من التلميح؟ أننتظر إلى أن يسخر من إسلامنا في الشوارع والطرقات؟ والله إنها لفتنة سوداء يوقدها هؤلاء الجهلاء المأجورون تنذر بالخطر الفادح إن لم يوضع لها حد، فإننا لن نستطيع أن

نسكت بعد هذا على هذا التمادي في محاربة الإسلام والأخلاق وفي التعريض برسول الله ﷺ وشريعته، فالأمة لا تزال معتزة بدينها غيورة على رسولها، فإن أرادت هذه الصحافة الماجنة أن تعلنها حربًا فلتعلنها كما تريد، ولكن لن نقف مكتوفي الأيدي.. وكفى! فإسلامنا هو وطننا ولا وطن لنا غيره، وإسلامنا هو روحنا ولا حياة لنا بسواه، وإسلامنا هو رزقنا ولا قيمة للطعام والشراب عندنا بدونه، وإسلامنا هو كل شيء في الوجود بالنسبة لنا. وأقول هذا باسم أكثر من عشرين مليون مسلم من أبناء هذا الشعب العزيز، ونحن في انتظار بيان رسمي من الاتحاد القومي وما صنعه مع جريدة المساء ورسامها والمسئولين عنها، ومع صحافتنا على العموم حتى نطمئن إلى مستقبل ديننا، والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين. انتهى كلام الشيخ محمد عطية خميس.

□ ولقد أجاد وأفاد، وصدع بالحق، فجزاه الله على ذلك خيرًا وزاده من الهدى والتوفيق وكثر في المسلمين من أمثاله من الصادعين بالحق بين الظلمة اللئام، والحمد لله الذي أوجد في مصر من ينطق بالحق ويصدع بالرد على من حاد عنه، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن بالزوايا خبايا، وأن في الرجال بقايا، ولا شك أن ذلك من حفظ الله لدينه وحمايته لخاتم أنبيائه وسيد أصفيائه محمد ﷺ، ولقد أخبر الله سبحانه في كتابه المجيد عن أعدائه من الكفار والمنافقين أنهم يسخرون بالمرسلين والمؤمنين، ويضحكون منهم، فلا غرابة أن سلك القائمون على صحيفة المساء مسلك أئمتهم من المشركين والمنافقين وساروا على مناهجهم الوخيم وطريقهم الذميم ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

* قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠]. الآيات.

* وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

* وقال جلّ وعلا عن رسوله نوح وقومه: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ١٠٩-١١١].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

ففي هذه الآيات المحكمات والبراهين البينات دلالة ظاهرة وحجج قاهرة على أن الاستهزاء بالمرسلين والمؤمنين من صفات الكفار والمنافقين والمشركين، ومن عدائهم السافر وكفرهم الظاهر.

□ ولقد تخلق بعض القائمين على صحف القاهرة في هذا العصر بأخلاقهم وساروا سيرتهم ونهجوا نهجهم فلهم حكمهم في الدنيا والآخرة، وقد ثبت عن المصطفى ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم» فليس من شك عند كل من له أدنى مسكة من علم وهدى أن من شبه الرسول ﷺ بشيء من الحيوانات الحقيرة قد تنقصه واحتقره ومن فعل ذلك أو رضيه من حاكم أو صحفي أو غيرهما فهو كافر ملحد حلال الدم والمال.

وهنا أمر عظيم ينبغي التنبيه له، وهو أن يقال: ما السر في تشبيه صحيفة المساء القاهرية للرسول ﷺ بالديك دون بقية الحيوانات، إنه ظاهر لمن تأمله، ألا إنه الجحود لنبوته والإنكار لرسالته ورميه بأنه ثائر شهواني ليس

له هم إلا إشباع نهمته من النساء، وهذا إمعان في الكفر، وإيغال في الاستهزاء والاحتقار للجناب العظيم والمقام الرفيع، لعن الله من تنقصه أو رماه بما هو براء منه، وقاتل الله صحيفة المساء القاهرية والقائمين عليها الراضين بهذا الاستهزاء، فما أعظم ما تجترءوا عليه من الباطل، وما أقبح ما وقعوا فيه من الإسفاف والاستهزاء، ولقد صان الله رسوله ﷺ وحماه مما قاله المبطلون ورماه به المفترون فقد كان أعف الناس وأنصحهم لله ولعباده وأرفعهم قدرًا وأشرفهم نفسًا وأشدهم صبرًا وأقومهم بحق الله وتبليغ رسالته، وأخشاهم لله وأتقاهم له، وأزهدهم في كل ما يلوث مقامه العظيم أو يعوقه عن مهمته في الجهاد والنصح والتبليغ، وإنما تزوج النساء كسنة من قبله من المرسلين، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وفي تزوجه ﷺ بتسع من النساء حكم كثيرة وأسرار بديعة ومصالح عظيمة، منها: إعفافهن والإحسان إليهن، ومنها: أن يتعلمن منه ﷺ أصول الشريعة وأحكامها ويعلمنها الناس بعده كما قد وقع، فقد كان بيت كل واحدة منهن مدرسة للمسلمين والمسلمات، يردونها للتعلم ويشربون من معينها الصافي عللاً بعد نهل، ويسألون أمهات المؤمنين عن حياته ﷺ وشمائله وأخلاقه وأعماله داخل بيوته وخارجها، ومن ذلك: ما في تعددهن من مصلحة التأليف والتعاون على البر والتقوى، وتبليغ القرآن والسنة بواسطة أصهاره ومن يتصل بهم؛ لأن أزواجه كن من قبائل شتى وذلك أبلغ في مقام الدعوة والتأليف وأنفع للأمة وأكمل من جهة التبليغ والتعليم، ومن ذلك: ما في تعددهن من راحته ﷺ وأنسه، فإن الله سبحانه قد حبب إليه النساء والطيب، وجعل قرة عينه في الصلاة، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة»، وقد جبل الله الرجال على حب النساء والميل إليهن، وجعلهن سكنًا للرجال، كما قال عزّ

وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وأعطى نبيه ﷺ في ذلك من كمال الرجولة والقوة على القيام بأمر الزوجات وحقوقهن ما لم يعطه الكثير ممن قبله، وليس هذا بمستنكر في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم أكمل الرجال رجولة وأعفهم فرجًا وأقومهم بحق الله وحق عباده، وقد كان لنبي الله داود زوجات كثيرة، ولابنه نبي الله سليمان بن داود كذلك، وقد قواهما الله على الطواف عليهن والقيام بحقهن، فكيف يستغرب على من هو أفضل منهما وأرفع عند الله منزلة، وهو محمد ﷺ، أن يبيح الله له تسعًا من النساء مع ما في ذلك من المصالح الكثيرة التي تقدم بعضها، وكلها تعود على الأمة بالخير والإحسان والنفع العام، وقد خص الله نبيه ﷺ بخصائص عظيمة وحباه بصفات كريمة، فبعثه إلى الناس عامة، وجعله رحمة للعالمين، واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ورفع منزلته في أعلى الجنة وهي الوسيلة، وجعله سيد أولاد آدم كلهم، وأعطاه المقام المحمود والشفاعة العظمى يوم القيامة، ونصره بالرعب مسيرة شهر، وشرح له صدره وغفر له ذنبه ووضع عنه وزره ورفع له ذكره، فلا يذكر سبحانه إلا ذكر معه، كما في الخطيب والتشهد والإقامة والتأذين، وخصائصه وشمائله ﷺ كثيرة جدًا، فكيف بعد هذا كله تجترئ صحيفة المساء المصرية والقائمون عليها على الاستهزاء به والحط من قدره وتمثيله بحيوان من أحقر الحيوانات وأدناها، إمعانًا في الاحتقار ومبالغة في الاستهزاء، سبحان الله ما أعظم شأنه، والله أكبر ما أوسع حلمه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، وليس هذا الكفر الظاهر والنفاق السافر والاستهزاء الصريح بأشرف عباد الله ومن أخرج الله به العباد من الظلمات إلى النور - بغريب من صحف الخلاعة والمجون وأبواق الكفر

والإلحاد ومنابر الظلم والعدوان ومحاربة الفضائل والدعوة إلى الرذائل، ليس ذلك بغريب على بعض القائمين على بعض صحف القاهرة، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، وأعرضوا عما جاءت به الرسل ونزل به القرآن، واهتموا بالفراعنة والملاحدة وعباد الصلبان، وجندوا بعض صحفهم لمحاربة الإسلام وطمس شعائره العظام والتضليل والتلبيس على خفافيش الأبصار وسفهاء الأحلام.

□ ثم أقول: ليس هذا وحده جرم صحف القاهرة، فكم لهم من جرائم وكم لهم من مخاز، وكم لهم من مكفرات ونواقض للإسلام، أليسوا هم الذين أعلنوا في كثير من صحفهم الدعوة إلى الإشتراكية الكافرة والشيوعية الحمراء المشتملة على الظلم للعباد، وزعموا تلبيسًا وتضليلاً أنها من الإسلام، والإسلام براء من ذلك، الإسلام حرم على الناس دماءهم وأموالهم وأعراضهم، الإسلام يحترم مال الفرد والجماعة ويحرسه ويحميه بقطع يد السارق، وقتل المحارب إذا قتل، وقطع يده ورجله من خلاف إذا أخذ المال فقط، ويقول الرسول العظيم ﷺ في حجة الوداع يوم النحر: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، متفق على صحته.

- ويقول ﷺ: «من ظلم شبرًا من الأرض طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين» متفق على صحته.
- ويقول ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» خرجه الإمام مسلم في «صحيحه».

* ويقول الله في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

- وقال سيد الخلق ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا».
- وقال ﷺ أيضًا: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه»، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثير، وقد أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام في شرائعهم المتنوعة على عصمة مال المسلم وتحريم دمه وماله وعرضه إلا بحق، وأجمع علماء المسلمين على ذلك، ومع هذا كله فدعاة الاشتراكية والشيوعية وأعوانهم على الظلم والعدوان استباحوا أموال الناس ودماءهم بغير حق ونبذوا كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وراءهم ظهريًا، ولو أنهم قالوا: قد عرفنا أنه ظلم وعدوان وأقدمنا عليه، لكان أسهل عند الله وعند المؤمنين، ولكن بعضهم مع الظلم السافر والكفر الظاهر يزعمون أن أعمالهم الماركسية وتصرفاتهم الشيوعية وسيرتهم الكفرية والإلحادية من الإسلام ويزعم لهم أذنابهم وعبيدهم تلبيسًا وتضليلاً أن الإسلام جاء بذلك والله سبحانه ورسوله ودينه براء من ذلك كله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

* ولقد صدق الله سبحانه حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، ومن زعم أن ما يفعله دعاة الاشتراكية والشيوعية من الظلم والاستبداد والتعدي على حرمات المسلمين من الإسلام فهو كافر ضال كاذب على الله ورسوله وعلى شرعه، كما أن من أنكر الحدود كحد السرقة أو غيره وزعم أنها ليست من

شرع الله كما ينعق بذلك دعاة الإلحاد من الشيوعيين وغيرهم فهو كافر مكابر مكذب لقول الله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ومن زعم أن الاشتراكية الماركسية مباحة وأنها من الإسلام أو أنها خير من الإسلام وأرحم من الإسلام فهو من أكفر عباد الله وأضلهم عن سواء السبيل؛ لأنه لا شيء أحسن من الإسلام ولا حكم أعدل من حكمه، ومن جعل الظلم منه ونسبه إليه فقد تنقصه وكذب عليه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦ - ١١٧]، والله سبحانه قسم بين الناس معيشتهم، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، لتنتظم أمورهم ويستعين بعضهم ببعض، فتكمل مصالحهم وتظهر مواهبهم ويتميز غنيهم من فقيرهم وشاكرهم من كافرهم وناصحهم من خائنهم وطيبهم من خبيثهم، إلى غير ذلك من الحكم والأسرار الكامنة في حكمة التفاوت بينهم في المعيشة والأسباب والأخلاق والعقول، كما قال تعالى منكرًا على المشركين الأولين: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

* وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٥]، فلو سوى بينهم

هذه الحكم والأسرار التي رتب عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، ولم يعرف العباد معاني أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولم يخضع أحد لأحد ولم يعرف أحد قدر نعمة الله عليه، ولم يؤد ما يجب عليه من الشكر إلى غير ذلك من الأسرار والمعاني الشريفة والحكم الرفيعة التي لا يدركها ولا يوفق لها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر وأرباب العلم النافع والبصائر.

والاشتراكية استوردها أربابها ليغنوا بها الفقراء بزعمهم، وإنما جلبوها في الحقيقة ليفقروا بها الأغنياء ويسلبوا بها أموال الناس بالباطل باسم رحمة الفقراء ويصرفوها في مطامعهم الأشعبية وأغراضهم الدنيئة وشهواتهم البهيمية، ويخمدوا بها جذوة الحركة والعلم، ويصدوا بها الناس عن التفكير في: حق رب العالمين والتنافس في مصالح الحياة والثورة على الكفرة والطغاة الملحدين. هذه حال الاشتراكية وأهلها، حسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، وتجرأوا على شرعه وظلموا العباد واستبدوا بالأموال والعتاد وحاربوا الله في أرضه واستكبروا عن طاعته وحقه، تبًّا لهم ما أخسر صفقتهم وأخس مروءتهم وأسوأ عاقبتهم، فالحذر الحذر أيها المسلمون من أرباب هذه الفتنة العمياء والبدعة النكراء والكفر الصريح والمعاداة لله ولرسوله وشرعه لعلكم تفلحون، وقد شرع الله في الإسلام ما يغني عن هذا المذهب الهدام ويبطل كيد مخترعيه الكفرة اللئام، فأوجب سبحانه في أموال الأغنياء من الزكاة وصنوف النفقات، وشرع لعباده عزّ وجل من أنواع الكفارات والصدقات وسبل الإحسان ما تسد به حاجات الفقراء ويستغنى به عن ظلم العباد والتحيل على سلب أموالهم، بل جعل سبحانه وتعالى أداء الزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام وتوعد من يخل بها بأنواع العذاب والآلام، ووعد من بذلها كما شرع الله بالطهرة والزكاة لهم ولأموالهم ومضاعفة الأجور وعظيم الخلف، كما قال عزّ وجل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

* وقال عزّ وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

* وقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

* وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فالواجب على المسلمين جميعًا أن يؤدوا ما أوجب الله عليهم لإخوانهم الفقراء وأن يطيبوا نفسًا بذلك وأن يرحموهم ويعطفوا عليهم أداءً لما أوجب الله ورجاءً لرحمة من الله وحذرًا من غضب الله وسدًا لأبواب الفتن والفساد وإغلاقًا لسبل الكفر والإلحاد وشكرًا لله على إنعامه وطمعًا في المزيد من فضله وكرمه وإرغامًا لأنوف الكفار والملحدين الذين قد ساءت ظنونهم بالإسلام واعتقدوا أنه قد أهمل جانب الفقراء ولم يعطهم حقهم، ولقد أخطأ ظنهم وخسرت صفقتهم وكذبوا على الله وحادوا عن الحق الواضح.

فاتقوا الله أيها المسلمون ومثلوا الإسلام في أعمالكم وأقوالكم وارحموا فقراءكم وأدوا ما أوجب الله عليكم من الزكاة وغيرها لتفوزوا بالسعادة والنجاة وتسلموا من غضب الله وأليم عقابه في الدنيا والآخرة، والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا وأن يمنحهم الفقه في دينه، وأن يهدي زعماءهم وقادتهم لصراطه المستقيم، وأن يقيم علم الجهاد ويكبت أهل الشرك

والكفر والإلحاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّى اللَّه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز

* للَّه در الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ:

قد كان ـ رحمه اللَّه ـ مثالاً فذًا في إسداء النصح للمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ذلك:

ـ رسالته للملك فيصل ـ رحمه اللَّه ـ يحثه فيها على الدعوة إلى اللَّه ومناصحة رؤساء بعض الدول بتحكيم شرع اللَّه. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٧٢).

ـ رسالته إلى صدام حسين يُنكر عليه فيها إعلانه للنظام الاشتراكي في العراق. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٣٩٤).

ـ تعقّبه على محمد سعيد البوطي حول بعض الأمور التي زلّ فيها. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٣٥٣).

ـ الردّ على من قال: إن الجهاد دفاع فقط. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣/ ١٧١).

ـ الرد على من اعتقد صحة دين اليهود والنصارى. «فتاوى إسلامية» (١/ ٦٧).

ـ الرد على دعاة التقريب بين الأديان. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٨٠).

ـ الرد على الطريقة التيجانية. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٤٠)، ومجلة البحوث الإسلامية العدد «٣٩» ص(١٤٥).

ـ الردّ على البريلوية. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٢٨٣).

ـ الرد على طائفة الدروز. «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٢٨٧ ـ ٣٠٦)، ومجلة البحوث الإسلامية» العدد «٣٦» ص(٨٥).

ـ الرد على البهائية والقاديانية. «فتاوى إسلامية» (١/ ١٦٣).

ـ الرد على الماسونية. «مجلة البحوث الإسلامية» العدد «٣٦» ص(١٠٥).

ـ الرد على من يريد التقريب بين أهل السنة والرافضة. «مجموع فتاوى سماحة الشيخ» (٣/ ١٠٩٨).

ـ الرد على من يقول إن الإسلام انتشر بالسيف. «مجموع فتاوى سماحة الشيخ» (٣/ ١٠٨٩).

ـ الرد على من يزعم أن في الدين قشور. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٣٢٣).

ـ الرد على رشاد خليفة حول إنكاره للسنة المطهرة. «مجلة البحوث الإسلامية» العدد «٩» ص(٣٩).

ـ الرد على من يقول: الصحابة رجال ونحن رجال فيستقل في فهمه وعلمه. (مجموع فتاوى سماحة الشيخ) (٢/ ٧٦٠).

ـ الرد على من يعتبر الأحكام الشرعية غير متناسبة مع هذا العصر. «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٤١٥).»[1].

وهناك كتاب قيم بعنوان «الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة» وهو قيم في بابه.

---

(١) «الشيخ ابن باز ومواقفه الثابتة» جمع أحمد الفريح ص(٤٣٥ ـ ٤٣٩).

إذا كان الولاء المطلق للّه ولرسوله، وكان قربنا من أي إنسان أو بعدنا بمقدار قربه أو بعده من اعتقاد أهل السنة والجماعة، وإذا أيقن الرجل منا بأن الحق لا يُعرف بالرجل، وإنما بالحكمة الجميلة «اعرف الحق تعرف أهله» هان علينا أمر نقد الرجال والمدارس نصحًا للّه ولرسوله ولعامة المؤمنين.

وإنصاف الناس هدف نبيل ومن حسن خلق المسلم. . والمدرسة العقلية إن كان لها مآثر كما يقولون فإنها واللّه جنت على الإسلام وعلى المسلمين في واقعنا المعاصر. .

ونلقى نظرة سريعة على شيخيها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والمآخذ التي أخذت عليهما، ثم نظرة سريعة على موقف المدرسة من عقيدة السلف، وأثر المدرسة على واقع المسلمين.

* **الدكتور فهد الرومي يكشف زيف المدرسة العقلية الحديثة:**

كان لكتاب الدكتور فهد الرومي «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» وكذا كتابات الدكتور محمد محمد حسين والدكتور الذهبي والعلماء المعاصرين للأفغاني ومحمد عبده أكبر الأثر في كشف زيف هذه المدرسة. . نقول هذا الكلام لرجل جعل الحقيقة نصب عينيه، وتحصيلها مقصوده، وجعلها فوق الرجال بها يوزنون ولا تُوزن بهم. لا نقولها لرجل نزع الحقيقة من نُصب عينيه، واستبدل بها أصنامًا بشرية وأوثانًا إنسية صار همه كل همه تقديسهم، ومراده كل مراده ذب الشبهات عنهم ونفي الخطأ منهم، وجعلهم في منزلة تأبى الشبهات أن تصل إلى أقدامهم»[١] .

(١) انظر «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٣).

«إن حياة الرجل تصبح ملكًا له ما دامت خاصة به، فإذا تجاوزت هذه المرحلة وأصبحت حياته جزءًا من التاريخ، فإن الحديث عنها أمانة في أعناق الدارسين لا يفك رقابهم منها إلا قول الحقيقة من غير تجنٍّ أو تعدٍّ، أو تزلّف أو نفاق فكلاهما منهج ضال، والمنهج الحق وسط بينهما: قول الحق والحقيقة مهما أدّيا إليه ومهما صاح بك من يجهد أعينهم نور الحقيقة»[١] .

□ ومعظم هذا الفصل تلخيص لكتاب الدكتور فهد الرومي فإن من بركة العلم عزوه إلى أهله «والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور».

* **جمال الدين بن صفدر الأفغاني:**

واسم والده «صفدر» هو لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي ﷺ عند الشيعة ولا يوجد إلا بين الشيعة. ولا صحة لانتسابه إلى الحسين بن علي، وهو إيراني لا أفغاني كتب أبو الهدى الصيادي إلى الشيخ رشيد رضا «إني أرى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفّقة، وقد تدرجت به إلى الحسينية التي كان يزعمها زورًا، وقد ثبت في دوائر الدولة رسميًا أنه مازندراني من أجلاف الشيعة»[٢] .

* **الجامعة الشرقية لا الجامعة الإسلامية:**

«من أهم الآراء التي تنسب إلى الأفغاني وكان يدعو إليها: الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وإقامة جامعة إسلامية تنضوي تحت لوائها دول العالم الإسلامي تُوحِّد كلمتها وأهدافها وإنما قلتُ: تُنسب إليه لأني أرى في مقالاته ومقالات تلاميذه ما يدل على أنه لا يريد الجامعة الإسلامية بل الجامعة الشرقية التي تجمع دول المشرق مسلمة وغير مسلمة ضد الاستعمار.

(١) المصدر السابق (٧٣).
(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده» للسيد محمد رشيد رضا (١/ ٩٠).

◻ فهذا السيد رشيد رضا يُعلّق على كلمة لجمال الدين قائلاً: «هذا تنبيه لوجوب تأليف جامعة شرقية لمقاومة الاستعمار الغربي ولم يفكر فيه أحد قبله»[١]، ويقول في موضع آخر «وقد اشتبه على بعض الناس أمر اللهجة الإسلامية في جريدة العروة الوثقى، وظنوا أن خدمتها خاصة بالمسلمين فأزالا هذه الشبهة ـ يعني الأفغاني ومحمد عبده ـ بعبارة نُشرت في العدد الثامن «من العروة الوثقى»[٢]، ويقول عثمان أمين: «إن الجامعة التي كان ينشدها الأفغاني ومحمد عبده في أواخر القرن الماضي ليست هي الجامعة الإسلامية كما توهّم بعض الكتاب الغربيين وإنما هي في صميمها «الجامعة الشرقية»[٣]»[٤] اهـ.

* نشاطه الماسوني:

الماسونية هي صنيعة اليهود تسعى إلى القضاء على الأديان تحت شعارات برّاقة (حرية، مساواة، إخاء).

خدع كثير من الناس بهذا الشعار فدخلوها وما لبثوا أن أدركوا الغموض الذي يحيط بها فغادروها مسرعين.

إلا أن السيد الأفغاني قدم في ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩٢هـ طلبًا للانضمام إلى المحفل الماسوني هذا نصه:

◻ يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي[٥] الذي مضى من عمره سبعة وثلاثون سنة بأني أرجو من إخوان الصفا

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٩٢).
(٢) المرجع السابق (١/ ٢٨٩).
(٣) مقال «العروة الوثقى» لعثمان أمين ـ مجلة العربي الكويتية عدد ٤٢ ص(٧٣).
(٤) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٩١).
(٥) نسبة إلى كابل وهي عاصمة أفغانستان فهو كابلي أو أفغاني.

وأستدعي من خلان الوفاء أعني أرباب المجمع المقدس الماسون الذي هو عن الخلل والزلل مصون أن يمنوا علي ويفضلوا إلي بقبولي في ذلك المجمع المطهر وبإدخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل.

ربيع الثاني يوم الخميس

٢٢ سنة ١٢٩٢هـ

التوقيع

◻ ولم ينسحب من المحفل بل كان من الأعضاء البارزين ذوي النشاط فيه ولذا تم اختياره بعد سنوات ثلاث رئيسًا للوج كوكب الشرق بتاريخ ٧ يناير ١٨٧٨م بأغلبية الآراء ووجهت له دعوة بهذا التاريخ لاستلام القادوم بعد إتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي والحضور بالزي الرسمي الماسوني الأسود ورباط الرقبة والكفوف بيضاء.

◻ ولم يكتف السيد الأفغاني بهذا بل ازداد نشاطه في ميدان الماسونية فاعتزل هذا المحفل الاسكتلندي وانشأ محفلاً وطنيًا تابعًا للشرق الفرنساوي وفي برهة وجيزة بلغ عدد أعضائه العاملين أكثر من ثلاثمائة»[١] .

◻ ولم يزل يبذل جهوده في هذا الميدان حتى صدر الأمر بنفيه في ٦ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ ٢٤ اغسطس ١٨٧٩م وجاء في القرار: «إنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا»[٢] . وكتب إلى بعض الشخصيات من غير أن يذكر اسمًا يستنجد بها مما حلّ به ويزعم أنه مظلوم فيما نسب إليه.

◻ ونفي من بعده تلميذه وأحد أعضاء محفله الشيخ محمد عبده ووجد

(١) «خاطرات جمال الدين الأفغاني» لمحمد المخزومي ص(٢٠).
(٢) «جمال الدين الأفغاني» لعبدالرحمن الرافعي ص(٤٦).

في منزله كتاب الماسون بخط السيد الأفغاني كما اعترف بهذا الشيخ نفسه في خطاب منه إلى أستاذه الأفغاني.

◻ ولم ينقطع نشاط السيد الأفغاني الماسوني بعد نفيه من مصر فإن التاريخ يحدثنا أنه في «جمادي الأولى سنة ١٣٠٣[1] سافر السيد إلى البلاد الإيرانية بدعوة من الشاة ناصر الدين فنال مكانة سامية وتزاحم حوله الأمراء والمجتهدون والكبراء وتمكن من نظم كثير منهم في سلك الماسونية»[2].

وكان له نشاط ماسوني في فرنسا أيضًا حيث قدم طلبًا للعضوية في اللوج باريس وتم قبوله.

◻ وإذا ثبت بما لا يقبل الشك انتماء السيد الأفغاني للماسونية، وثبت أن الماسونية وليدة الصهيونية العالمية وسبيل من سبلها لتحقيق أهدافها في هدم الأديان والسيطرة على العالم فإن الواجب تقصّي الحقائق في سيرة الرجل الأفغاني والبحث عن حقيقة أهدافه.

◻ أما الزعم بأن الأفغاني كان مَخدوعًا بمبادئ الماسونية (الحرية، المساواة، الإخاء)، ولم يعرف حقيقتها وصلتها بالصهيونية؛ لأن بروتوكولات حكماء صهيون لم تنشر إلا بعد وفاته فإنه زعم باطل.

ذلكم أن من الصحف من قامت بكشف حقيقة الماسونية آنذاك فقد تصدت جريدة البشير الجزويتية الصادرة في بيروت للماسونية ولم تغفل عن مهاجمتها وكشف أسرارها دوامًا»[3].

وقد تصدت لهذه الجريدة صحف مصرية ماسونية مثل «اللطائف»

---

(١) أي: بعد نفيه من مصر بسبع سنوات قريبًا.

(٢) مصطفى عبدالرازق: المرجع السابق ص(٢٥).

(٣) «الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي» لسامي عزيز ص(٣٠٩).

و«المقتطف» و«البيان» و«الفلاح» و«النصوح» و«المقطم» بردود كثيرة ودفاع عن الماسونية ومبادئها[١] مما يثبت وقوع مناقشات حادة في الصحف عن الماسونية وهذا يدعو إلى التأكد من صحة أهدافها قبل الانضمام إليها من كل شخص فكيف بمن يريد الإصلاح وينتسب إليه.

فإن زعموا أن السيد لم يقرأ هذه الصحف أو لم تصل إليه أعدادها سلمنا ـ جدلاً ـ وقلنا: صدر من الكتب سنة ١٨٩١م أي قبل وفاة الأفغاني بست سنوات كتاب الحقيقة الإسرائيلية، وجاء فيه: «الروح الماسونية هي نفسها الروح اليهودية لا اختلاف في معتقداتها الأساسية فآراؤهما متماثلة»[٢] وقبل وفاة الأفغاني بإحدى وثلاثين سنة أي في سنة ١٨٦٦م صدر كتاب «السر المكنون في شيعة الفرماسون أو ماهية الفرماسونية على ما يشهد به أهلها وتدل عليه قوانينها وتنبئ به أعمالها» صدر في بيروت وطبع كتاب مثله بالفرنسية في السنة ذاتها وهي لغة يجيدها الأفغاني، وفي سنة ١٨٨٥م طبع كتاب «شيعة الماسونيين» بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين وفي سنتي ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥م نشر كتاب «الأدلة القاطعة على شرف الرهبانية اليسوعية وبيان كنه الشيعة الماسونية» في جزءين بمطبعة الآباء اليسوعيين[٣] وفي سنة ١٨٨٥م صدر كتاب شيعة المسونيين بلا ألف بعد الميم هو مجموع المقالات التي نشرتها البشير عن الماسونية[٤].

□ فإن زعموا أنه لم يقرأ هذا ولا ذاك سلمنا ـ جدلاً ـ وقلنا: أليس في وجود أعضاء في الماسونية يسعون لهدم أركان الدين وتشتيت الفضيلة ما يثير

---

(١) المرجع السابق ص(٣٠٨ ـ ٣١٨).
(٢) «الماسونية» لأحمد عبدالغفور عطار ص(٦٠).
(٣) أنظر كتاب «السر المصون في شيعة الفرماسون» للأب لويس شيخو ص(٢٠٢).
(٤) «الماسونية بلا قناع» أبو صادق ص(٢٣٤).

شكوكه في أهداف الماسونية فيحذرها فقد اعترف أحد الماسونيين وهو جورجي زيدان بوجود هؤلاء الأعضاء في المحافل الماسونية حيث يقول: «فقد اتهم رجال الدين الماسونية بالكفر وإنها إنما تسعى لهدم أركان الدين وتشتيت الفضيلة، أما نحن فمع إجلالنا لهذه الجمعية عن هذه التهمة ومع يقيننا أنها براء منها لا يسعنا الإنكار أن بين أعضائها أفراداً قليلين ربما يصح عليهم تلك التهمة»[١] .

❑ فإن زعموا أن هذا كله لا تقوم به حجة ولا يستقيم به برهان ـ سلمنا جدلاً ـ وقلنا: خذوا القاضية القاصمة.

أيّ شيء أراد الأستاذ محمد المخزومي تلميذ الأفغاني أن يخفيه عنا حين قال: «أما انخراط جمال الدين في الماسونية.. فنختصره على قدر ما تسمح به الطريقة الماسونية»[٢] .

ثم إن أردتم أن نسير على منهج «من فمك أدينك» فإنا فاعلون.

بعد دخول الأفغاني إلى المحفل الماسوني تغيّرت ثمّ لهجته في أحاديثه وأخذ يقرب منه العوام[٣] لأي شيء يفعل هذا؟ أتظنون أنه فعل ذلك يوضح لهم ما يجهلونه من أمور دينهم ولينزع الخرافات والمعتقدات الزائفة من أذهانهم والبدع والمنكرات من أفعالهم؟ كلا، إنه يقربهم ليقول لهم: «إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد وربيتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون[٤]

---

(١) «الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي» لسامي عزيز ص(٣٠٨) عن «تاريخ الماسونية» لجورجي زيدان ص(٢٥١ ـ ٢٥٣).
(٢) «خاطرات جمال الدين الأفغاني» لمحمد المخزومي ص(١٧ ـ ١٨).
(٣) «تاريخ الأستاذ الأمام» لرشيد رضا (١/ ٤٦).
(٤) تعنون: تخضعون.

لوطأة الغزاة الظالمين»[١] إلى أن قال: «تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس، ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفه، وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت»[٢].

فعدّ السيد الأفغاني الفتح الإسلامي لمصر دخول عرب، وعدّ دخول العرب على حدّ تعبيره استعباداً واستبداداً وقرنه باستعباد اليونان والرومان والفرس والفرنسيس واستبدادهم ثم يسترسل في حديثه فيقول: «انظروا أهرام مصر وهياكل منفيس وآثار تيبه ومشاهد سيوه وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرشيد فلاح»[٣]

إذن فهو لا يدعو عوام المسلمين الذين قربهم إليه بعد انضمامه إلى الماسونية لا يدعوهم إلى الدين الإسلامي إذ هو يشق جلودهم بمبضع نهمه ويهيض عظامهم بأداة عسفه كاليونان والرومان والفرس والفرنسيس، لا يدعوهم إلى الدين الإسلامي وإنما إلى النظر إلى أهرام مصر وهياكل منفيس.. إلخ وكلها آثار فرعونية شاهدة على جاهلية تعبد الأشخاص والكواكب من دون اللَّه، ولا شك أن دعوته إلى النظر فيها دعوة إلى الاقتداء بأصحابها.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشـــبه بالرشـــيد فلاح

□ إذن فهي دعوة إلى نبذ الدين الإسلامي - كما أفهمها - وهي جزء من أهداف الماسونية التي تحارب الأديان.

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/٤٦ - ٤٧) و«زعماء الإصلاح في العصر الحديث» لأحمد أمين ص(٧٨ - ٧٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ثم ومما يزيد الأمر وضوحًا أن الرجل ذكر آثارًا ميتة وجيفًا منتنة ولم يذكر مصنع الرجال لكونه مأثرة إسلامية. أعني الجامع الأزهر ما الداعي إلي هذا التحامل ضد الإسلام ومآثره؟ وهل لهذا أيضًا صلة بانتمائه إلى الماسونية؟!

وبعد.. فلعلي أطلت الحديث هنا في هذا الموضوع؛ لأنه الميزان الدقيق الذي نزن به الرجل هنا؛ ولأنه يكفي في بيان حقيقة الرجل أيّ رجل إثبات انتمائه إلى الماسونية..

فإن كان فيما ذكرنا من أدلة ما يثبت انتماء الأفغاني إلى الماسونية وظهور أثرها في أحاديثه وأقواله فقد انجلت الحقيقة.. حقيقة الرجل. وإن كانت لا تكفي لإثبات ذلك، فإنها ولا شك أصابع تشير إلى الأفغاني بالاتهام»[1].

* **حقيقته والمآخذ عليه:**

مما لا شك فيه أن حياة هذا الرجل مليئة بالأسرار ويحيطها الغموض[2] وتلتبس فيها الحقائق بالأكاذيب، ومما يزيد الأمر سوءًا أنه لم يؤرخ للرجل مؤرخ معتدل فأغلب من أرّخ له إما معجب به بالغ الأعجاب مبالغًا في الثناء عليه متجاوزًا عن كثير من أخطائه تكلّ عينه عن كل عيب فيه أعمته عين الرضا عن الحقيقة؛ وإما رجل حاقد كاره بالغ في قدحه وذمه يحمل منه كل شاردة وواردة ما لا تحتمله أعمته عين السخط عن الحقيقة.

وزاد بعض تلاميذه الأمر سوءًا فأخفى بعض أعماله زاعمًا أن الطريقة

---

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٩٧ ـ ١٠٦). قال طبيبه الخاص عند موته في ٩ مارس ١٨٩٧م: «إن شدة ولع جمال الدين بالسيجار الإفرنجي كان من مسببات السرطان الذي أدى إلى وفاته».

(٢) «العروة الوثقى» ص(١٨).

الماسونية لا تسمح بذكره[١] .

ويزيد الأمر حينما نعلم أن أكثر نشاطه كان سريًّا[٢] ، ولكن مع هذا الغموض فإنا نجد في بعض أفعاله وأقواله مآخذ لا نراها إلا خطيرة توجب إعادة النظر في تقويم بعض الرجال كما قال الدكتور محمد محمد حسين ونحن حين ندعو إلى ذلك لا نريد أن ننقص من قدر أحد ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعمون أنهم معصومون من كل خطأ[٣] .

ومع أنه كان يدعو إلى تنقية الدين الإسلامي مما علق به من الخرافات كتقديس الأموات والتبرك بهم ونحو ذلك إلا أنا نراه يستغل هذه النقطة أبشع استغلال فيلجأ إلى مقام عبد العظيم خوفًا من ناصر الدين شاه ويثير فيهم الحمية لهذا المعتقد الباطل بالانتقام من ناصر الدين شاه فيقول: «وأما قصتي وما فعله هذا الكنود الظلوم معي فمما يفتت أكباد أهل الإيمان ويقطع قلوب ذوي الإيقان ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الأوثان أن ذلك اللئيم أمر بسجني وأنا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام»[٤] ، ويصف هذا المقام بأنه «حرم من دخله كان آمنًا»[٥] .

□ بل ويحاول أن يظهر بالقداسة أمام العوام ولو كان بالكذب والخداع حكى عنه سعد زغلول أنه ذكر لهم أنه كان في سفينة خيف عليها الغرق فرأى في الركاب خوفًا فأكد لهم أن السفينة لن تغرق، ثم قال: «لو غرقت

---

(١) «خاطرات جمال الدين الأفغاني» ص(١٨).

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» محمد محمد حسين ص(٦٥).

(٣) المرجع السابق ص(٤٩).

(٤) «نابغة الشرق» السيد جمال الدين الأفغاني سعيد الأفغاني ص(٧٧).

(٥) «تاريخ الأستاذ الإمام» ج(١) ص(٥٥).

السفينة لم أجد منهم أحدًا يكذبني، وإن سلمت ظهرت بالقداسة من أقرب سبيل»[١] .

* اليهود والنصارى من حوله:

ومما يثير الريبة والشكوك في الأفغاني هذا الخليط من اليهود والنصارى الذي يحيط به، سليم نقاش من نصارى الشام وهو ماسوني ووضع كتابًا تبدو فيه أهداف الماسونية بارزة في عنوانه «مصر للمصريين» وهو يذكرنا بدعوة الأفغاني للمصريين بالنظر ليس إلى الآثار الإسلامية بل إلى الآثار الفرعونية المصرية، وفي هذا فصل لمصر عن المسلمين والإسلام.

وأديب إسحاق من أكثر الدعاة إلى الماسونية حماسًا وقف نشاطه الصحفي على هذا وهو أيضًا من نصارى الشام انتظم في سلك الماسونية سنة ١٨٧٣م في محفل انشأه الماسون في بيروت ذلك العام ثم وقف نشاطه على الدعوة إلى الماسونية في بعض الصحف ولم يكتف بهذا بل قام بطبع مقالاته تلك في كتاب ضخم[٢] ، ومع هذا فقد كان الأفغاني لآخر نسمة في حياته ـ كما يقول تلميذه المخزومي ـ عند ذكر أديب بك إسحاق يسترجع ويقول: كان طراز العرب وزهرة الأدب، قضى نحبه في شرخ الشبوبة وعنفوان الفتوة، وترك لنا قلوبًا آسفة وشجونًا فائضة، إنا للّه وإنا إليه راجعون[٣] .

❑ ومع هذا أيضًا فقد أسند الأفغاني إدارة أول صحيفة أنشأها (مصر) الأسبوعية سنة ١٨٧٧م إلى أديب إسحاق هذا؟! ثم ساهم في إنشاء جريدة (التجارة) وتولى رئاستها أديب إسحاق وسليم نقاش، وكان الأفغاني يساهم

---

(١) «نابغة الشرق جمال الدين الأفغاني» ص(٩١ ـ ٩٢)، وجمال الدين الأفغاني عبد القادر المغربي ص(٥٠ ـ ٥١).

(٢) «الماسونية بلا خداع» أبو صادق ص(٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٣) «خاطرات جمال الدين الأفغاني» لمحمد المخزومي ص(٢٢) الهامش.

بالكتابة فيها ويوصي تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلمًا وسعيًا[١] .

☐ وهكذا نرى الأفغاني يمكن النصارى من أجهزة الإعلام ويصرف النقود ويفتح المطابع، ويحصل على الامتيازات ليسلمها لهم.

وكان من المحيطين به من النصارى جورج كوتجي وطبيبه الخاص هارون يهودي[٢] ، ولم يحضر وفاته إلا كوتجي النصراني وهارون اليهودي، وعند قدومه إلى مصر يسكن في حارة اليهود[٣] .

* صلته بالإنجليز :

ومن المآخذ عليه صلته بالإنجليز المريبة ورجال الإنجليز، وفي الحقيقة أنه لم تتضح لي حقيقة الرجل بالإنجليز فهو معهم أحد رجلين لا محالة: إما عدو ساذج مغفل اتخذوه مطية لهم لتحقيق مآربهم؛ وإما صديق مخلص ذو مكر ودهاء[٤] .

وحسب ما نعرف من تاريخ الرجل فإن أول صلة بينه وبين الإنجليز حينما انضم إلى محمد أعظم في أفغانستان ضد شير علي وانتصر الثاني لتأييد الإنجليز له، ولم يجد الأفغاني بدًّا من الهرب[٥] .

وفي مصر كان يؤلب عليهم الناس حتى يقوموا بالثورة العرابية، وفي إيران يحرض مفتي إيران على تحريم الدخان لإبطال احتكار الإنجليز له في إيران تمهيدًا لاحتلالها، وفي باريس ينشئ مجلة العروة الوثقى التي تحارب الإنجليز أينما حلوا وتشنع عليهم وهو مع هذا يسرح في بلادهم ويمرح ويتردد

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا(١/ ٤٥).

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٦٩).

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ٤٤).

(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (١/ ٤٥).

(٥) «الإسلام والحضارة الغربية» محمد محمد حسين ص(٦٩).

بين لندره وباريز ولا يلقى سوى الترحيب[١] .

❑ صحيح أنهم أدّوا إلى تعطيل العروة الوثقى لكن صاحبها لا يجد مانعًا من اللجوء إلى سفير بريطانيا في الآستانة ليساعده على الخروج منها[٢] ولا تجد إنجلترا مانعًا قبل ذلك من عرضها له توليه السلطة في السودان[٣] وقبل هذا وذاك لا يجد السيد الأفغاني مانعًا من دخول المحفل الماسوني والاسكتلندي، ولا يجدون هم أنفسهم مانعًا من تعيينه رئيسًا للمحفل.

ولا يجد مانعًا من التعاون مع الانجليز ضدّ من؟ ضدّ الخلافة الإسلامية؟!! قال السلطان المهضوم عبد الحميد في مذكراته التي نشرت مؤخرًا: «وقعت في يدي خطة أعدّها في وزارة الخارجية الإنجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وإنجليزي يدعي بلند، قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين[٤] .

لهذا فلا عجب أن يصفه السلطان عبد الحميد بقوله: «كان رجل الإنجليز ومن المحتمل جدًّا أن يكون الإنجليز قد أعدّوا هذا الرجل لاختباري»[٥] .

❑ أما بلنت هذا الذي أشار إليه السلطان عبد الحميد فهو وزوجته من أصدقاء الأفغاني الإنجليز وهو وزوجته ذوي نشاط مريب في بلاد العرب ويكفي نشاطهما ريبة دعوتهما إلى إنشاء دولة عربية حليفة لإنجلترا تصبح

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ٤٤).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» محمد رشيد رضا (١/ ٧٢)، و«حاضر العالم الإسلامي» شكيب أرسلان (٢/ ٢٩٦).

(٣) «جمال الدين الأفغاني» محمود أبو رية ص(٥٣).

(٤) «مذكرات السلطان عبد الحميد» ترجمة محمد حرب عبد الحميد ص(٦٧).

(٥) المرجع السابق ص(٦٨).

مقرًّا للخلافة الإسلامية، ويكتب بلنت في ذلك كتابه المشهور المسمى «مستقبل الإسلام»[١] .

وصلة الأفغاني ببلنت هذا وزوجته أيضًا صلة مريبة فهي التي تفاوض باسمه الحكومة البريطانية وتبدي رأيها له في بعض المسائل وتطلب منه توجيهاته بعد هذا، وتسعى لعقد الاجتماعات بينه وبين كبار الشخصيات حتى الإيرانية منها فتنظم له لقاء مع مالكوم خان سفير إيران لدى جميع الدول الأوربية وهو نصراني ذو ميول أوربية[٢] ، وتفاوض باسمه بريطانيا في مسألة مصر ومسألة السودان وتكتب إليه بجواب الوزراء الإنجليز.

ومن يقرأ بتمعن تاريخ بلنت وزوجته يدرك أنهما يحاولان الظهور بمظهر التعاطف مع قضايا (العرب) حتى ضد الإنجليز ولكن حقيقتهما أنهما من رجال الإنكليز وأكبر من هذا دعوتهما لفصل العرب عن الخلافة الإسلامية وإنشاء دولة عربية حليفة لإنجلترا تصبح مقرًّا للخلافة الإسلامية وفي هذا وحده ما يكشف حقيقتهما.

فما علاقة الأفغاني بهما وكيف يسمح لنفسه أن يتعاون مع الإنجليز لهدم الإسلام والخلافة الإسلامية، وهو يسعى بزعمه وزعم المخدوعين به إلى الوحدة الإسلامية؟!

ومن المآخذ على الأفغاني تلك العبارات الخطيرة والألفاظ المنحرفة وهي وإن كانت غير صادرة منه ولكنها من تلاميذه وموجهة إليه، ولو لم يكن بها

---

(١) «الإسلام والحضارة الغربية» محمد محمد حسين ص(٦٨).

(٢) يروى عنه مستر بلنت في تاريخه السري لاحتلال إنجلترا مصر ص(٦٤ ـ ٦٥) قوله: ربما كان يهمكم أن تسمعوا حكاية دين أسس في فارس قبل مضي عدة سنين، وقد كنت زعيمه في يوم من الأيام، ويقول: «وقد أدركت عبث الاجتهاد في تنظيم فارس على مثال أوربا فصممت على اللباس الذي يفهمه الناس هناك. لباس الدين!!.

راضيًا لردع تلاميذه عنها ولعرفوا كراهيته لذلك فارتدعوا ولكنه لم يفعل فلم يفعلوا.

فمن ذلك ما كتبه إليه تلميذه إبراهيم اللقاني: «لو أذن لي سيدي وربّ ومعدّل مزاجي ومقوم خلائقي، ومحور خلقي ومحرر فطرتي.

❑ ويكتب إليه السيد رشيد رضا مصليًا ومسلمًا عليه بعد رسول الله ﷺ فيقول: «الحمد للَّه على أفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وعلى سيدي بل السيد المطلق، ذي القدح المعلى والجواد المصلى الأسبق، سدرة منتهى العرفان، وجنة مأوى المحاسن والإحسان الذي له جوّ متنفس، ومن كل نار مقتبس، الإمام المفرد والعقل المجرد، إلى أن قال: مهبط الفيض مصعد الكلم الطيب، مجلى سر الجمال الأكمل»(١) .

❑ ويكتب إليه الإمام محمد عبده ما هو أشد وأفظع وأخطر على عقيدة المسلم.

❑ ومن المأخذ على الأفغاني أن السلطان عبدالحميد استشاره في إرسال بعثة من العلماء لنشر الإسلام في اليابان حسب طلب امبراطور اليابان فأرجعه عن عزمه وقال له: «إن العلماء نفروا المسلمين من الإسلام فأجدر أن ينفروا الكافرين»(٢) .

❑ ومنها تعليله عدم زواجه بخشيته عدم العدل، ومنها قسمه الذي يقسم به وعز الحقّ وسرّ العدل، ومنها أنه يشرب «قليلاً من الكونياك»(٣) .

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا ص(٨٥).

(٢) «نابغة الشرق جمال الدين الأفغاني» لسعيد الأفغاني ص(١١٦) و«جمال الدين الأفغاني» لعبدالقادر المغربي ص(٣٢).

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (١/ ٤٩).

ومن شطحات الرجل في تفسيره قوله بـ «جواز الربا المعقول الذي لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير أضعافًا مضاعفة».

ويطول بنا الحديث لو أردنا استقصاء ذلك، ولعل فيما ذكرنا إشارة لمؤسس هذه المدرسة العقلية الحديثة والباعث لها وهو وإن كان الغالب على نشاطه السياسة لا الدروس العلمية التي هي مرادنا لكنه هو الذي وجه الإمام محمد عبده وتلاميذه إلى هذه الطريقة وأخذ بيدها إليه حتى سلكته وحمدت له ذلك واعترفت له[١] .

* **الشيخ محمد عبده:**

لئن كان السيد جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة فإن محمد عبده هو الذي أقام صروحها ودعا إليها ونشرها بين الناس فكان بحق هو صاحبها وهو أستاذها وإمامها الأول فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه جمال الدين.

* **ما يؤخذ عليه:**

ليس من السهل ذكر أكثر المآخذ على الشيخ محمد عبده فضلاً عن ذكرها جميعًا.

□ إن الإسلام عند الشيخ محمد عبده يعتمد على الدليل العقلي ويحتج به لا بالمعجزات «فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار

---

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(١٠٨ ـ ١٢٣، ٨٩).

غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع فكرك بصيحة إلهية»[١].

◻ ليس هذا فحسب، بل يعتقد الإمام أن الإيمان باللَّه لا يؤخذ من الرسول ولا من الكتاب ولا يصح أخذه منهما بل من العقل فيقول: «وقد اتفق المسلمون إلا قليلاً ممن لا يعتد برأيه فيهم ـ على أن الاعتقاد باللَّه مقدم على الاعتقاد بالنبوات، وأنه لا يمكن الإيمان بالرسول إلا بعد الإيمان باللَّه، فلا يصح أن يؤخذ الإيمان باللَّه من كلام الرسل ولا من الكتاب المنزل فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله اللَّه إلا إذا صدّقت قبل ذلك بوجود اللَّه وبأنه يجوز أن ينزل كتابًا ويرسل رسولاً»[٢].

◻ أما إذا تعارض العقل والنقل عنده فقد «اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه[٣] على أنه إذا تعارض العقل والنقل أُخِذ بما دلّ عليه العقل»[٤].

* التقريب بين الأديان :

بعد أن توقّفت العروة الوثقى وعاد الإمام إلى بيروت أنشأ فيها جمعية سياسية دينية سريّة هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية) واشترك معه في تأسيسها ميرزا باقر، وبير زاده، وعارف أبي تراب، وجمال بك نجل رامز بك التركي قاضي بيروت، ثم انضم إليها مؤيد

(١) «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده ص(٥٤ ـ ٥٥).
(٢) المرجع السابق ص(٥٤ ـ ٥٥).
(٣) هذا القليل هم سلف الأمة جميعًا ولا عبرة بقول المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وقد كان الشيخ محمد عبده أشعريًا.
(٤) «الإسلام والنصرانية» ص(٥٩).

الملك أحد وزراء إيران، وحسن خان مستشار السفارة الإيرانية بالأستانة، والقس إسحاق طيلر، وجي دبليو لينتر، وشمعون مويال، وبعض الانكليز واليهود، وكان الإمام صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها، وميرزا باقر هو الناموس (السكرتير) العام لها[١] وهو إيراني تنصّر وصار مبشّراً نصرانيًّا وتسمّى بميرزا يوحنا ثم عاد إلى الإسلام. ودعا أعضاؤها إلى فكرتهم في صحفهم ورسائلهم، وهذا الشيخ محمد عبده يكتب رسالة إلى القس إسحاق طيلر يقول فيها: «كتابي إلى الملهم بالحق الناطق بالصدق حضرة القس المحترم إسحاق طيلر أيدّه اللَّه في مقصده ووفاه المذخور من موعده». إلى أن قال: «.. ونستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل فتُهزم له ظلمات الغفلة فتصبح الملتان العظيمتان المسيحية والإسلام وقد تعرّفت كل منهما إلى الأخرى وتصافحتا مصافحة الوداد وتعانقتا معانقة الألفة، فتُغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين»[٢] !!!!!.

□ويقول: «وإنا نرى التوراة والإنجيل والقرآن ستصبح كتبًا متوافقة!!، وصحفًا متصادقة!!، يدرسها أبناء الملتين، ويوقّرها أرباب الدينْين، فيتم نور اللَّه في أرضه، ويظهر دينه الحق على الدين كله»[٣] ؟!!

□ بينما يردد الشيخ محمد عبده هذا القول الكُفري وأمثاله ينشر جي دبليو لينتر مقال «الإسلام والمدارس المحمدية» في الديلي تلغراف اللندنية جاء فيه: «إحسان المسلمين لمواليهم وإشفاقهم على البهائم التي ترجع أيضًا إلى

---

(١)«تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (١/ ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢٨).

(٢، ٣) «الأعمال الكاملة لمحمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

الربّ وإنفاقهم في سبيل الخير والسذاجة التي هي من خصال المؤمنين الصادقين أحرى بأن تميلنا إليهم من أن نصيح على النبي الكاذب»(١) .

◻ وقال أيضًا: «وإن كنا نريد أن نلصق المسلمين بالدولة الإنكليزية فيجب علينا أن نهب لهم الدين والدنيا»(٢) .

◻ ويقول إسحاق طيلر: «إن المسلمين قد آمنوا بالمسيح عليه السلام.. فهم عندنا مسيحيون نصلى لهم كل يوم أحد ونسأل اللَّه يهديهم وإيانا إلى الحق وإلى طريق مستقيم»(٣) .

ولعل أول ثمرة جناها الغربيون في سعيهم إلى التقريب بين الأديان القضاء على فكرة الجهاد في الإسلام، فما دامت الأديان الثلاثة كلها حق، وليس بينها من فرق، فليس هناك من داع لحمل السيف وإعلان الجهاد ضد النصارى مثلاً، وهو الأمر الذي أقلق بريطانيا كثيرًا وهي دولة نصرانية، فسعت بشتى السبل للقضاء على هذه العقيدة الإسلامية، فأنشأت القاديانية التي حرّمت قتال الإنجليز، والبهائية كذلك، وأيّدت حركة أحمد خان الذي أعلن أن قتال الإنجليز كفر وأن مساعدتهم واجبة.

◻ ومن أثر هذه الدعوة ما نراه بارزًا في حديث رجال المدرسة العقلية الحديثة من تقليل شأن الجهاد في نشر الإسلام، وأنه قام على الدعوة باللسان، «وعللوا كل حركة من حركاته بأنه للدفاع بمعناه الاصطلاحي الحاضر الضيّق»(٤) فلقد زعم السيد رشيد رضا «أن حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعًا»(٥) .

(١، ٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/ ٨٢٠ ـ ٨٢٢) ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة المنار.

(٣) المرجع السابق (١/ ٦ ـ ٨).

(٤) «خصائص التصور الإسلامي» لسيد قطب ص(١٨).

(٥) «الوحي المحمدي» للشيخ محمد رشيد رضا ص(٢٧٢).

لذلك فلا عجب أن تؤيد إنجلترا تلك الجمعية.

□ لن نحاسب الإمام إلا بحقيقة الإسلام التي لا تخفى على مثله وعلى أمثال تلاميذه.

* فتوى لعالم الإسلام الرباني ابن باز في «التقريب بين الأديان»:

لا أخوة بين المسلمين والكافرين
ولا دين حق غير دين الإسلام

الحمد للَّه وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

أما بعد: فقد نشرت صحيفة عكاظ في عددها ٣٠٣١ الصادر بتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٧هـ خبراً يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة وذكرت فيه أن الاحتفال بذلك يعد تأكيداً لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلام والمسيحية. انتهى المقصود.

كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامي في عددها ٣٩٥ الصادر بتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٩هـ الخبر المذكور وذكرت ما نصه: (ولا شك أن هذا العمل يعتبر تأكيداً لسماحة الإسلام وأن الدين واحد) إلى آخره.

ونظراً إلى ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة على أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين، وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي والنصراني؛ لأن الدين الإسلامي هو الحق الذي يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه أما النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم؛ ومن الأدلة على ما ذكرنا قول اللَّه سبحانه في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

* وقول اللَّه عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ

مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ الآية [الممتحنة: ٤].

* وقوله سبحانه في سورة المجادلة: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

* وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

* وقوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

* وقوله عز وجل في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وقوله تعالى في السورة المذكورة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* وقوله عز وجل في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧١].

* وقوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥].

● وقول النبي ﷺ: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره، ولا يخذله ولا يكذبه»** الحديث رواه مسلم، ففي هذه الآيات الكريمات والحديث الشريف وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث إنما يدل دلالة ظاهرة على أن الأخوة والمحبة إنما تكون بين المؤمنين أنفسهم.

❑ أما الكفار فيجب بغضهم في اللَّه ومعاداتهم فيه سبحانه، وتحرم موالاتهم وتوليهم حتى يؤمنوا باللَّه وحده ويدعوا ما هم عليه من الكفر والضلال.

❑ كما دلّت الآيات الأخيرة على أن الدين الحق هو دين الإسلام الذي بعث اللَّه به نبيه محمداً ﷺ وسائر المرسلين وهذا هو معنى قول النبي ﷺ: **«نحن معاشر الأنبياء ديننا واحد»** رواه البخاري في «صحيحه»، أما ما سواه من الأديان الأخرى سواء كانت يهودية أو نصرانية أو غيرهما فكلها باطلة وما فيها من حق فقد جاءت شريعة نبينا محمد ﷺ به أو ما هو أكمل منه؛ لأنها شريعة كاملة عامة لجميع أهل الأرض، أما ما سواها فشرائع خاصة نسخت بشريعة محمد ﷺ التي هي أكمل الشرائع وأعمها وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد كما قال اللَّه سبحانه يخاطب نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

□ وقد أوجب اللَّه على جميع المكلفين من أهل الأرض اتباعه والتمسك بشرعه كما قال تعالى في سورة الأعراف بعد ذكر صفة محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ثم قال عز وجل بعدها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٨].

* ونفى الإيمان عن جميع من لم يحكمه فقال سبحانه في سورة النساء: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

* وحكم على اليهود والنصارى بالكفر والشرك من أجل نسبتهم الولد للَّه سبحانه واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه عز وجل بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣٣].

□ ولو قيل إن هذا الاحتفال يعتبر تأكيدًا لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع لكان ذلك وجيهًا ولا محذور فيه، ولواجب النصح

للَّه ولعباده رأيت التنبيه على ذلك لكونه من الأمور العظيمة التي قد تلتبس على بعض الناس.

◻ وأسأل اللَّه أن يوفقنا وسائر المسلمين للأخوة الصادقة في اللَّه والمحبة فيه ومن أجله، وأن يهدي أبناء البشرية جميعًا للدخول في دين اللَّه الذي بعث به نبيه محمدًا ﷺ والتمسك به وتحكيمه ونبذ ما خالفه؛ لأن في ذلك السعادة الأبدية والنجاة في الدنيا والآخرة، كما أن فيه حل جميع المشاكل في الحاضر والمستقبل إنه جواد كريم، وصلّى اللَّه وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه»[1] .

* **ومن المآخذ على الشيخ محمد عبده:**

◻ اشتراكه مع أستاذه الأفغاني في المحافل الماسونية ونشاطه فيها وتعاونه مع أستاذه في نشر مبادئها.

ويرد على من يدافع عن انتمائه إلى الماسونية بمثل ما رددنا به على من يدافع عن الأفغاني بل هو في محمد عبده أكثر قوة ووضوحًا لتأخر وفاة الشيخ عبده عن الأفغاني وقد كان الشيخ عبده يحتفظ ببعض كتب الماسونية في منزله بخط الأفغاني وقد صودرت أثناء سجنه بمصر.

◻ وقد صدرت منه عبارات كعبارات أستاذه الأفغاني تفوح منها رائحة تجاهل الإسلام والدعوة إلى الفرعونية المصرية فمن ذلك قوله: «كنت فيمن دعا الأمة المصرية إلى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الأمة لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنًا»[2] ، قال هذا القول وهو في القرن الرابع عشر الهجري أو العشرين الميلادي وعلى كلا الأمرين يكون

---

(١) «مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز» (٣/ ١٠٢٣).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/ ١٢).

قفز بقوله الحكم الإسلامي بأكمله! فمتى عرفت هذه الأمة ذلك إذا لم تكن عرفته في الإسلام؟!

□ لا شك أن الدعوة إلى القومية الوطنية إنما هي أيضًا وليدة الماسونية التي تسعى إلى القضاء على الأديان، ولذلك يلاحظ كل من ينظر في سيرة هذا الرجل مظاهر دعوته إلى القومية العربية في سمتين بارزتين:

الأولى: أن الشيخ محمد عبده هو الذي صاغ برنامج الحزب الوطني المصري وجاء فيه في المادة الخامسة منه «الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرس أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليها»[(١)] .

□ وفي سنة ١٨٨٨م جرت في مصر مناقشات صحفية حول تعصب الأقباط في مصر ضد المسلمين فكتب الشيخ محمد عبده مدافعًا عن الأقباط: «ليس من اللائق بأصحاب الجرائد أن يعمدوا إلى إحدى الطوائف المتوطنة في أرض واحدة فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوها إلى شائن من العمل تعللاً بأن رجلاً أو رجالاً منها قد استهدفوا لذلك..»[(٢)] .

□ ومن أقواله: «إن خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه»[(٣)] ، وغاب عن ذهنه أن خير أوجه الوحدة الدين.

السمة الثانية: مطالبته باستقلال العرب عن الأتراك:

فقد أرسل لويس صابونجي برقية إلى مستر بلنت أوردها الأخير في تأريخه السري لاحتلال إنجلترا مصر جاء فيها إن: «نديم وعرابي وعبده

---

(١) «الأعمال الكاملة الإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١/١٠٧).

(٢) المرجع السابق (١/١٠٨).

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (٢/١٩٤).

يتحدون الباب العالي علنًا»[١] ، ويقول بلنت أيضًا في تأريخه هذا: «وقد سمعت سامي وعبده ونديمًا يلعنون السلاطين والأمم التركية من عهد جنكيز خان وهولاكو إلى عبدالحميد وقد ألف حزب كبير يستعد لإعلان الاستقلال عن تركيا إذا تدخل الأتراك في مصر تدخلاً حربيًا..»[٢] ، وهذا الموقف هو الذي يفسر لنا معنى تلك البرقية التي أرسلها الخديو توفيق إلى السلطان العثماني في نوفمبر سنة ١٨٨١م يقول له فيها: «إن مصر في حالة ثورة وإن هناك اقتراحًا لإنشاء امبراطورية عربية»[٣] .

◻ وهو مع عداوته للأتراك وللخلافة الإسلامية قد يعلن تأييده للخلافة الإسلامية والدولة العثمانية ولكنه إعلان نفاق وتزلف؛ لأنه إنما يعلن هذا حينما يكون في نطاق النفوذ المباشر للسلطان العثماني والسلطة العثمانية فإذا خرج من ذلك عاد إلى رأيه القديم في هذه الدولة وهذا السلطان[٤] فهو يقول في تأييد الخلافة: «وإني على ضعفي ـ والحمد للَّه ـ مسلم العقيدة عثماني المشرب، وإن كنت عربي اللسان ولا أجد في فرائض اللَّه بعد الإيمان بشرعه والعمل على أصوله فرضًا أعظم من احترام مقام الخلافة والاستمساك بعصمته والخضوع لجلالته وشحذ الهمة لنصرته بالفكر والقول والعمل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وعندي أني إن لم أقم على هذه الطريق فلا اعتداد عند اللَّه بإيماني فإنما الخلافة حفاظ الإسلام ودعامة الإيمان فخاذلها محاد للَّه ورسوله ومن حادّ اللَّه ورسوله فأولئك هم الظالمون»[٥] .

---

(١) «التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر» للمستر بلنت ص(٢٤٩).
(٢) «المرجع السابق ص(٢٥٥ ـ ٢٥٦).
(٣) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١/ ١١٣).
(٤) المرجع السابق (١/ ١١٤ ـ ١١٥).
(٥) «تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣).

□ ومن أثر هذا الاتجاه أيضًا اتجاهه إلى إنشاء جمعية «سرية» للتقريب بين الأديان ودفاعه القوي عنها وعن أعضائها حتى في وجه الخلافة الإسلامية، كتب مدافعًا عن إسحاق طيلر قائلاً: «إن السر في غضب السلطان عبدالحميد من نشاط القس الإنجليزي إسحاق تيلور في الدعوة لتوحيد الأديان وموافقتي وميرزا باقر وعلماء دمشق له ومراسلتنا إياه أنه خشي أن يعتنق الإنجليز الإسلام، ثم يطلبوا أن يكونوا أصحاب الدولة في الإسلام وتكون الملكة فيكتوريا ملكة المسلمين.. ويذهب السلطان من السلطان.. وسبحان مدبر العقول»[١].

فانظر إلى أي مدى وصل دفاعه عن قس إنجليزي يقول: «إن المسلمين قد آمنوا بالمسيح عليه السلام.. فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم أحد ونسأل اللَّه أن يهديهم وإيانا إلى الحق وإلى طريق مستقيم»[٢].

ثم انظر إلى هذا الاتهام السخيف من محمد عبده إلى السلطان عبدالحميد؟! ولا ندري هل قال الشيخ عبده هذا عن اعتقاد صحيح أو خداع للقارئ.

أما عن نشاطه في هذه الجمعية فقد تقدم بيانه.

□ ومن أهم المآخذ عليه علاقته المريبة بالإنجليز كأستاذه الأفغاني، فقد كان الإمام محمد عبده يبذل لهم النصيحة خالصة ويرشدهم إلى ما يوطد دعائم احتلالهم ويحذرهم من الأخطاء التي يكادون أن يقعوا فيها وتضرهم في مصالحهم، نذكر لذلك مثلاً بعزيمة اللورد كرومر على إلغاء النيابة العامة وإحالة أعمالها إلى القضاء، فحذره محمد عبده بأن هذا خطأ لا يحتمل

---

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١/ ٧٣٥).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/ ٨٢٦).

الصواب وعلل ذلك بأن رجال النيابة من أرقى رجال البلاد علمًا وعقلاً ولسانًا وقلمًا وستتوجه همة كل من تلغى وظيفته إلى الاشتغال بالسياسة فيتعبون البلاد والمسئولين عن النظام تعبًا كبيرًا»[١] فأبطل اللورد المشروع فوراً.

بل ويدل على ما قدمه لهم من خدمات دفاعهم عنه والوقوف بجانبه فقد صرح اللورد كرومر بأن الشيخ محمد عبده يظل مفتيًا في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها»[٢] ، وكان الاحتلال الإنجليزي عاملاً أساسيًا من عوامل عودة محمد عبده إلى مصر وقد صرح اللود كرومر بذلك في كتابه مصر الحديثة فقال: إن العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني»[٣] .

وقدم له الإنجليز الحماية في الآستانة حين كثرت الدسائس ضده يقول تلميذه السيد رشيد رضا «كان المراد من الدسائس.. أن يحبس الأستاذ الإمام أو يهان وهم لا يجهلون أن السفارة البريطانية كانت بالمرصاد وأنها لا تسكت للحكومة الحميدية على ذلك لو أقدمت عليه والسلطان ورجاله لا يجهلون هذا أيضًا»[٤] . ويكتب الشيخ عبده نفسه إلى السيد رشيد قائلاً: إن السلطان لا يستطيع حبسي لو أراده وهو يعلم عجزه عن ذلك حق العلم ولذلك أسباب لا أحبّ ذكرها الآن»[٥] .

فأي علاقة تربطه بالإنجليز حتى يوفروا له كل هذه الحماية؟! وأيّ أسباب لا يحب الشيخ محمد عبده ذكرها؟!

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (١/ ٩٢٢).
(٢) المرجع السابق (١/ ٥٠١ ـ ٥٦٤).
(٣) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة ص(٤٥).
(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ٨٦٠).
(٥) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» لمحمد عمارة (١/ ١١٧).

□ ثم لا ندري كيف تستقيم عقيدة الرجل وقد كلّت أبصارنا من قراءة عبارات له خطيرة يبدو الانحراف ظاهراً في عقيدة قائلها.

فمن ذلك ما ورد في كتابه الذي أرسله من السجن إلى أحد مريديه «.. ودارت الأفلاك دورة العكس ذاهبة بنيرانها إلى عوالم غير عالمنا هذا فولى معها آلهة الخير أجمعين وتمخضت السلطة لآلهة الشر»(١) .

ولا يصح تخريج تلميذه رشيد لهذا بأنه على الحكاية لخرافات اليونانيين وهو إن كان قال هذا عن اعتقاد فلا شك في كفره ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ٤].

ومن ذلك ما كتبه إلى أستاذه الأفغاني قائلاً: «ليتني كنت أعلم ماذا أكتب إليك، وأنت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك، صنعتنا بيديك وأفضت على موادنا صورها الكمالية وانشأتنا في أحسن تقويم فبك عرفنا أنفسنا وبك عرفناك وبك عرفنا العالم أجمعين فعلمك بنا كما لا يخفاك علم من طريق الموجب وهو علمك بذاتك وثقتك بقدرتك وإرادتك، فعنك صدرنا وإليك إليك المآب.

أوتيت من لدنك حكمة أقلب بها القلوب وأعقل العقول، وأتصرف بها في خواطر النفوس ومنحت منك عزمة أتعتع بها الثوابت وأذل بها شوامخ الصعاب وأصدع بها حمّ المشاكل وأثبت بها في الحق للحق حتى يرضى الحق، وكنت أظن قدرتي بقدرتك غير محدودة ومكنتي لا مبتوتة ولا مقدورة فإذا أنا من الأيام كل يوم في شأن جديد»، ويقول: «فصورتك الظاهرة تجلت في قوتي الخيالية وامتد سلطانها على حسي المشترك وهي رسم الشهامة وشبح الحكمة وهيكل الكمال فإليها ردت جميع محسوساتي وفيها فنيت مجامع

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (١/ ٢٦٧).

مشهوداتي وروح حكمتك التي أحييت بها مواتنا وأنرت بها عقولنا وطفت بها نفوسنا بل التي بطنت بها فينا فظهرت في أشخاصنا فكنا أعدادك وأنت الواحد وغيبك وأنت الشاهد ورسمك الفوتوغرافي الذي أقمته في قبلة صلاتي رقيبًا على ما أقدم من أعمالي ومسيطراً عليّ في أحوالي وما تحركت حركة ولا تكلمت كلمة ولا مضيت إلى غاية ولا انثنيت عن نهاية حتى تطابق في عملي أحكام أرواحك وهي ثلاثة فمضيت على حكمها سعيًا في الخير وإعلاءً لكلمة الحق وتأييدًا لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة ولست في ذلك إلا آلةً لتنفيذ الرأي المثلث ومالي من ذاتي إرادة حتى ينقلب مربعًا غير أن قواي العالية تخلت عني في مكاتبتي إليك وخلت بيني وبين نفسي التزامًا لحكم أن المعلول لا يعود على علته بالتأثير على أن ما يكون إلى المولى من رقائم عبده ليس إلا نوعًا من التضرع والابتهال لا أحسب فيه ما يكشف خفاء أو يزيد جلاء ومع ذلك فإني لا أتوسل إليك في العفو عما تجده من قلق العبارة وما تراه مما يخالف سنن البلاغة بشفيع أقوى من عجز العقل عن إحداق نظره إليك وإطراق الفكر خشية منك بين يديك، وأي شفيع أقوى من رحمتك الضعفاء وحنوك لمغلوبي حياء»، ويقول: «فقد قضت حكمتك القائمة منا مقام الإلهام في قلوب الصديقين»، ويقول أيضًا: «أما ما يتعلق بنا فإني على بينة من أمر مولاي وإن كان في قوة بيانه ما يشكك الملائكة في معبودهم والأنبياء في وحيهم، ولكن ليس في استطاعته أن يشكك نفسه في نفسه ولا أن يقنع عقله الأعلى بمحالات وإن كان في طوعه أن يقنع بها من أراد من الشرقيين والغربيين.

هذا بعض ما ورد في خطاب محمد عبده إلى أستاذه الأفغاني بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠هـ وهي عبارات ولا شك خطيرة توجب إعادة النظر في عقيدة الرجل عند من لا تخدعه الأسماء وقد استغرب السيد رضا نفسه هذه الرسالة من أستاذه حيث قال عند سياقه لها:

«ومن كتاب له إلى السيد جمال الدين عقب النفي من مصر إلى بيروت وهو أغرب كتبه بل هو الشاذ فيما يصف به أستاذه السيد مما يشبه كلام صوفية الحقائق والقائلين بوحدة الوجود التي كان ينكرها عليهم بالمعنى المشهور عنهم، وفيه من الإغراق والغلو في السيد ما يستغرب صدوره عنه، وإن كان من قبيل الشعريّات، وكذا ما يصف به نفسه بالتبع لأستاذه من الدعوى التي لم تعهد منه البتة»[1] ، ثم ساق نص الخطاب، ولم يلتزم السيد رشيد رضا الدقة كلها في نقل الرسالة فنراه يحذف بعض العبارات الخطيرة ويضع نقطًا وأحيانًا لا يضع حتى النقط ويحاول حينًا أن يلطف من شدة انحراف بعض العبارات بتأويلات متكلفة، أما حذفه بعض العبارات فلعله وضع لنفسه مبرراً لذلك فقال في تقديم الخطاب: «ومن كتاب له إلى السيد جمال الدين».

هذه عبارات ولا شك خطيرة، ولكن ما هو أخطر وأشد ضلالاً ما ورد في خطاب آخر منه إلى السيد الأفغاني بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٠٠هـ وإني لأدعو القارئ أن يمعن النظر في كل حرف أنقله من الرسالة: «أما الآن وقد حبسني الجناب العالي نتيجة لأعماله فإني أصدع بأفكاري قواعد الملكوت وأزعزع بهمتي أركان سطوة الجبروت وأدعو إلى الحق دعوة الحكيم.. ثم يقول: «بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر في «الدبا» من دفاعكم عن الدين الإسلامي (يا لها من مدافعة) ردًّا على مسيو رينان فظنناها من المداعبات الدينية تحل عند المؤمنين محل القبول فحثنا بعض الدينيين على ترجمتها لكن حمدنا اللَّه تعالى إذ لم يتيسر له وجود أعداد «الدبا» حتى ورد كتابكم واطلعنا على العددين ترجمهما لنا حضرة الفاضل حسن أفندي بيّهم

---

(١)«تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (٢/ ٥٩٩).

فصرفنا ذهن صاحبنا الأول عن ترجمتها[1] وتوسلنا في ذلك بأن وعدنا أن الأصل العربي سيحضر فإن حضر نشر ولا لزوم للترجمة فاندفع المكروه والحمد للَّه».

---

(١) نقل الأستاذ محمد حميد اللَّه في مجلة الفكر الإسلامي - بيروت - السنة الثانية العدد الثاني في مقال «صلات ارنست رينان مع جمال الدين الأفغاني» نقل بعض العبارات التي جاءت في دفاع الأفغاني ومن الطريف أن الأستاذ حميد اللَّه استغرب صدور هذه النصوص من جمال الدين واستبعد ذلك، ولو أنه قرأ خطاب محمد عبده - هذا - إلى الأفغاني وحرصه على عدم ترجمة هذا الدفاع من الأفغاني لأدرك صحة نسبته للأفغاني.
أما النصوص فمنها: «عند قراءة المحاضرة (يعني محاضرة رينان التي يرد عليها الأفغاني) لا يقدر الإنسان على منع نفسه من التساؤل: «إن أصل تلك العوائق هل هو من دين المسلمين أو من خصائص الملل التي أكرهت بالسيف على قبول ذلك الدين».
ومنها: «وفي الحقيقة إن الدين الإسلامي حاول خنق العلم وسدّ جميع التطور ولذلك نجح في سدّ الحركات الفكرية والفلسفية وطرد الأذهان عن طلب الحقيقة العلمية».
ومنها: «كان هذا صحيحًا أن دين المسلمين يعوق من تطور العلم فهل يقدر أحد على أن يدعي عن هذه الطائفة سوف لا تزول يومًا؟ ففيم يختلف دين المسلمين في هذا من سائر الأديان؟ إن جميع الأديان لا سماحة عندها أبدًا، كل واحد حسب شاكلته إن المجتمع النصراني الذي تحرر واستقل الآن يتقدم بادي الرأي سريعًا في سبيل التقدم والعلوم بينما المجتمع الإسلامي لم يتحرر إلى الآن من تسلط الدين».
ومنها: «لا شك عندما سار الإسلام في البلاد التي تملكها باستعمال الجبر والقهر ما هو معروف نقل إليها لغته وعاداته ومعتقداته وهذه البلاد لم تستطع إلى الآن من الخلاص من مخالبه».
ومنها: «.. ولماذا لم يزل العالم العربي مغطى بالظلمات العميقة؟ في هذه الناحية تظهر مسئولية الدين الإسلامي كاملة. ومن الظاهر أن هذا الدين حيثما حل حاول خنق العلوم».
هذا بعض ما جاء في رد الأفغاني، ولذلك فلا عجب أن يكتب رينان في اليوم التالي معقبًا على ردّ الأفغاني: «إنه متفق مع جمال الدين تمام الاتفاق فيما ذكره في رده عليه».
هذه النصوص نقلها الأستاذ محمد حميد اللَّه من جريدة «جورنال ديه ديبا» الفرنسية المؤرخة في ١٨ مايو ١٨٨٣.

ثم قال في عبارة أشد انحرافًا وأدعى إلى تقييم عقيدته: «نحن الآن على سنتك القويمة لا تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً ركعًا سجداً لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل».

عجبًا!! نحن الآن على سنتك القويمة.. لا تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين ـ ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً.. ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل؟!

هي هي دعوة باطنية يخفيها الرجلان ويسعيان تحت ستارة الدين و«بسيف الدين» لقطع «رأس الدين»؟! وقيامهم بالصلاة أمام الناس هل هو سعي إلى القبض على سيف الدين؟! ثم تركهم للصلاة بعض الأحيان هل هو تنفيس «لضيق العيش» وعودتهم إليها حينًا لأجل «فسحة الأمل».

□ عاتب الشيخ يوسف النبهاني السيد رشيد رضا على صحبته لمحمد عبده وتسميته له بالأستاذ الإمام مع تركه للحج ولفروض الصلاة ولاشتراكه في الماسونية فقال نظمًا:

وذاكرته في شيخه وهو عبده	تملكه للشيطان عن قومه قسرا
فقلت له لو كابن سينا زعمتم	وعالم فاراب وأفهم قدرا
لقلنا لكم حقًّا وإن كان باطلاً	ولم نر من هذا على ديننا ضرا
ولكنكم مع تركه الحج مرة[1]	وحج لباريز ولندره عشرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكن	يسر بذا بل كان يتركها جهرا

(١) اعترف السيد رشيد بهذا وزعم أن المانع هو الخوف من إساءة السلطان عبدالحميد له! ونقول: إن الشيخ محمد عبده كان قادراً على الحج قبل سوء العلاقة بينه وبين السلطان هذا لو سلمنا أن سوء العلاقة كان مانعًا حقيقيًا!! ومن تمكن من زيارة الآستانة نفسها في عهد السلطان عبدالحميد أفلا يستطيع أن يحج إلى مكة المكرمة؟!.

ومع كونه شيخ المسون مجاهراً بذلك، لا يخفي أخوّتهم سرًّا
ومع غير هذا من ضلالاته التي بها سار مثل السهم للجهة الأخرى
تقولون أســتاذ إمــام لديننا فما أكذب الدعوى وما أقبح الأمرا
ونحن نراه عندنا شــر فاسق فيقتل فسقًا بالشريعة أو كفرا[1]

❑ أما عن الشيخ الأفغاني فيقول الشيخ يوسف النبهاني: «إنه اجتمع به سنة ١٢٩٧هـ في مصر حين كان مجاوراً بالأزهر ولازمه من قبل الغروب إلى قرب العشاء فلم يصل المغرب»[2] .

❑ ومن أقوال الشيخ محمد عبده التي نؤاخذه عليها وصفه للأزهر بالأسطبل والمارستان والمخروب[3] وقوله لتلميذه رشيد: «إن من تطول مدة طلبه للعلم في الأزهر وأمثاله فإنه يفقد الاستعداد للعلم»[4] .

وفي الحقيقة إن الباحث المدقق في مسار الفكر الإسلامي في تلك الآونة وما تلاها يجد الشيخ محمد عبده خلف كثير من الدعوات الهدامة والمبادئ المنحرفة لا أقول هذا تعصبًا ضد الرجل فما تقولت عليه قولاً وما نسبت إليه نصًّا إلا عن مصدر موثوق وطريق مأمون.

نشر محمد أحمد خلف اللّه كتابه «الفن القصصي في القرآن الكريم» زعم فيه أن ورود الخبر في القرآن لا يقتضي وقوعه وإنه يذكر أشياء وهي لم تقع ويخشى على القرآن (!!) من مقارنة أخباره بحقائق التاريخ، وقال: «إننا

(١) «الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء» ضمن كتاب «العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية» وكلاهما للشيخ يوسف النبهاني ص(٣٨٣).
(٢) المرجع السابق ص(٣٧٢).
(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ٤٩٥).
(٤) المرجع السابق (١/ ١٨١).

لا نتحرج من القول: بأن القرآن أساطير»[١] . وعندما رفضت جامعة فؤاد هذه الرسالة دافع عنها أمين الخولي المشرف على الرسالة قائلاً: «إنها ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الأزهر منذ اثنين وأربعين عامًا»[٢] .

* محمد عبده وتلميذه قاسم أمين:

❑ ونشر قاسم أمين كتابه تحرير المرأة وفيه دعوة إلى نبذ الحجاب واطراحه وإلى خروج المرأة إلى العمل في كل المجالات ودراسة كل العلوم وزعموا أن هذا تحرير المرأة وهو في الحقيقة تخريب للمرأة وتحرير لها من الكرامة التي صانها لها الإسلام.

❑ وقصة الكتاب تبدأ حينما نشر أحد الكتاب الفرنسيين مقالاً هاجم فيه حجاب المرأة المصرية فكتب قاسم أمين دفاعًا عن الحجاب أغضب اللورد كرومر الذي جاء إلى مصر كما قال: ليمحو ثلاثًا القرآن والكعبة والأزهر[٣] فأمر بوضع كتاب «تحرير المرأة»، وقيل: إن الذي أمر بوضعه الأميرة نازلي حفيدة إبراهيم باشا؛ لأنها غضبت من دفاع قاسم أمين عن الحجاب «والذين نسبوا الأمر إلى اللورد كرومر والذين نسبوه إلى «نازلي» يتفقون أن الأمر قد صدر إلى الشيخ محمد عبده، وأنه قد قام بدور كبير في تأليف الكتاب.. بل يرى بعضهم إنه هو الذي ألّفه، ثم وضع على غلافه اسم قاسم أمين تجنبًا للحرج والعاصفة التي كانت ستهب عليه مباشرة إذا ما وضع اسمه عليه، وهو الشيخ الأزهري ذو المناصب الدينية الكبرى، ومنها منصب

---

(١) «الفن القصص في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص(١٨٠).
(٢) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله تقديم أمين الخولي ص ح.
(٣) «الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون» لأنور الجندي ص(٢٩).

مفتي الديار المصرية»[١] .

ولذلك فلا عجب أن يقول الأستاذ محمد عمارة الذي جمع مؤلفات ومقالات محمد عبده في كتاب «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» في ستة مجلدات بعد تحقيق دقيق لنسبتها إلى محمد عبده لا عجب أن يقول: «والرأي الذي أؤمن به والذي نبع من الدراسة لهذه القضية هو أن هذا الكتاب إنما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين.. وأن في هذا الكتاب[٢] عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الأستاذ الإمام الكتاب صياغته النهائية، بحيث جاء أسلوبه على نمط واحد هو أقرب إلى أسلوب محمد عبده منه إلى أسلوب قاسم أمين»[٣] ، ثم ذكر بعد هذا مجموعة كبيرة من الأدلة على ذلك قدم بين يديها عدداً من القرائن.

منها موقف الأستاذ الإمام من الكتاب بعد صدوره فلقد أيّده ودافع عنه بطريقة غير مباشرة وامتنع عن التعليق عليه أو المشاركة بشكل مباشر في المعارك التي دارت من حوله وبالذات عندما أراد خصومه إحراجه وطلبوا منه أن يفتي ـ بحكم منصبه الرسمي ـ في الموضوع.

أما دفاعه غير المباشر فيتمثل في وقوف الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار إلى جانب الكتاب فلقد تناولت المنار الكتاب بالمدح والتقريظ في أكثر من مرة واعتبرته مع رسالة التوحيد للأستاذ الإمام و«سر تقدم الإنجليز السكسونيين» الذي ترجمه فتحي زغلول أهم الأعمال الفكرية في ذلك العصر «المنار ١ يوليو ١٨٩٩م» كما تناولته بالثناء في عددي ١٥ يوليو ٢٦ اغسطس

---

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).
(٢) يعني كتاب «تحرير المرأة» المنسوب لقاسم أمين.
(٣) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١/ ٢٥٢).

من العام نفسه»[١] .

ووصف السيد رشيد رضا قاسم أمين بأنه العالم البارع في علوم الأخلاق والاجتماع»[٢] .

□ وحينما أراد خصوم الشيخ إحراجه طبعوا سؤالاً موجهًا إليه هو: «هل رفع الحجاب عن المرأة وإطلاقها في سبيل حريتها بالطريقة التي يريدها صاحب كتاب المرأة الجديدة يسمح به الشرع الشريف أم لا؟»، ووزعوا هذا السؤال على الجمهور في صورة كتاب مفتوح إلى المفتي محمد عبده. عندما فعلوا هذا لزم الشيخ محمد عبده الصمت ودافعت المنار عن هذا الصمت قائله:

١ ـ إن الاستفتاء جاء على خلاف المعهود بأن وزع على الجمهور.

٢ ـ إن الجواب عليه يستلزم قراءة الكتاب في حين أن المفتي مثقل بالأعمال (!!).

٣ ـ إن من اطلع على الفتوى يحتاج إلى أن يقرأ الكتاب أولاً، فإذا كان ضارًّا تكون الفتوى سببًا في إذاعة الضرر (!!).

٤ ـ إن فتوى الإمام ستكون على المذهب الحنفي الذي عينته الحكومة ليفتي على أساسه في حين أن بعض المذاهب قد أباحت كشف المرأة لوجهها ويديها[٣] .

أما الفصول التي أثبت الأستاذ محمد عمارة أنها للشيخ محمد عبده فهي «الحجاب الشرعي» و«الزواج» و«تعدد الزوجات» و«الطلاق» ثم قال

---

(١)المرجع السابق (١/ ٢٥٥).

(٢)تاريخ الأستاذ الإمام» للسيد محمد رشيد رضا (١/ ١٠٥١).

(٣)مجلة المنار المجلد ٤ (١/ ٣٣ ـ ٣٤) في غرة ذي القعدة ١٣١٨هـ.

عنها: «إنما هي فكر خالص وصياغة خالصة للأستاذ الإمام»[١] وأقول: إن هذه الفصول هي أهم ما في الكتاب.

◘ ومن هنا ندرك أن الشيخ محمد عبده يقف خلف هذه الدعوة، ولذلك رأى الشيخ مصطفى صبري أن يكتب تحت عنوان «الأستاذ الإمام وكتاب اللَّه في كفتي الميزان»: ـ «وإني أرى الرسالة المستنكرة ـ يعني رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم» ـ وما سبقها في مصر من الأحداث والفتن المماثلة الماسة بدين الإسلام وعقائده المحفوظة إلى عصر الشيخ محمد عبده كلها ناشئة من الأسس التي ابتدعها هذا الشيخ الملقب بالأستاذ الإمام. . فلا مناص إذن للقضاء على تيار الفتنة من مصدرها من أن تفصل الدعوى مع الإمام دون المؤتمين»[٢].

وبعد. .

فلعلي أقف هنا عن الحديث عن المآخذ على الشيخ محمد عبده.

أما من كانت الحقيقة هدفه فلا شك أنه واجد فيما ذكرت ما يجلوها له.

وأما من أعرض عن طلبها ووضع في ذهنه أصنامًا وتماثيل لأشخاص بلغوا من القداسة حدًّا لا يقبل معه كلمة في حقهم، يعلو صوته ويحتدّ صراخه إن سمع نقدًا لأحدهم في وقت لا يهيج فيه ولا يتمعّر وجهه حين يسمع السب والشتم فضلاً عن التجريح لأبي هريرة ﵁ أو وهب بن منبه أو كعب الأحبار ﵄ من محمود أبي رية وغيره من أتباع الأفغاني ومحمد عبده.

إن مثل هذا لا نأبه له في حديثنا هنا ولم نكتب هذا لإقناعه لأنه وأمثاله ليس في مستطاعنا ولا مستطاع غيرنا إقناعهم إلا أن يهديهم اللَّه إلى

---

(١) «الأعمال الكاملة» للإمام محمد عبده» جمع وتحقيق محمد عمارة (١/ ٢٥٨).

(٢) «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لمصطفى صبري (١/ ٣٤٦).

الحق وإلى سبيل الرشاد وحينذاك فيقرأوا حديثنا مرة أخرى.

ومن وجد فيما كتبنا فهمًا خاطئًا أو تأويلاً باطلاً فليرشدنا إلى الحق وله منا الدعاء الحسن فما كتبنا إلا للحقيقة وما طلبنا إلا إياها فهي ضالتنا وهي مرادنا فيما نكتب وفيما نقول والله الهادي إلى سواء السبيل»[(١)] .

☐ وذهب الشيخ محمد عبده إلى أن حكم المؤمن القاتل عمدًا هو الخلود في النار، وأنه لا توبة له مطلقًا، وهذا مخالف لاعتقاد السلف الذين فسروا وأولوا الخلود بطول المكث.

☐ وخالف فهم السلف للوحي فقال: «بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت»[(٢)] ، ويقول: «إن روح النبي منطوية على الدين في جملته من قبل أن ينزل عليه الوحي بتفاصيل مسائله»؟!!.

☐ وذهب الشيخ محمد عبده إلى إباحة الربا لضرورة الوقت فقال: «إن أهل بخارى جوّزوا الربا لضرورة الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدّد الفقهاء على أغنياء البلاد فصاروا يرون أن الدين ناقص!!!»[(٤)] .

☐ وتبعه الشيخ محمد مصطفى المراغي في مراعاته للزمان والمكان حين قال لأعضاء لجنة الأحوال الشخصية: «ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم»[(٥)] .

---

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(١٤٩ ـ ١٦٩).

(٢) «رسالة التوحيد» لمحمد عبده ص(١٠٨).

(٣) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٢/ ١٤).

(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ٩٤٤).

(٥) «المجددون في الإسلام» لعبدالمتعال الصعيدي ص(٥٤٨)، و«تراجم الأعلام المعاصرين» لأنور الجندي ص(٤٢٨).

* موقف المدرسة العقلية الحديثة من بعض القضايا الاعتقادية والقرآنية:

❑ يقول الدكتور فهد الرومي في كتابه القيم: «نخلص من دراستنا هذه أن لمذهب المدرسة العقلية الحديثة أبعاداً ثلاثة نراها قوية شامخة في التكوين الأساسي للمدرسة العقلية نذكر هذه الأبعاد الثلاثة إجمالاً ثم نستخلص بعد هذا النتيجة التي نراها والموقف الذي يجب أن نقفه نحن المسلمون على ضوء هذه النتيجة:

الأبعاد الثلاثة:

أولاً: أن هذه المدرسة أعطت العقل أكثر من حقه وكلفته ما لا يطيق ورفعت من قيمته وضخمت حجمه حتى ساوته بالوحي بل قدمته عليه وقدمت ما زعمته من أحكامه على أحكام الوحي.

وسعت في هذا السبيل لأجل «تضييق» حيز الغيبيات في مسائل العقيدة الإسلامية.

ثانيًا: قامت هذه المدرسة بتأويل حقائق العقائد الإسلامية بما يتمشى مع الأحكام العقلية من جهة ومكتشفات الحضارة الغربية والنظريات العلمية الغربية من جهة أخرى.

وفي سبيل ذلك أيضًا قامت بتأويل المعجزات والخوارق وإنكار بعضها إذا لم يمكن قلب حقيقته بما يتمشى مع هذا البعد الفكري.

ثالثًا: تبرير تناول الحضارة الغربية ومجاراتها في مدنيتها الزائفة والتحوير من الداخل لإعطاء السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية وتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين تقريبًا كان على حساب كثير من الجوانب الإسلامية التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية.

تلكم هي الخطوط العريضة والأبعاد الراسخة التي نراها في منهج

المدرسة العقلية.

ونتيجة لذلك فإنا نعتقد:

أولاً: أن المدرسة العقلية الحديثة ذات منهج منحرف، وهي بسلوكها إياه تعد فرقة منحرفة جديدة أقرب ما تكون إلى فرقة المعتزلة فهم كالمعتزلة.

أ ـ في تحكيم العقل والرجوع إلى أحكامه ورفعه إلى مرتبة الوحي، وهم لو حكموا العقل نفسه لسلمنا لهم؛ لأن أحكامه بنفسه لا تخالف حكمًا ثابتًا في الشريعة الإسلامية أو قضية من قضاياه وهم إنما يحكمون العادة فيحسبون ما خالف العادة مخالفًا للعقل.

ب ـ وهم كالمعتزلة في إنكار المعجزات أو تأويلها.

جـ ـ وهم كالمعتزلة أيضًا في كثير من الغيبيات كالملائكة والجن والسحر وغيره.

د ـ وهم كالمعتزلة في إنكار كثير من الأحاديث الصحيحة حتى ما رواه البخاري ومسلم.

هـ ـ وهم كالمعتزلة في عدم تعديل الصحابة كلهم بل تجاوز بعضهم ذلك كبعض المعتزلة إلى سب الصحابة رضي الله عنهم.

و ـ وإنهم كالمعتزلة في اعتقاد خلود أهل الكبائر في النار.

ومن هذا ندرك وضوح الصلة ووجه الشبه بينهم وبين المعتزلة.

ثانيًا: أنهم يزيدون على المعتزلة بالدعوة للتقريب بين المسلمين والكفار (النصارى واليهود) وتبرير تناول الحضارة الغربية ومجاراتها في مدنيتها الزائفة.

بل إنهم أخطر من المعتزلة ذلك أنهم يسعون بكل ما وسعهم لتغيير المفهوم الإسلامي في معاملة الكفار وإلغاء الفاصل والحاجز بين الفكر الحق

والفكر الضال أو المنحرف وإذا ما ألغي جانب العقيدة في ميزان التفاضل، فإن الكفة سترجح حتمًا بنا وسيصبح الكفار آنذاك هم الأفضل والأقوى ومن ثم تكون لهم السيطرة وتكون لهم الدولة وحينئذ تكون خسارتنا للدين والدنيا.

وهو ما يسعى إليه الاستعمار وسهر من أجله الليالي ودفع جيوشه المادية والمعنوية وبث رجاله المستشرقين والمخدوعين ـ لأجله.

ثالثًا: إن الكثير من مفاهيمهم ومبادئهم هي السائدة في الفكر الإسلامي المعاصر وما ذاك إلا أثر من آثار فرض الاستعمار بادئ ذي بدء آراءهم على الناس وترويجه لهم وتمجيد المستشرقين لهم حتى إذا ما سار ذلك بين الناس أخذوا يتبنونه بأنفسهم ويعلنونه في مؤلفاتهم ويدافعون عنه حتى أصبح أو كاد من المسلمات.

وأصبح رجال المدرسة العقلية عندهم من الرجال الذين لا يقبل فيهم نقد أو يصل إليهم قدح.

رابعًا: أنهم مهدوا السبيل لسيطرة الفكر الغربي واتخذهم الأعداء مطي يعملون من خلالها على زلزلة عقيدة المسلمين وتشكيكهم بها ومحاربة الإسلام في عقر داره ليس عن طريق نشر المؤلفات فحسب بل عن طريق الصحافة وطريق السينما والتليفزيون والإذاعة وكل وسائل الإعلام الأخرى.

ثم عمل الاستعمار على إطفاء ما بقي من نار الغيرة على الشعائر الإسلامية بل على الدين كله في قلوب الشباب فأصبحوا لا يحرك ساكنًا فيهم ما يحدث في المسلمين في الفلبين أو في الهند أو في أفغانستان أو في فلسطين أو في غيرها من مختلف البلدان، لا يحرك هذا فيهم ساكنًا عند سماعه فضلاً عن أن يهبوا زرافات ووحدانًا.

خامسًا: لم تكن نتيجة ذلك ذات أثر على الأفراد فحسب بل على كثير

من الدول التي نبذت الفقه والفقهاء الإسلاميين واستبدلت القوانين الوضعية بالفقه الإسلامي وتركت تقليد أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد أو غيرهم من الفقهاء واستمدت جل دستورها من القوانين الأوروبية الحديثة.

وبعد..

☐ فما الموقف منهم الذي يجب إعلانه هنا؟ لا أريد أن أستطرد في الحديث هنا بل ألخص الموقف بأسطر أحسب فيها الكفاية.

لا شك أن الواجب يقتضي أن نعيد النظر في رجال هذه المدرسة العقلية أنفسهم ونعيد تقييمهم وفق الميزان الإسلامي الحق ونعلن للناس كافة حقيقتهم ونجلو لهم علانية زيف منهجهم ونبين مواقع ضلاله ومواقع انحرافه.

- نعيد تقييمهم تقييمًا حقًّا لا يراعي بحال من الأحوال ما هو سائد بين الناس عنهم.

- وحين نصل إلى نتيجة ذلك نعلن بها العلماء قبل العامة لينشروه بين الناس كافة.

وحينئذ نعيد ترتيب الأمور على الميزان الحق أحسب هذا الأمر يقال في لحظة، ويكتب في لحظتين ولكن تنفيذه يريد عزمة إسلامية خالصة تطوي الزمن طيًّا فيحصل ما يحتاج إلى قرون عديدة في سنوات قليلة ويكون صلاح هذا الدين في هذا العصر كصلاحه في أوله»[١].

ولنأخذ من انحرافاتهم أمثلة:

أولاً: الأحاديث الواردة في أشراط الساعة ومنها أحاديث المهدي والدجال وطلوع الشمس من مغربها وقد بلغت حد التواتر يردونها.

يرد الشيخ رشيد رضا أيضًا حديث الجساسة وقد ورد في صحيح مسلم

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٨٠٩ - ٨١٢).

يقول: «وجملة القول في حديث الجسّاسة أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع، وأنه على تقدير صحته ليس له كله حكم المرفوع»(١) .

□ وهم يؤولون حقائق يوم القيامة عن نشر الصحف، وأخذ الكتاب باليمين أو بالشمال أو الميزان.

«أما نشر الصحف الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، فيقول عن ذلك الشيخ محمد عبده: «الصحف التي تنشر يوم القيامة بعد البعث هي صحف الأعمال والذي يجب علينا اعتقاده أن أعمال العباد تظهر لهم ثابتة مبينة لا يرتابون فيها يوم الجزاء ويعبر عن معنى ذلك الثبوت والبيان بنشر صحف الأعمال أما كون الصحف على مثال الأوراق التي نكتب عليها في الدنيا أو على مثال الألواح أو ما يشبه ذلك مما جرى استعماله للكتابة عليه. فذلك مما لا يصل علمنا إليه ولن يصل إليه بمجرد العقل ولم يرو عن المعصوم ﷺ فيه نص قاطع»(٢) .

أما أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال الوارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشقاق: ٧، ٨] الآيات فيفسر ذلك الشيخ محمد عبده بقوله: «فإيتاء الكتاب باليمين أو اليسار أو وراء الظهر تمثيل وتصوير لحالة المطلع على أعماله في ذلك اليوم فمن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر وهو التناول باليمين ومنهم من إذا تكشفت له سوابق أعماله عبس وبسر وأعرض عنهما وأدبر وتمنى لو لم تكشف له ـ وهذا هو التناول باليسار أو وراء الظهر، وبهذا اتفق المعنيان في

(١) «تفسير المنار» لرشيد رضا (٩/ ٤٥١).
(٢) «تفسير جزء عم» لمحمد عبده ص(٢٧ ـ ٢٨).

الآيتين ولم تبق حاجة إلى الجمع بين الشمال ووراء الظهر باختراع معنى لا يليق بكتاب اللَّه كما جرى عليه كثير من المفسرين»[١] .

◘ إذن فهم يحملون هذه النصوص القرآنية الصريحة عن بعض أحوال يوم القيامة على أنها تمثيل وتصوير لا حقيقة واقعة، فحمل عرش ربك تمثيل لكمال عزته وأخذ الكتب باليمين أو الشمال تمثيل وتصوير لا حقيقة فالتناول باليمين يراد به الاستبشار والابتهاج والتناول بالشمال يراد به العبوس، وكذا النفخ في الصور تمثيل وتصوير.

وهذا الحمل منهم وهذا التأويل كثير جدًّا وهم أيضًا لا يقصرونه كما علمنا على الأخبار في المستقبل بل عموا به الأخبار القرآنية في الماضي أيضًا وهي القصص القرآنية وقد سبق لنا الحديث عن ذلك. هذا ولا شك منهج ضال»[٢] .

* وفي القضاء والقدر:

أدى بهم تحكيم العقل والعقل وحده إلى رأي مختلف في تلكم العقيدة اختار بعضهم مذهب الجبرية واختار الآخرون مذهب الاختيار وهم هنا وهناك يزعمون أنهم يستندون إلى الأدلة العقلية.

ثم ومع هذا تلتبس عليهم الأمور وتختلط عليهم الحقائق فيضطربون في معرفة السبيل الحق ويعلنون حيرتهم بل ويقر أحدهم بما هو أشنع وهو تظاهره بالمعرفة أمام من يسميهم البسطاء حتى ينفي عن نفسه صفة الجهل مع إقراره بجهله حل هذه المسألة وزعمه أن كل حل لها قابل للنقد والرد؟!

بل وعجز أستاذ المدرسة عن التوفيق بين ما قام عليه الدليل من إحاطة

---

(١) «تفسير جزء عم» لمحمد عبده ص(٥٢ ـ ٥٣).

(٢) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٥٣٠ ـ ٥٣١).

علم اللَّه وإرادته وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار، وزعم أن هذا طلب لسر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه. وأنه اشتغال بما لا تكاد تصل العقول إليه. وكأن كل ما عجزت عن الوصول إليه تلك العقول فلا يصح الاعتقاد به والإيمان والتسليم، وإن وردت به الآيات الكريمة من القرآن.

أرأيتم أي ضلال يوصل إليه تحكيم العقل والإعراض عن النقل ذلكم ما نذكره هنا. ومذهب أهل السنة والجماعة هو الأسلم والأعلم والأحكم في عقيدة القضاء والقدر.

* المعجزات:

المعجزات ولا شك حجة للرسل لا ينكر حجيتها إلا مغالط خاضع للهوى أو للجهل.

والمعجزات عند المدرسة العقلية الحديثة مثار شبهات أو تأويلات في روايتها أو في صحتها أو في دلالتها.

ويرى محمد عبده أن الأديان السابقة لم تكن أدلتها تقوم على حجج عقلية بل تقوم على العداء للعقل نتائجه ومقدماته، وتقوم على الإدهاش بالمعجزات والإلهاء بالخيالات.

ومعجزات الأنبياء قبل بعثة نبينا ﷺ لا يحيل وقوعها رجال المدرسة العقلية بل هي عندهم «جائزة عقلاً» أي التي ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما فلا مانع من وقوعها بقدرة اللَّه تعالى في يد نبي من الأنبياء ويجب أن نؤمن بها على ظاهرها»[١] ، ولكنهم يخصون هذا بفترة ما قبل رسالة محمد ﷺ أما في عصره عليه الصلاة والسلام «فانتهى بذلك زمن

(١) «تفسير المنار» (١/ ٣١٤ ـ ٣١٥).

المعجزات ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان.

□ ويرى الشيخ محمد عبده أن المعجزات إنما هي لأولئك الأقوام الذين لم ترتق عقولهم إلى فهم البرهان ولا يضر الإسلام أن يروي تلك المعجزات فمجرد روايته لها لا ينفي عنه أنه دين العقل ما دام لم يرد فيه شيء منها. يقول الشيخ عبده: «فإيماننا بما أيد اللّه تعالى به الأنبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم إلى فهم البرهان لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطرة وكونه حتم علينا الإيمان بما يشهد له العيان من أن سننه تعالى في الخلق لا تبديل لها ولا تحويل»(١) .

إلى هذا ذهب رجال المدرسة العقلية الحديثة في أمر معجزات الأنبياء السابقين أثبتوا وقوعها وأنكروا حجيتها وتأثيرها عند أهل العقول الراقية؟!

*** معجزات محمد ﷺ :**

ولهم في أمر معجزاته ﷺ رأي آخر هو غير ذاك بل هو أشد منه خطرًا ذلكم أنهم أنكروا معجزاته عليه الصلاة والسلام كلها سوى معجزة القرآن الكريم وجردوا نبوته من أي معجزة أخرى وسلكوا في ذلك سبلاً. إما بإنكار صحتها وإما بتفسيرها بأمر لا تكون به معجزة وأقربهم إلى الحق على بعده عنه من أثبت بعضها، ولكن أنكر أن يكون ورودها لإقامة الحجة على نبوته ﷺ بل هي رحمة من اللّه تعالى وعناية به ﷺ وبأصحابه في الشدائد.

□ يقول الشيخ محمد عبده: «نبي صدّق الأنبياء ولكن لم يأت في الإقناع برسالته بما يلهي الأبصار أو يحير الحواس أو يدهش المشاعر، ولكن

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٣١٥).

طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له واختص العقل بالخطاب وحاكم إليه الخطأ والصواب وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة»[١] ، ويقول: «ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال كما كان في سن الطفولية النوعية بل أرشده اللَّه تعالى بالوحي»[٢] ، وقال أيضًا: «فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان باللَّه ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية»[٣] .

وتجريدهم نبوة محمد ﷺ من المعجزات أدى بهم إلى أن عدّوا الإقرار بعبقريته كسبًا عظيمًا للقائلين بنبوته، وهم يحسبون العبقرية إذا كانت من طراز خاص هي النبوة أو قريب منها، يؤيد هذا الوصف ذلكم التعريف الذي جاء به شيخهم للنبوة وهو يريد أن يأتي بكل ما هو جديد لأنه «سئم من الاستمرار على ما يألفون واندفع إلى طلب شيء مما لا يعرفون»[٤] ، فكان مما جاء به مما لا يعرفون ذلكم التعريف للنبوة الذي أورده في تعليقاته على شرح الجلال الدواني للعقائد العضدية حيث يقول: «قد يعرف النبي بإنسان فطر على الحق، علمًا وعملاً، بحيث لا يعلم إلا حقًّا، ولا يعمل إلا حقًّا، على مقتضى الحكمة، وذلك يكون بالفطرة، أي لا يحتاج فيه إلى

(١) «رسالة التوحيد» لمحمد عبده ص(١٤٣).
(٢) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١/ ٣١٥).
(٣) «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده ص(٦٨).
(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ١١).

الفكر والنظر، ولكن التعليم الإلهي، فإن فطر أيضًا على دعوة بني نوعه إلى ما جبل عليه فهو رسول أيضًا وإلا فهو نبي فقط، وليس برسول[1] ثم يصنف تعريفه هذا بالدّقة ويوصي بالتفكر فيه «فتفكر فيه فإنه دقيق».

ذلكم هو التعريف «الجديد» الذي جاء به شيخ المدرسة، وكان أولئك التلاميذ الذين عملوا بمبادئ شيخهم يعدون إثبات عبقرية محمد كسبًا عظيمًا للقائلين بنبوته، وما ذلكم إلا بعد أن جردوا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من المعجزات ورأوها بعد تجريدها لا تعدو العبقرية فقالوا بها ودعوا إليها وألزموا أنفسهم بأنفسهم.

فلا عجب إذن أن يرد الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية هذا التعريف للنبوة والرسالة من الشيخ عبده ويرفضه بقوله: «وأنا أقول ليس في تعريف الشيخ شيء من خصائص النبوة والرسالة لا وحي ولا ملك مرسل ولا كتاب منزل ولا معجزة، وعليه فمن أين يعرف كونه «لا يعلم إلا حقًّا ولا يعمل إلا حقًّا» من أين يعرفه هو نفسه؟ ومن أين يعرفه بنو نوعه إذا دعاهم؟ نعم في تعريف الشيخ «ولكن التعليم الإلهي» لكنه يمكن حمل هذا التعليم أيضًا على الفطرة، ثم يرد عليه السؤال المذكور: من أين يعرف أنه تعليم إلهي؟»[2] .

ثم يذكر الشيخ مصطفى صبري أن القصد من قيد «التعليم الإلهي» ذر شيء من الرماد في بعض الأعين أو دس في الكلام لا من نوع دس السم في الدسم بل من نوع دس الدسم في السم[2] .

ذلكم التعريف ونحوه من أقوال الشيخ محمد عبده كانت منهجًا

---

(١) «الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين» تحقيق سليمان دنيا (١/ ٣ ـ ٤).

(٢) «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لمصطفى صبري (٤/ ٤١ ـ ٤٢).

لتلاميذه من بعده في إنكار المعجزات بإنكار حجيتها ونفيها عن الدين الإسلامي وكأنها عيب أو نقص يجب تطهير الإسلام منه.

وقصروا معجـزات نبينـا محمد ﷺ على معجزة القرآن الكريم ووصفوها بأنها معجـزة عقـلية وكأنهم بهـذا القصـر يريـدون إنقاذ حياته عليه الصـلاة والسـلام من شائبة المعجزات الكونيـة المخـالفة للعـلم وسنن الكون.

ولأجل هذا الهدف تجرأوا على ما ورد من الروايات الصحيحة في السنة لبعض المعجزات فأبطلوها وتجرأوا على رواتها فقدحوا فيهم وجرحوهم ولم يفرقوا أو أكثرهم بين صحابي أو تابعي أو سواهم.

❑بقي هنا أمر يرد عليهم في إبطال ما ورد من المعجزات لنبينا ﷺ وقصر معجزاته على معجزة القرآن الكريم يرد هذا الإشكال عند تفريقهم بين المعجزات والقرآن ويورده الشيخ مصطفى صبري «ثم ليعلم الذين يتنازلون عن معجزات نبينا الكونية ويقصرون معجزته على القرآن إرضاءً لمفكري المعجزات والخوارق من المستشرقين وتفضيلاً لموافقتهم في عقلية الإنكار على تجشم معارضتهم. إن القرآن مهما حبب إليهم وأعجبوا به فلا يبلغ تقديرهم وإعجابهم مبلغ اعتباره معجزة تثبت بها نبوة محمد ﷺ وقد يطمع منهم أن يعدوه أفضل كتاب في الدنيا وضعه البشر أما أنه كلام اللّٰه أنزل على خاتم أنبيائه ليكون له معجزة النبوة فأمر خارق لسنة الكون لن يقبله منكرو المعجزات والخوارق. وما دام أناس من المسلمين وفيهم معالي مؤلف «حياة محمد» ينكرون معجزاته الكونية لا لعدم استنادها إلى الروايات الصحيحة بل لكونها أيضًا مخالفة لسنة الكون مخالفة للعلم، مخالفة لمقتضى العقل فكيف ينتظر من المستشرقين الذين لا يدينون بالإسلام أن يقبلوا القرآن على أنه من المعجزات الخارقة أعني أنه كلام اللّٰه لا كلام سيدنا محمد؟ فالواجب إذن أن

يداوى أساس الداء وتقاوم حملات المنكرين من جباهها»[1] .

* إحياء الموتى :

* قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢ ـ ٧٣].

ولقد حملت المدرسة العقلية الحديثة هذه القصة على أنها تمثيل لا حقيقة بل إن الشيخ ـ عبده ـ وتلميذه ـ رشيد حملا القصة على أنها نوع من التشريع الذي كان موجوداً في زمن بني إسرائيل لأجل الوصول إلى معرفة القاتل المجهول في هذه الحادثة وأمثالها لا على أنها وردت في حادث معين ظهرت فيه معجزة لموسى عليه السلام وهم يستندون في زعمهم هذا إلى ما ورد في التوراة قال الشيخ محمد عبده: «يقول أهل الشبهات في القرآن أن بني إسرائيل لا يعرفون هذه القصة إذ لا وجود لها في التوراة فمن أين جاء بها القرآن؟ ونقول: إن القرآن جاء بها من عند اللّه الذي يقول في بني إسرائيل المتأخرين أنهم نسوا حظًّا مما ذكروا به وإنهم لم يؤتوا إلا نصيبًا من الكتاب على أن هذا الحكم منصوص في التوراة وهو أنه إذا قتل قتيل لم يعرف قاتله فالواجب أن تذبح بقرة غير ذلول في واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينة القريبة من المقتل أيديهم على العجلة التي كسر عنقها في الوادي، ثم يقولون: إن أيدينا لم تسفك هذا الدم اغفر لشعبك إسرائيل ويتلون دعوات يبرأ بها من يدخل في هذا العمل من دم القتيل، ومن لم

(١) «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين» لمصطفى صبري (١١١/٤).

يفعل يتبين أنه القاتل، ويراد بذلك حقن الدماء فيحتمل أن يكون هذا الحكم هو من بقايا تلك القصة أو كانت هي السبب فيه وما هذه بالقصة الوحيدة التي صححها القرآن ولا هذا الحكم بالحكم الأول الذي حرفوه أو أضاعوه وأظهره اللَّه تعالى»(١) .

وشد أزره بهذا الرأي السيد محمد رشيد رضا بقوله: «وأقول: إن ما أشار إليه الأستاذ من حكم التوراة المتعلق بقتل البقرة هو في أول الفصل الحادي والعشرين من سفر تثنية الاشتراع ونصه»(٢) ، ثم ساق النص وهو قريب مما ذكره شيخه، ثم قال بعد هذا: «والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل إذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجاني من غيره، فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك في الشريعة برئ من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية»(٣) .

□ ومن هذا ترى كيف حملوا القصة على أنها حكم شرعي عندهم لا على أنها أمر طارئ أظهر اللَّه به معجزة هي إحياء الميت على يد موسى عليه السلام أمام قومه ليعتبروا بها ولتكون حجة لإثبات المعاد وليريهم اللَّه كيف يحيي الموتى.

□ وإنا لفي حيرة من ذلكم الشيخ وتلميذه اللذين امتلأت كتبهما تشدقا بالتحذير من الإسرائيليات وذمهما وتجريحهما لكعب الأحبار ووهب بن منبه لرواية الإسرائيليات إلا أن الشيخين الفاضلين هنا لا يجدان غضاضة أن يصرفا آيات القرآن الكريم عن ظاهرها ليس استناداً إلى آيات أخرى ولا إلى سنة نبوية ولا إلى حكم عقلي صحيح يوجب هذا وإنما استناداً إلى ما جاء

---

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١/ ٣٤٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٥١).

في التوراة واعتباره ثابتًا صحيحًا معتمدًا يجوز صرف القرآن عن ظاهره وتأويله على مقتضاه، وتقربًا إلى أولئك الإفرنج الذين أنكروا وجود هذه القصة في التوراة، فألزم هذان الشيخان نفسيهما بصرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى توافق فيه ما جاء في التوراة حتى يرضى عنهم أولئك الإفرنج.

وهم حين يفعلون هذا بالقصة فإنما يفعلونه ليتسنى لهم إبطال معجزة موسى عليه السلام وتأويل إحياء الموتى الوارد في الآيات على المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي قال السيد رشيد رضا: «ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس أي يحييها بمثل هذه الأحكام وهذا الإحياء على حدّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين. ثم قال: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ بما يفصل بها في الخصومات، ويزيل من أسباب الفتن والعداوات فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وأكثر ما يستعمل مثل هذا التعبير في آيات اللَّه في خلقه الدالة على صدق رسله وليس عندي شيء عن شيخنا في تفسير هذه الجملة، ولكنه قال في تعليلها ما يرجح القول الأول وهو ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تفقهون أسرار الأحكام وفائدة الخضوع للشريعة فلا تتوهمون أن ما وقع مختص بهذه الواقعة في هذا الوقت، بل يجب أن تتلقوا أمر اللَّه في كل وقت بالقبول من غير تعنت»[١].

ويرجع الدكتور رمزي نعناعة هذا السلوك من السيد رشيد إلى المبالغة في تحكيم العقل ثم يكشف ما يؤدي إليه هذا القول من إلحاد فيقول: «ونقول أخيرًا للسيد رشيد إن مبالغته في تحكيم العقل جعله يستبعد حصول مثل هذه المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام، فمن ثم أول الآية لصالح التوراة! ولا

(١) «تفسير المنار» (١/ ٣٥١).

أدري كيف خفي عليه ـ وهو المدافع عن الإسلام ـ أنه يوجد في هذا الزمن نوع من الإلحاد الخفي المآل، وهو تأويل كل آية أو حديث صحيح يدل على معجزة رسول من الرسل، حتى يكون مفادها أمرًا غير خارق للعادة وهذا النوع أخطر أنواع الإلحاد؛ لأنه سبيل إلى إنكار الأديان السماوية، وإلى هدمها من أساس؛ لأن أساس إثباتها المعجزات التي أجراها اللَّه على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام»[1] .

ذلكم تأويل الشيخ عبده والسيد رشيد لهذه المعجزة.

تقربًا إلى أولئك الإفرنج المستشرقين ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* من معجزات عيسى عليه السلام:

* قال اللَّه سبحانه وتعالى مثبتًا معجزة لعيسى عليه السلام أظهرها سبحانه على يديه: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٤٩].

* وقال سبحانه مثبتًا وقوع هذه المعجزة منه عليه السلام بعد إمكانها: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] الآية.

فثبت بنص القرآن الكريم وقوع هذه المعجزة لعيسى عليه السلام

---

(١) «الإسرائيليات» لرمزي نعناعة ص(٣٦٦).

وحصولها منه، ويرى الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد في تفسير آية آل عمران أن هذا يدل على إمكان وقوعها لعيسى عليه السلام ولا يدل على وقوعها من غير رجوع إلى آية المائدة وهما ـ أيضًا ـ لا يستندان في نفيهما الوقوع إلى نص من الكتاب أو السنة، وإنما إلى عدم تناقل النصارى لهذا (!!) خاصة في الأناجيل القانونية عندهم أما الأناجيل غير القانونية التي ورد فيها الإخبار بمجيء محمد ﷺ وكون عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير بإذن اللَّه فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن اللَّه ونحو ذلك فلا قيمة لهذه الأناجيل!! وإنما المستند إلى تلك التي لم يرد فيها شيء من ذلك.

❑ ولندع الشيخ عبده يوضح لنا ذلك حيث يقول في تفسير آية آل عمران: «وغاية ما يفهم منها أن اللَّه تعالى جعل فيه هذا السر، ولكن لم يقل أنه خلق بالفعل ولم يرد عن المعصوم أن شيئًا من ذلك وقع»[1]، ثم يقول: «فإن قصارى ما تدل عليه العبارة أنه خص بذلك وأمر بأن يحتج به والحكمة في إخبار النبي ﷺ بذلك إقامة الحجة على منكري نبوته كما تقدم وأما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل يحتج به في مثل ذلك»[1].

❑ ويوضح لنا تلميذه النقل الذي يحتج به في مثل ذلك فيقول: «هذا ما قاله الأستاذ الإمام ومن الغريب أن ابن جرير يروي عن ابن إسحاق «أن عيسى صلوات اللَّه عليه جلس يومًا مع غلمان من الكتاب فأخذ طينًا ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائرًا، قالوا: وتستطيع ذلك؟ قال: نعم بإذن ربي ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر فنفخ فيه ثم قال كن طائرًا بإذن اللَّه فخرج يطير بين كفيه»، فكأنه اتخذ آية اللَّه على رسالته ألعوبةً للصبيان

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٢١١).

والحاصل أنه ليس عندنا نقل صحيح بوقوع خلق الطير بل ولا عند النصارى الذين يتناقلون وقوع سائر الآيات المذكورة في الآية إلا ما في إنجيل الصبّا أو الطفولة من نحو ما قال ابن إسحاق وهو من الأناجيل غير القانونية عندهم، ولعل آية سورة المائدة أدنى إلى الدلالة على الوقوع من هذه الآية وهي: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ..﴾ الآية. فإنه جعل ذلك كله متعلق النعمة يؤذن بوقوعه إلا أن يقال إن جعل هذه الآيات مما يجري على يديه عند طلبه والحاجة إلى تحديه به من أجلّ النعم وأعظمها، ولكن هذا خلاف الظاهر»[1] .

□ ذلكم ما ذهبا إليه في تأويل تلك المعجزة لعيسى عليه السلام وقبلها معجزة موسى عليه السلام ولنكتف بهذا من معجزات الأنبياء قبله عليه الصلاة والسلام، ولنذكر موقفهم من معجزة لنبينا ﷺ غير القرآن الكريم التي لا يثبتون سواها.

* **انشقاق القمر:**

* قال اللَّه تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

● وروى البخاري ومسلم والترمذي عن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ بشقتين فقال رسول اللَّه ﷺ: «اشهدوا»، وفي أخرى: ونحن معه فقال: «اشهدوا اشهدوا»، وفي أخرى قال: «بينما نحن مع رسول اللَّه ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول اللَّه ﷺ: «اشهدوا» أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢).

وللبخاري قال: وقال مسروق عن عبدالله «بمكة» وأخرج الترمذي مثله[١].

● وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «إن القمر انشق في زمن رسول الله ﷺ» أخرجه البخاري ومسلم[٢].

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر»[٣].

● وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فقالت قريش: سحر محمد أعيننا فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم. أخرجه الترمذي[٤] وزاد رزين: «فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم رأوه فيكذبونهم».

بتلك الآية الكريمة وبتلك الأحاديث الشريفة وغيرها ثبتت معجزة انشقاق القمر آية لنبينا ﷺ وكان ذلك في مكة قبل الهجرة بهذا قال السلف.

---

(١) رواه البخاري في الأنبياء باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ باب انشقاق القمر، وفي كتاب التفسير سورة اقتربت الساعة باب وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا».
رواه مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق القمر، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة القمر.

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة اقتربت الساعة وفي الأنبياء باب سؤال أن يريهم النبي ﷺ آية وفي باب انشقاق القمر، ورواه مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق القمر.

(٣) رواه البخاري في نفس المواضع السابقة، وكذا مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق القمر والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة القمر.

(٤) رواه مسلم في صفات المنافقين باب انشقاق القمر والترمذي في التفسير باب ومن سورة القمر.

□ وسار السيد رشيد في هذه المعجزة على نهج المدرسة العقلية من تأويل للمعجزات وإنكار لأي معجزة لنبينا ﷺ سوى معجزة القرآن وذهب السيد رشيد في إنكار معجزة انشقاق القمر مذهب مدرسته في ذلك، من التشكيك أولاً في تواتر أحاديثها، ورد ما ورد منها في صحيح البخاري ومسلم ثم بعد هذا أورد الشبهات العقلية والعلمية على تلك المعجزة!!!»(١).

* قولهم في الملائكة:

نحن نعلم جيداً عقيدة السلف في الملائكة وما ورد في ذلك من أحاديث، ولكن تعال إلى المدرسة العقلية الحديثة التي أتت بالغرائب في الاعتقاد والتفسير والفقه وشذت كل الشذوذ عن منهج أهل السنة والجماعة بل صارت قاب قوسين أو أدنى من فكر المعتزلة بل واللَّه أضرّ.

ويثبت الشيخ محمد عبده في تفسيره قولين للعلماء في الملائكة قال عن الأول منهما: «أما الملائكة فيقول السلف فيهم: أنهم خلق أخبرنا اللَّه تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الإيمان بهم، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها إلى اللَّه تعالى، فإذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك، ولكننا نقول: إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور إذ لو كانت كذلك لرأيناها وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار، فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالمًا آخر ألطف من هذا العالم المحسوس، وأن له علاقة بنظامه وأحكامه، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به».

□ ثم قال معلقًا: «وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا معرفتهم ولكن من وقفهم اللَّه تعالى على هذا السر قليلون والدين إنما شرع للناس

(١) «منهج المدرسة العقلية» ص(٥٧٩ ـ ٥٨٠).

كافة، فكان الصواب الاكتفاء بالإيمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لأن تكليف الناس هذا البحث أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطاق، ومن خصه اللَّه تعالى بزيادة في العلم فذلك فضله يؤتيه من يشاء»[١] .

□ أما الرأي الثاني في الملائكة فإن الشيخ محمد عبده يرويه ناقلاً أول الأمر، ولكنه يؤيده ويحبذه ويدافع عنه؛ لأن فيه تقريبًا للإيمان بالملائكة من عقول الماديين، ثم يزعم أنه لا فرق بين هذا القول وقول السلف؟! فالحقيقة واحدة، وإنما الخلاف في الأسماء، والعاقل لا تحجبه الأسماء عن المسميات قال عن هذا الرأي: «وذهب بعض المفسرين مذهبًا آخرًا في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه اللَّه في البذرة فكانت هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والإنسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكًا، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة، والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرًا هو مناطها، وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل أن ينكره وإن انكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكًا وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسًا طبيعيًّا؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع ـ فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات»[٢] ، ونقل الشيخ أحمد

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٢٥٤).

(٢) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

مصطفى المراغي هذا الكلام مؤيدًا له(١) .

ثم لا يستبعد الشيخ عبده أن تكون الملائكة هي تلك النوازع التي نحس بها عندما نتردد بين فعل شيء أو تركه: «يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعًا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد وذاك يدفع، واحد يقول: افعل وآخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا، ونسميه قوة وفكرًا - وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها - لا يبعد أن يسميه اللَّه تعالى ملكًا (أو يسمي أسبابه ملائكة) أو ما شاء من الأسماء فإن التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع»(٢) .

* ثم يطبق الشيخ محمد عبده هذا المفهوم على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فيقول: «فإذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن اللَّه تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها، وجعل كل صنف من القوى مخصوصًا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذي خص به، خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدًّا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حدّ له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة اللَّه في

---

(١) «تفسير المراغي» لأحمد مصطفى المراغي (١/ ٨٦ - ٨٧).

(٢) «تفسير المنار» (١/ ٢٦٨).

الأرض؛ لأنه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس وهي القوة التي تعارض في اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته فيصل إلى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعداً للوصول إليها»[١] .

وبين السيد رشيد غرض أستاذه وشيخه من هذا التأويل بقوله: «إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء وبالإشارة إقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم، وقد اهتدى به كثيرون، وضل به آخرون فأنكروا عليه وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل»[٢] .

وردّ الشيخ عبده على أولئك المنكرين عليه تأويله بقوله: «ولست أحيط علمًا بما فعلت العادة والتقاليد في أنفس بعض من يظنون أنهم من المتشددين في الدين إذ ينفرون من هذه المعاني كما ينفر المرضى والمخدجون من جيد الأطعمة التي لا تضرهم، وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم، ويتشبثون بأوهام مألوفة لهم تشبث أولئك المرضى والمخدجين بأضر طعام يفسد الأجسام، ويزيد الأسقام، لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة، أليس الروح في الآدمي مثلاً هذا الذي يظهر لنا في إفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والإرادة والعمل، وإذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له، فإذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخفاء حقيقتها روحًا، فهل يضر ذلك بالدين أو ينقص معتقده شيئًا من اليقين؟»، ثم قال: «.. لو أن مسكينًا من عبدة الألفاظ من أشدهم ذكاء وأذربهم لسانًا أخذ بما قيل له أن

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٦٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٧٠).

الملائكة أجسام نورانية قابلة للتشكل ثم تطلع عقله إلى أن يفهم معنى نوارنية الأجسام، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصًا ممتازًا بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كزجاجة المصباح أو سلك الكهرباء؟ ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حله؟ أليس مثل هذه الحيرة يعد شكًّا؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون أبواب الغيب يطرف لما لا يستطيع النظر إليه، لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه وكلف نفسه علم ما لا تعلمه فلا يعد مثله ممن آمن بالملائكة إيمانًا صحيحًا وأطمأنت بإيمانه نفسه، وأذعن له قلبه ولم يبق لوهمه سلاح ينازع به عقله كما هو شأن صاحب الإيمان الصحيح، فليرجع هؤلاء إلى أنفسهم ليعلموا أن الذي وقر فيها تقاليد حفت بالمخاوف لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة»، ثم قال: «. . هذه القوى التي نرى آثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا وقد خفيت حقائقها عنا، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها إلا إلى آثار تجل إذا كشفت وتقل بل تضمحل إذا حجبت وهي التي يدور عليها كمال الوجود، وبها ينشأ الناشئ، وبها ينتهي إلى غايته الكامل كما لا يخفى على نبيه ولا خامل، أليست أشعة من ضياء الحق؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب وإن كانت آثارها من عالم الشهادة؟ ألا يجوز أن يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها لا تدرك كنهه لاحتجابه بما نتصوره من حياتنا واختيارنا؟ ألا تراها توافي بأسرارها من ينظر في آثارها ويوفيها حق النظر في نظامها؟ يستكثر من الخير بما يقف عليه من شئونها، ومعرفة الطريق إلى استدرار منافعها؟»[1] .

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢).

ثم يبسط الشيخ عبده معتقده في الملائكة فيقول: «.. أفلا تزعم أن للَّه ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها، ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك؟ ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى أجسامهم النوارنية تضيء لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك، وما بين يديك وما خلفك، وأن اللَّه ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك، وأدعى إلى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئًا من وراء حجاب ووقعت على سر من أسرار الكتاب؟ فإن لم تجد في نفسك استعدادًا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في إدراك الحقيقة ويقول: (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته، وهم في إيمانهم أعلى منك كعبًا، وأرضى منك بربهم نفسًا، ألا إن مؤمنًا لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذي يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل ربه في سعة»[٢] .

◻ إن ما ذكرته المدرسة العقلية يخالف القرآن ويشكك في معتقد أولئك الأبرار الذين استمدوا عقيدتهم من القرآن الكريم فاعتقدوا أن الملائكة قابلة للتشكل والظهور بمظهر البشر كما أسلفنا حيث يقول: «وهل النور وحده له قوام يكون به شخصًا ممتازًا بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٢٧٣).

(٢) «تفسير المنار» (١/ ٢٧١).

كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء؟ ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد أن يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة، ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حله؟ أليس مثل هذه الحيرة يعد شكًّا؟»(١) .

* ويشكك في موضع آخر من غير تصريح بذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، ونحو ذلك من الآيات فيقول: «أفلا تزعم أن للَّه ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك؟ ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك، وما بين يديك وما خلفك وأن اللَّه ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها. أفلا يكون لك أروح لنفسك، وأدعى إلى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئًا من وراء حجاب ووقفت على سرّ من أسرار الكتاب»(٢) .

ماذا يريد الشيخ عبده بهذا التأويل وهذا المفهوم؟ هل يريد أن يؤكد لنا مرة أخرى تكذيبه للقرآن الكريم كما كذب قصصه بحملها على التمثيل لا على الحقيقة والوقع؟! ماذا يريد بزعمه هذا؟ هل يريد أن يقول إن القرآن لم يخبرنا عن الحقيقة في أمر الملائكة بل أخبرنا بألفاظ كانت مألوفة ومعروفة

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٢٧١).
(٢) «تفسير المنار» (١/ ٢٧٣).

حتى لا تصيبنا «الوحشة والدهشة» إذا ما أخبرنا بحقيقتهم، وأن القرآن ترك لنا النظر في الوصول إلى «ما تطمئن إليه نفوسنا» حتى ولو وصلت إلى ما يخالف القرآن؟!

ذلكم ما يدل عليه كلامه شاء ذلك أم أبى وأحسبه لا يأبى ذلك لأنه بادر إلى تطبيق معتقده وحمل أمر سجود الملائكة لآدم عليهم السلام على التمثيل كما نقلنا عنه ذلك.

وما أصدق محمد الصادق عرجون في وصف مذهب الشيخ عبده وتلاميذه بقوله: «إن هذا الطريق في تفسير آيات القرآن الحكيم بتسليط التأويل على كل ما يتعاصى فهمه على بعض العقول وإحالة أو استبعاد ظاهر المعنى إلى ضرب من التمثيل، هو الذي يخشى أن ينفذ منه (المتقرمطون) إلى تحريف كلم اللَّه عن مواضعها ابتغاء فتنة الجماهير من عامة المؤمنين.. إن هذا القرآن العظيم أنزله اللَّه تعالى بلسان عربي مبين هدى للناس ورحمة، ولم ينزله بالإشارات والرموز والإيحاءات..»[1].

ثم ما الفرق بين من ينكر وجود الملائكة وبين من يزعم أنها قوى طبيعية ما دام منكر الملائكة يقر ويعترف بوجود قوة نمو في النبات وخلق في الحيوان وحفظ في الإنسان ولكنها قوى طبيعية لا ينطبق عليها ما ورد في القرآن الكريم من أوصاف للملائكة؟!

إن الأمر لا يعدو إلا محاولة يائسة من أولئك المنهزمين أمام الماديين لتقريب عقيدة الإيمان بالملائكة إلى أذهانهم ولكنها محاولة أخرجتهم من عقيدة السلف العقيدة الصحيحة في الإيمان بالملائكة إلى عقيدة باطلة وغير

---

(١) «نحو منهج لتفسير القرآن» لمحمد الصادق عرجون ص(٣٩ ـ ٤٠)، وانظر «منهج المدرسة العقلية في التفسير» (٦٢١ ـ -٦٣).

مقنعة أيضًا لأولئك الماديين، فضاع المنهزمون بين العقيدتين كالعنز الجرباء في الشمأل البليل. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

* قولهم في الجن:

مجمل اعتقاد السلف في الجن لا يصفونهم بأكثر مما وصفهم به القرآن الكريم والسنة المطهرة لأنهم من أمور الغيب الذي لا يمكن إدراكه إلا بالوحي يذهب الشيخ محمد رشيد رضا أن الميكروبات والجراثيم نوع من الجن:

يقول: «وقد قلنا في المنار غير مرة أنه يصح أن يقال إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعًا من الجن وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض، قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن، على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الأطباء أو إضافة شيء إليه مما لا دليل عليه لأجل تصحيح بعض الروايات الآحادية فنحمد الله تعالى أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم»[(١)] .

وفتح الباب للتأويل وصرف القرآن عن ظاهره باب لو فُتح لولج منه القرامطة والمتقرمطون بل أعداء الدين بشتى أنواعهم مبطلين لعقائده.

□ ونوع آخر نرفضه من تأويلاتهم الباطلة في أمر الجن ونعني به ما زعموه في أمر رؤيتهم وحمله ما ورد من رؤيتهم على التخييل والوهم كما قال الشيخ رضا في «تفسير المنار» (٧/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

وعلى كل حال فالذي نفهمه من الآية: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ أنها لا تنفي إمكان رؤيتهم ولكنها تثبت رؤيتهم لنا من حيث لا

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٩٦).

نراهم وقدرتهم على التشكل بهذه الحالة غير المرئية لنا ونضرب لذلك مثلاً بمن يجلس في ظلام دامس وينظر إلى من يجلس في النور أو من يجلس في سيارة ذات زجاج ملون فإن الجالس في الحالتين يرى من في الخارج من حيث لا يرونه ولا يفهم من هذا عدم إمكان رؤيته في حالات أخرى.

● أما نفي ابن عباس ﷺ لرؤيته ﷺ لهم حين استمعوا القرآن منه - إن صح - عن ابن عباس فإنه محمول على عدم رؤيته ﷺ لهم في تلك المرة ولا يمنع رؤيته لهم بعد ذلك، كما رآهم ابن مسعود ﷺ بعد ذلك وهو يخبر عن مشاهدة.

أما قول الشافعي - رحمه اللّه تعالى - فيحمل على من يدعي رؤيتهم بصورتهم التي خلقهم اللّه عليها دون الصور التي يتمثلون بها أو على من يدعي إمكان رؤيتهم في كل حال وهو تكذيب للقرآن.

ويبقى بعد هذا كله في ترجيح إمكان رؤيتهم حديث أبي أيوب وحديث أبي هريرة ﷺ الذي رواه البخاري في صحيحه وإن زعم السيد رشيد عدم صحتهما.

والحق أنه كان من الأولى عدم الخوض فيما لم يكن مصدره الوحي الصادق - عن أحوالهم - وتفويض علم ذلك إلى اللّه سبحانه وتعالى فهو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم[1].

* شذوذ الشيخ محمد عبده وشطحه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾:

لقد شذ في تفسير الآيتين الشيخ محمد عبده وتبعه محمد فريد وجدي

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» (٦٤٦، ٦٤٧).

وأحمد مصطفى المراغي قال الشيخ محمد عبده:

«الطير هو ما يطير في الهواء سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء كان مرئيًا لك أم غير مرئي»، وبعد هذا التمهيد زعم أن مما تواتر في الواقعة فشو داء الجدري والحصبة في جند الجيش[1] ثم استدل لذلك فقال: «.. قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث: إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام. وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط. فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين وأصيب الجيش ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأنملة أنملة حتى انصدع صدره ومات في صنعاء. وهذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به»[1] .

ولا ندري ما مفهوم التواتر عند الشيخ محمد عبده ينكر تواتر ما عرف عند السلف تواتره ويصف بالتواتر ما لم يعرف بذلك.

يزعم هنا أن وقوع الجدري والحصبة في جيش أبرهة قد تواتر وأنه مما اتفقت الروايات عليه ويستند في ذلك إلى قول عكرمة «وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب»، وقول يعقوب بن عتبة «أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام»، هذا كل ما استند إليه للحكم بالتواتر.

أما قول يعقوب فليس فيه ما يدل على وقوع الحصبة أو الجدري في جيش أبرهة وكل ما فيه أن ظهور الجدري لأول مرة كان في هذا العام فلا يصح الاحتجاج به لذلك.

وأما قول عكرمة فنقول: إنه روي عن عكرمة ما هو أصرح من ذلك في الدلالة على وقوع مرض الجدري في جيش أبرهة فقد روي عن عكرمة

---

(١) «تفسير جزء عم» لمحمد عبده ص(١٥٥ ـ ١٥٦).

عن ابن عباس ﵄ قال: «لما أرسل اللَّه الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفط جلده وثار به الجدري»[١] .

وهذا كله مجرد رواية فأين هي من دعوى التواتر.

أما زعم الشيخ أن ما قاله هو ما اتفقت عليه الروايات فهو غريب في باب العلم وعجيب في تفسير القرآن وليس بغريب ولا بعجيب من الشيخ محمد عبده وتلاميذه.

◻ وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسير السورة: «أي أنه تعالى أرسل عليهم فرقًا من الطير تحمل حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش فابتلوا بمرض الجدري أو الحصبة حتى هلكوا»، ثم قال: «ولا شك أن الذباب يحمل كثيراً من جراثيم الأمراض فوقوع ذبابة واحدة ملوثة بالمكروب على الإنسان كافية في إصابته بالمرض الذي يحمله، ثم هو ينقل هذا المرض إلى الجم الغفير من الناس، فإذا أراد اللَّه أن يهلك جيشًا كثير العدد ببعوضة واحدة لم يكن ذلك بعيداً عن مجرى الإلف والعادة، وهذا أقوى في الدلالة على قدرة اللَّه وعظيم سلطانه من أن يكون هلاكهم بكبار الطيور وغرائب الأمور، وأدل على ضعف الإنسان وذله أمام القهر الإلهي وكيف لا وهو مخلوق تبيده ذبابة وتقض مضجعه بعوضة، ويؤذيه هبوب الريح»[٢] .

ومن هذا ندرك أن الشيخ أول الطير والحجارة في السورة بـ «الذباب يحمل كثيراً من جراثيم الأمراض، فالمراد بالطير والمراد بالحجارة تلك الجراثيم التي يحملها الذباب».

◻ قال الشيخ محمد عبده: «فيجوز ذلك أن تعتقد أن هذا الطير من

---

(١) «المصحف المفسر» لمحمد فريد وجدي ص(٨٢٢).
(٢) «تفسير المراغي» (٣٠/ ٢٤٣).

جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه. وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود اللَّه في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها - ولا يتوقف ظهور أثر قدرة اللَّه تعالى في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رءوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به، ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها»[1] .

ولا يُقبل أبدًا في تأويل الآيات بأن المراد بها البعوض والذباب والميكروبات قال الشيخ الذهبي: «لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب وخاطبهم بما يألفون»[2] .

بل إن الآية صرحت بإرسال الطير «وأرسل عليهم طيراً أبابيل» وبين المخاطبين كثير ممن عاصر الحادث بل ممن شاهده وفيهم كثير من أعداء الرسول ﷺ فالسورة مكية ولو أنهم لم يروا هذا الطير الأبابيل رأي العين لبادروا إلى تكذيب القرآن وإنكارهم لرمي الطير لجيش أبرهة ولا يقبل أن يقال: إنهم رأو المكروب أو الجراثيم؛ لأنهم لا يستطيعون رؤيتها، ولا يقال: إنهم رأوا الذباب أو البعوض؛ لأنهم لا يرون الحجارة التي تحملها فكان لا بد أن

---

(١) «تفسير جزء عم» لمحمد عبده ص(١٥٦).

(٢) «التفسير والمفسرون» للذهبي (٣/ ٢٣٥).

يكونوا رأوا طيراً ورأوا الحجارة التي تحملها ورأوا الرمي ولا يهم بعد ذلك أن يكون هلاك الجيش بمجرد وقوع الحجر أو أن تكون هذه الحجارة قد أصابته بمرض من الأمراض فالقرآن لم يصرح بذلك بل ذكر هلاكهم بهذا العقاب الشديد.

أما ما زعموه من أن تأويل الطير بالجراثيم والذباب والبعوض وتأويل الحجارة بما يعلق في أرجل هذه المخلوقات من مكروبات أو مواد سامة هو أقوى في الدلالة على قدرة اللَّه وعظيم سلطانه فرد عليه سيد قطب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حيث قال: «لا نرى أن هذه الصورة أو تلك أدل على قدرة اللَّه ولا أولى بتفسير الحادث فهذه كتلك في نظرنا من حيث إمكان الوقوع، ومن حيث الدلالة على قدرة اللَّه وتدبيره ويستوي عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس المعهودة المكشوفة لعلمهم، وهي التي جرت فأهلكت قومًا أراد اللَّه إهلاكهم أو أن تكون سنة اللَّه قد جرت بغير المألوف للبشر، وغير المعهود المكشوف لعلمهم، فحققت قدرة ذلك»، ثم قال: فأما في هذا الحادث بالذات فنحن أميل إلى اعتبار أن الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة وأن اللَّه أرسل طيراً أبابيل غير معهودة. . نحن أميل إلى هذا الاعتبار لا لأنه أعظم دلالة ولا أكبر حقيقة ولكن لأن جو السورة وملابسات الحادث تجعل هذا الاعتبار هو الأقرب»[1] ، ثم قال: «ثم إن إصابة الجيش على هذا النحو ـ يعني بالحصبة والجدري ـ وعدم إصابة العرب القريبين بمثله في حينه تبدو خارقة إذا كانت الطير تقصد الجيش وحده بما تحمل، وما دامت المسألة خارقة فعلام العناء في حصرها في صورة معينة لمجرد أن هذه الصورة مألوفة لمدارك البشر وجريان الأمر على غير المألوف أنسب لجو الحادث.

إننا نـدرك ونقدر دوافع المدرسـة العقليـة التي كان الأسـتاذ الإمام ـ

---

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (١٠/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

رحمه اللَّه ـ على رأسها في تلك الحقبة.. ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ، ومحاولة ردها إلى المألوف المكشوف من السنن الكونية.. فلقد كانت هذه المدرسة تواجه النزعة الخرافية الشائعة التي تسيطر على العقلية العامة في تلك الفترة، كما تواجه سيل الأساطير والإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير والرواية في الوقت الذي وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها وموجة الشك في مقولات الدين إلى قمتها. فقامت هذه المدرسة تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل»، ثم قال: «ولكن مواجهة ضغط الخرافة من جهة وضغط الفتنة بالعلم من جهة أخرى تركت آثارها في تلك المدرسة. من المبالغة في الاحتياط، والميل إلى جعل مألوف السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسنة اللَّه فشاع في تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده ـ كما شاع في تفسير تلميذيه الأستاذ الشيخ رشيد رضا والأستاذ الشيخ عبدالقادر المغربي ـ رحمهم اللَّه جميعًا ـ شاع في هذا التفسير الرغبة الواضحة في رد كثير من الخوارق إلى مألوف سنة اللَّه دون الخارق منها، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه «المعقول» وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات.

ومع إدراكنا وتقديرنا للعوامل البيئية الدافعة لمثل هذا الاتجاه. فإننا نلاحظ عنصر المبالغة فيه، وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل. وهو طلاقة مشيئة اللَّه وقدرته من وراء السنن التي اختارها ـ سواء المألوف منها للبشر أو غير المألوف ـ هذه الطلاقة التي لا تجعل العقل البشري هو الحاكم الأخير ولا تجعل معقول هذا العقل هو مرد كل أمر بحيث يتحتم تأويل ما لا يوافقه ـ كما يتكرر هذا القول في تفسير أعلام المدرسة[1] فتبين

(١)«في ظلال القرآن» لسيد قطب (٣٠/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

بهذا كله خطأ رجال المدرسة العقلية الحديثة في تفسير هذه الآية وتجاوزهم للحدود التي شرعها اللَّه سبحانه وتعالى لتحكيم العقل وتعديهم على القرآن الكريم بتفسيرهم لآياته تفسيراً لا يعتمد على قواعد التفسير وأصوله فعلوا كل هذا لمواجهة المفتونين بالعلم الحديث وما توصل إليه من مقررات ولكن هذا لا يعني من قريب أو بعيد أن نصرف ظاهر آيات القرآن الكريم عن حقيقتها مع عدم مصادمتها لشيء من مقررات العلم الثابتة وفعلوا ذلك تقريبًا لوقوع الحادثة إلى عقول من ينكرون الخوارق ولا يؤمنون بها لعلهم يصدقون إذا كانت جارية على ما هو مألوف ومقرر في العلم الحديث.

ونسوا أن فيما أقروا به خارقة لا تقل عن خارقة ذلك الطير الذي يحمل الحجارة ويلقي به على الجيش فيهلكه ذلكم أن وقوع المرض الفتاك بجيش أبرهة مع عدم تعديه وتجاوزه إلى من حوله يعد خارقة كبيرة. فهم فروا من أمر إلى مثيله[1] .

*** قول المدرسة العقلية في القصة القرآنية:**

سبق أن عرضنا قول محمد أحمد خلف اللَّه في كتابه «الفن القصصي في القرآن الكريم» وجرأته على اللَّه وكتابه فهو يصف القرآن بأنه «أساطير» كما وصفه به المشركون ويستدل على هذا بأن القرآن عرض مرة واحدة للرد على المشركين: «في قيلهم بأنه أساطير وهي المرة التي ترد في سورة الفرقان وهذه هي الآيات: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥ ـ ٦]، فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير في القرآن؟ أو هو إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ويثبت أنها

---

(١) «منهج المدرسة العقلية في التفسير».

من عند اللَّه قل أنزله الذي يعلم السر.. إلخ»[1] ، ثم يقول بعد هذا: «وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه وإنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام، وليس من عند اللَّه إذا كان هذا ثابتًا فإنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير لأنا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصًا من نصوص القرآن»[2] .

ويعد هذا يبرز مخالفة القصص في القرآن للحقائق الواقعة حسب إلحاده بها بأن هذا من البلاغة في القرآن ثم يستدل بهذا على أمر خطير «وإن الصنيع البلاغي للقرآن الذي يقوم على تخليص العناصر القصصية من أحداث وأشخاص وأخبار من معانيها التاريخية وجعلها صالحة كل الصلاحية لاستثارة العواطف والانفعالات حتى تكون العظة والعبرة وتكون البشارة والإنذار وتكون الهداية والإرشاد ويكون الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتمكين لها حتى في نفوس المعارضة إن هذا كله لهو الدليل القوي على أن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية»[3] .

وهو يريد أن يصل بهذا إلى نتيجة أخطر «ومن هنا يصبح من حقنا أو من حق القرآن علينا أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل ولن تكون مخالفة لما أراده اللَّه أو لما قصد إليه القرآن؛ لأن اللَّه لم يرد تعليمنا التاريخ ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض»[4] .

---

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف اللَّه ص(١٧٨).

(٢) المرجع السابق ص(١٧٩ ـ ١٨٠).

(٣) المرجع السابق ص(٢٥٤).

(٤) المرجع السابق ص(٢٥٤).

ثم يقرر ما يعتقده بعد ذلك «أعتقد أنك قد فطنت إلى ما نريد تقريره من نظرية تحمل مشكلات المفسرين وترد اعتراضات المستشرقين والمبشرين، وأعتقد أنك قد فطنت إلى أن هذه النظرية ليست إلا القول بأن ما بالقصص القرآني من مسائل تاريخية ليست إلا الصور الذهنية لما يعرفه المعاصرون للنبي عليه السلام عن التاريخ ـ وما يعرفه هؤلاء لا يلزم أن يكون هو الحق والواقع كما لا يلزم القرآن أن يصحح هذه المسائل أو يردها إلى الحق والواقع لأن القرآن الكريم كان يجيء في بيانه المعجز على ما يعتقد العرب وتعتقد البيئة ويعتقد المخاطبون»[1] .

☐ وخلاصة القول أن الطالب ينفي الصدق عن القرآن الكريم ومطابقة قصصه للحقائق التاريخية حسب زعمه، ويذكرني هذا الإلحاد والتكذيب للقرآن الكريم بتكذيب الدكتور طه حسين للقرآن الكريم حين قال في كتابه: «في الشعر الجاهلي»: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي»[2] .

☐ وما كان لنا أن ندرس هذه القضية لولا صلة ذكرت بينها وبين أستاذ المدرسة العقلية وإمامها وبعض تلاميذه.

تبدأ الحكاية حينما ينسب الطالب خلف اللَّه أسباب ذلك إلى أستاذه أمين الخولي «أما الأسباب التي جعلتني أعني بالدراسة الأدبية وأجعل من القرآن ميدان أبحاثي فترجع قبل كل شيء إلى نوع من الاستهواء عمل على إذاعته في نفسي درس أستاذنا الخولي عن المنهج الأدبي في فهم القرآن

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف اللَّه ص(٢٥٥).

(٢) «ذيل الملل والنحل» لمحمد سيد كيلاني ص(٨٤) عن «في الشعر الجاهلي» لطه حسين ص(٢٦).

وتفسيره فقد كانت تلك اللفتات تستقر في نفسي استقراراً يجعلني أتخيل أني أستطيع تمثل هذا المنهج والسير عليه في تفسير كتاب الله»[١] .

ولا تنس ما نقلناه عن الأستاذ محمد سيد كيلاني من وصف لأمر أمين الخولي وكونه مستوراً لا يدري أحد في خارج الكلية ما يلقنه لتلاميذه من أنواع الكفر والضلال.

ولكن أمين الخولي نفسه لا يحوجنا إلى شيء من هذا فهو يقر بنفسه بأن كل ما جاء في الرسالة حق حيث يقول: «فلو لم يبق في مصر والشرق أحد يقول: إنه حق لقلت وحدي وأنا أقذف في النار أنه حق حق»[٢] .

إذن فالأستاذ المشرف على الرسالة يشارك تلميذه في كل ما جاء فيها من إلحاد وتكذيب للقرآن الكريم.

فقامت الاحتجاجات ورفعت البرقيات للمسئولين، ورفضت الرسالة وطالب أولئك بتطبيق أحكام الردة على خلف الله ودافع عنه أستاذه أمين الخولي ودفع إلى الميدان بورقته الرابحة عند ضعاف النفوس حيث وصف جامعة فؤاد التي رفضت الرسالة إنها «ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الأزهر منذ اثنين وأربعين عامًا!»[٣] .

وعلّق توفيق الحكيم على هذا بقوله: «إنني أحب أن ألفت النظر إلى نقطة الخطورة فيها تلك هي قوله أن الأستاذ الإمام محمد عبده انتهى إلى مثل هذه الآراء منذ اثنين وأربعين عامًا إذا كان هذا القول صحيحًا كما يؤكد الأستاذ الخولي فلنا أن نطلب تعليلاً لما صرنا إليه وعلى المسئولين من رجال الدين أن يوضحوا الموقف فإنه لا يرضيهم أن نرجع اليوم - في عهدهم -

---

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله ص(١).

(٢) المرجع السابق: مقدمة أمين الخولي ص: ح.

(٣) المرجع السابق ص: ح.

القهقرى. . بعد نهضة إسلامية بعثها الأستاذ الإمام»[١] .

وهم حين يلقون هذا القول يعتقدون أنهم يلقونه على رجل لا تصعد إليه المسئولية بل تتلاشى قبل أن تصل إلى مقامه البعيد[٢] .

□ يقول الشيخ مصطفى صبري ـ رحمه اللّه تعالى ـ عن الرسالة تلك: «وإني أرى الرسالة المستنكرة وما سبقها في مصر من الأحداث والفتن المماثلة الماسة بدين الإسلام وعقائده المحفوظة إلى عصر الشيخ محمد عبده. . كلها ناشئة من الأسس التي ابتدعها هذا الشيخ الملقب بالأستاذ الإمام. . فلا مناص إذن للقضاء على تيار الفتنة من مصدرها أن تفصل الدعوى مع الإمام دون المؤتمين»[٣] .

وإني أدعو كل رجل مؤمن باللّه تعالى أن يجعل اللّه سبحانه نصب عينيه وأن لا يجعل للعاطفة سبيلاً عند مناقشة قضية كهذه القضية تمس كيان القرآن الكريم، وأن لا يجعل لها سبيلاً لطمس الحقائق حينما تمس من ننزله في نفوسنا منزلة سامية فلعلنا نكون قد خدعنا به والحقيقة ضالة كل مسلم.

ومنهج الناس من القصص القرآني إما منهج القابلين للروايات التي صحت عن القرون الخيرية من سلف الأمة وعليه المعتمد.

أو منهج المؤولين للقصص، أو منهج القائلين بالتخييل.

١ ـ منهج المؤولين للقصص:

«وهو صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعو

---

(١) المرجع السابق ص: ط.

(٢) «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لمصطفى صبري (١/ ٣٤٥).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٤٦).

إلى هذا التأويل» وصاحبه قد يحكّم فيه مجرّد الاستبعاد لما يؤديه الكلام من المعنى الظاهر، وكثيراً ما يقصده بعض الباحثين دفعًا لما يثيره خصوم القرآن على القرآن، ويدخل في هذا القسم تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى بالإحياء الروحي، وحمل النمل في قصة سليمان على أنه قبيلة ضعيفة. . ثم يقول: «وهذا المنهج هو من طريقة التأويل التي أسسها الباطنية في القرآن الكريم صرفوه بها عن دلالته العربية وفيه احتفاظ بمدلول للكلام وواقع يدل عليه ولكنه صرف اللفظ عن معناه الوضعي إلى هذا المعنى الواقعي الذي يزعمه المؤول مدلولاً للكلام، والرأي في هذه الطريقة أنه يجب أن يطبق عليها قانون التأويل الي يتلخص في أنه إذا كان التأويل لا يقضي على أصل ديني ولا يمس عقيدة ثابتة وهو في الوقت نفسه يحتفظ للعبارة القرآنية بواقع تعبر عنه تعبيراً صادقًا وكانت اللغة تسمح به فإنه يكون مقبولاً من الوجهتين الدينية واللغوية، وإذا لم تسمح به اللغة فهو مرفوض من هذه الجهة صادر عن جهل من صاحبه بقانون التأويل ومرفوض أيضًا من جهة ما يلزمه من الحكم بصدور التليس من اللَّه تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً أما إذا كان يقضي على أصل ديني أو يمسّ عقيدة فإنه يكون مرفوضًا من الوجهة الدينية»[1] .

❑ بقي أن نقول أن الشيخ شلتوت جعل تأويل الشيخ محمد عبده ورشيد رضا لقصة بقرة بني إسرائيل من هذا النوع. حيث قال: «وكل هذا لا يتفق وما يريده الشيخان من حمل الآية على المعنى التشريعي فهذا الحمل تأويل منهما لكنه تأويل لا تساعد عليه اللغة، وما هو المعهود من كلام العرب»[2] .

---

(١) تفسير القرآن الكريم» لمحمود شلتوت ص(٤٥ ـ ٤٦).

(٢) «تفسير القرآن» لمحمد شلتوت ص(٥٠).

* المنهج الثاني - منهج القائلين بالتخييل -:

وهو يتفق مع المنهج الأول في ناحية ويخالفه في ناحية إذ هو صرف للألفاظ عن معانيها الحقيقية كما في المنهج الأول، ولكن لا إلى واقع يزعم ويدعى أنه مراد وإنما إلى تخييل ما ليس بواقع واقعًا فلا يلزم فيه الصدق ولا أن يكون إخباراً بما حصل وإنما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من حكايات بين أشخاص مفروضين أو على ألسنة الطيور والحيوان للإيحاء فقط بمغزى الحكايات من الإرشاد إلى فضيلة والحث عليها أو التحذير من رذيلة والتنفير منها.. ولا شك أن القرآن إذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط والادعاء فقد اقتحمت قدسيته وزالت عن النفوس روعة الحق فيه، وتزلزت قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار»[1] .

ولقد وردت عبارة نشدّ عليها وردت في ذم الشيخ شلتوت لهذا المنهج الباطل توقع الشيخ محمد عبده، وغيرهم في سلك هذا المنهج المذموم حيث يقول: «هذه الآراء فضلاً عما لها من تلك النتائج السيئة هي فاسدة في ذاتها؛ لأن القرآن عربي نزل بلغة العرب وقانون اللغة المتواتر يقضي بحمل الكلام على ظاهره وما تدل عليه ألفاظه من المعاني المعروفة لها عند المخاطبين ما لم يمنع من ذلك الحمل مانع»[2] نشد على هذه العبارة؛ لأنه وصف آنفًا منهج الشيخ وتلميذه بهذا الوصف.

فهل يريد الشيخ شلتوت بهذا أن يشرك محمد عبده ورشيد رضا مع أولئك؟ هذا ما يفهم من عباراته ونصوصه المنقولة، وعلى كل حال سواء أكان يشركه أم لا يشركه فهي شهادة من تلميذ ببطلان منهج أستاذه يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

---

(١) «تفسير القرآن الكريم» لمحمود شلتوت ص(٤٦ - ٤٧).

(٢) «تفسير القرآن» لمحمود شتلتوت ص(٢٧٣ - ٢٧٤).

وكلمة حق يجب أن نسوقها قبل سياق نصوص محمد عبده وتلميذه رشيد ذلك أنه لم يصدر عنهما أي تصريح بأن قصص القرآن منافية للحقيقة أو وصفها بالكذب ومغايرة الواقع أقول: إنه لم يصدر نص صريح بهذا أما أن كلامهما يحتمل ذلك ويحتمل غيره فهذا أمر لا ننفيه ولندع نصوصهم تتحدث.

□ قال الشيخ محمد عبده في تفسيره قصة آدم في الجنة التي تحدثت عنها الآيات في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

يقول الشيخ محمد عبده: «وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه: أن القرآن كثيراً ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] فليس المراد أن اللَّه تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا ونحوه قوله عز وجل بعد ذلك الاستواء إلى خلق السماء ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] والمعنى في التمثيل ظاهر».

ثم قال: «وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا: أن إخبار اللَّه الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها فيكون به كمال الوجود في هذه الأرض ـ وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض؛ لأنه يعمل باختياره ويعطي استعداداً في العلم والعمل لا حدّ لهما هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك وتمهيد لبيان أنه لا ينافي خلافته في الأرض ـ وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الإنسان

لعلم كلّ شيء في هذه الأرض وانتفاعه به في استعمارها ـ وعرض الأسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصلهم في الجواب تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبرة للعوالم محدوداً لا يتعدى وظيفته ـ وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن اللَّه تعالى في ذلك وإباء إبليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع والتخاصم والتعدي والإفساد في الأرض ـ ولو لا ذلك لجاء على الإنسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكة بل أعظم أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري.

هذا ملخص ما تقدم في سياق آيات القصة، وأما التمثيل فيما نحن فيه منها فيصح عليه أن يراد بالجنة الراحة والنعيم؛ فإن من شأن الإنسان أن يجد في الجنة التي هي الحديقة ذات الشجر الملتف ما يلذ له من مرأى ومأكول ومشروب ومشموم ومسموم[1] في ظل ظليل وهواء عليل وماء سلسبيل كما قال تعالى في القصة من سورة طه ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ**﴾، ويصح أن يعبر عن السعادة بالكون في الجنة وهو مستعمل، ويصح أن يراد بآدم نوع الإنسان كما يطلق اسم أبي القبيلة الأكبر على القبيلة فيقال: كلب فعلت كذا ويراد قبيلة كلب، وكان من قريش كذا يعني القبيلة التي أبوها قريش، وفي كلام العرب كثير من هذا.

ويصح أن يراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة كما عبر اللَّه تعالى في مقام التمثيل عن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وفسرت كلمة التوحيد وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة وفسرت بكلمة الكفر وفي الحديث تشبيه المؤمن

---

(١) هكذا وردت ولعلها (مسموع).

بشجرة النخل ـ ويصح أن يكون المراد بالأمر بسكنى الجنة وبالهبوط منها أمر التكوين فقد تقدم أن الأمر الإلهي قسمان: أمر تكوين، وأمر تكليف، والمعنى على هذا أن اللَّه تعالى كون النوع البشري على ما نشاهد في الأطوار التدريجية التي قال فيها سبحانه: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ فأولها طور الطفولية وهي لا هم فيها ولا كدر وإنما هي لعب ولهو كأن الطفل دائمًا في جنة ملتفة الأشجار يانعة الثمار جارية الأنهار متناغية الأطيار وهذا معنى ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وذكر الزوجة مع أن المراد بآدم النوع الآدمي للتنبيه على الشمول وعلى أن استعداد المرأة كاستعداد الرجل في جميع الشئون البشرية فأمر آدم وحواء بالسكنى أمر تكوين أي أنه تعالى خلق البشر ذكورًا وإناثًا هكذا ـ وأمرهما بالأكل حيث شاءا عبارة عن إباحة الطيبات وإلهام معرفة الخير والنهي عن الشجرة عبارة عن إلهام معرفة الشر، وأن الفطرة تهدي إلى قبحه ووجوب اجتنابه وهذان الإلهامان اللذان يكونان للإنسان في الطور الثاني وهو طور التمييز هما المراد بقوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ووسوسة الشيطان وإزلاله لهما عبارة عن وظيفة تلك الروح الخبيثة التي تلابس النفوس البشرية فتقوي فيها داعية الشر، أي أن إلهام التقوى والخير أقوى في فطرة الإنسان أو هو الأصل ولذلك لا يفعل الشر إلا بملابسة الشيطان له ووسوسته إليه ـ والخروج من الجنة مثال لما يلاقيه الإنسان من البلاء والعناء بالخروج عن حدّ الاعتدال الفطري ـ وأما تلقي آدم الكلمات وتوبته فهو بيان لما عرف في الفطرة السليمة من الاعتبار بالعقوبات التي تعقب الأفعال السيئة ورجوعه إلى اللَّه تعالى عند الضيق والتجائه إليه في الشدة وتوبة اللَّه تعالى عليه عبارة عن هدايته إياه إلى المخرج من الضيق والتفلت من شرك البلاء بعد ذلك الاعتبار والالتجاء وذكر توبة اللَّه على الإنسان ترد ما عليه النصارى من اعتقاد أن اللَّه تعالى قد سجل معصية آدم عليه وعلى بنيه إلى أن يأتي عيسى ويخلصهم منها وهو اعتقاد تنبذه الفطرة ويرده الوحي المحكم المتواتر. .

وبقي طور آخر أعلى من هذه الأطوار وهو منتهى الكمال وأعني به طور الدين الإلهي والوحي السماوي الذي به كمال الهداية الإنسانية وبيانه في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩][1] .

❑ ذلكم ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده في تأويل قصة آدم في الجنة ومنه ندرك أن الإمام لم يصرح بما صرح به خلف اللَّه من أن قصص القرآن منافية للواقع مخالفة للحقيقة، وهو لا شك وافقه في حمل القصة على غير ظاهر ألفاظها إلى معنى أو معان أخرى لا يدل عليها ظاهر الكلام ومن غير مسوغ لذلك.

وهو مذهب لم يذهب إليه الشيخ محمد عبده في هذه القصة فحسب بل هو منهج سار عليه وبعض تلاميذه في معظم قصص وأخبار القرآن الكريم ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. قال السيد رشيد رضا: «ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة بل يصح مثله في القصص التمثيلية إذ يراد أن من شأن مثلها في وضوحه أن يكون معلومًا حتى كأنه مرئي بالعينين»[2] ، ثم ذهب في تفسير الآية ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ أي أماتهم بإمكان العدو منهم فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع أي قضت سنته في خلقه بأن يموتوا بما أتوه

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٤) وانظر «تفسير المراغي» (١/ ٩٤ ـ ٩٦) فقد نقل هذا النص ووصف أستاذه بالإجادة.

(٢) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٢/ ٤٥٧).

من سبب الموت، وهو تمكين العدو المحارب من أقفائهم بالفرار ففتك بهم وقتل أكثرهم ولم يصرح بأنهم ماتوا لأن أمر التكوين عبارة عن مشيئته سبحانه فلا يمكن تخلفه وللاستغناء عن التصريح بقوله بعد ذلك: «ثم أحياهم»، وإنما يكون الإحياء بعد الموت والكلام في القوم لا في أفراد لهم خصوصية؛ لأن المراد بيان سنته تعالى في الأمم التي تجبن فلا تدافع العادين عليها ومعنى حياة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها وذهبت جامعتها فكل من بقي من أفرادها خاضعين للغالبين ضائعين فيهم مدغمين في غمارهم لا وجود لهم في أنفسهم وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم ذلك أن من رحمة اللَّه تعالى في البلاء يصيب الناس أن يكون تأديبًا لهم ومطهرًا لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة أشعر اللَّه أولئك القوم بسوء عاقبة الجبن والخوف والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها فجمعوا كلمتهم ووثقوا رابطتهم حتى عادت لهم وحدتهم قوية فاعتزوا وكثروا إلى أن خرجوا من ذل العبودية التي كانوا فيها إلى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الأمم وموتها»[1] .

ويبين الشيخ محمد عبده رأيه في القصة في القرآن الكريم بعض بيان حين يقول: «يظن كثير من الناس الآن كما ظن كثير ممن قبلهم - أن القصص التي جاءت في القرآن يجب أن تتفق مع ما جاء في كتب بني إسرائيل المعروفة عند النصارى بالعهد العتيق أو كتب التاريخ القديمة، وليس القرآن تاريخًا ولا قصصًا وإنما هو هداية وموعظة فلا يذكر قصة لبيان تاريخ حدوثها ولا لأجل التفكه بها أو الإحاطة بتفصيلها وإنما يذكر ما يذكره لأجل العبرة

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٥٧ - ٤٥٨) وانظر «تفسير المراغي» (٢/ ٢٠٨ - ٢٠٩).

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، وبيان سنن الإجتماع كما قال: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] (١).

وهو يكرر مثل هذا الكلام في مواضع عديدة من التفسير فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]. «إن كثيراً من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب في القصص ويقولون هنا أن الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التيه وقبل الأمر بدخول تلك القرية فذكر هنا بعد تلك الوقائع، والجواب عن هذه الشبهة يفهم مما قلناه مراراً في قصص الأنبياء والأمم الواردة في القرآن وهو أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها. وإنما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النعم المتصلة بأسبابها لتطلب بها وبيان النقم بعللها لتتقى من جهتها»، ثم يقول: «إن ترتيب الوقائع هو من الزينة في وضع التأليف فلا يتوقف عليه الاعتبار بل ربما يصد عنه بما يكلف الذهن من ملاحظته وحفظه فهذا ضرب من ضروب الإصلاح العلمي جاء به القرآن وأيده سير الاجتماع في الإنسان» (٢).

* وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] الآيات يقول الشيخ محمد عبده: «جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذي لم يسبق إليه ولم يلحق فيه فهو في هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتاب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتى في القصة الواحدة وإنما ينسق الكلام فيه بأسلوب

---

(١) «تفسير المنار» محمد رشيد رضا (٢/ ٤٧٠).

(٢) «تفسير المنار» (١/ ٣٢٧).

يأخذ بمجامع القلوب ويحرك الفكر إلى النظر تحريكًا ويهز النفوس للاعتبار هزًّا»[1] .

□ قال الشيخ رشيد: «قد جرى على هذا الأسلوب كتاب القصص المخترعة والأساطير التي يسمونها الروايات في هذا العصر»[2] .

□ وقال الشيخ محمد عبده في موضع آخر عن التاريخ والقصة القرآنية: «ليس في القرآن شيء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للأمم أو البلاد لمعرفة أحوالها وإنما هي الآيات والعبر تجلت في سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن اللَّه تعالى فيهم إنذاراً للكافرين بما جاء به محمد ﷺ وتثبيتًا لقلبه وقلوب المؤمنين به، ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وإنما يذكر موضع العبرة فيها»[3] .

□ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وإن أخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع والموضوعات المروية في بناء الكعبة كثيرة»[4] .

□ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال الشيخ رشيد رضا: «ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل»[5].

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٢) «تفسير المنار» (١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٣) «تفسير المنار» (٢/ ٢٠٥).

(٤) «تفسير المنار» (٤/ ٧).

(٥) «تفسير المنار» (٣/ ٥٢).

☐ وقال الشيخ محمد عبده: «بيّنا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين، وإنه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والاعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية»[1].

ولا ندري ما الذي يقصده الشيخ بهذا؟ هل يريد أنه إذا كانت قصصه ليست للتاريخ وإنما للهداية والاعتبار فإنها لا تلتزم حقائق التاريخ بل تشتمل على ما لم يقع وما لم يحدث؟!

وهل يريد بزعمه وزعم تلميذه أن قصص القرآن «لا تتجاوز موطن الهداية»، وأنها لم ترد إلا «للعظة والاعتبار» الورود الذي يسوغ لقائلها أن يتجاوز الحقائق ويروي ما لم يقع ولم يحصل ما دامت في حيز الهداية والعظة كما يسوغ للحكيم أن يروي حكمته ويسديها إلى الناس على ألسنة الحيوانات والطيور.

☐ هل يريد بهذا أن يرفض قوله تعالى ووصفه لقصص القرآن بأنها الحق ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾، وقوله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾.

وهل يقصد الشيخ بقوله: «ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار» إباحة ردّ شيء من جزئياتها وتكذيبها وأن ذلك لا يخالف عقيدة المسلم؟!

إن كان وتلاميذه يقصدون هذا ولم يصرحوا به كما صرح به خلف اللّه في رسالته الملحدة فهو أمر يذكرنا بقوله تلميذه الأستاذ محمد فريد وجدي:

وقد اتصل الشرق الإسلامي بالغرب منذ أكثر من مائة سنة فأخذ

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٣٩٩).

يرتشف من مناهله العلمية ويقتبس من مدنيته المادية فوقف فيما وقف على هذه الميتولوجيا «علم الأساطير» ووجد دينه ماثلاً فيها فلم ينبس بكلمة لأنه يرى الأمر أكبر من أن يحاوله ولكنه استبطن الإلحاد متيقنًا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية، وقد نبغ في البلاد الإسلامية كتاب وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلمية فسحرتهم فأخذوا يهيئون الأذهان لقبولها دسًا في مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفاديًا من أن يقاطعوا أو ينفوا من الأرض»[1] .

□ والحق أنا لا نرى كبير فرق بين قولي الشيخ محمد عبده والأستاذ خلف اللَّه فإن رأي الشيخ في قصص القرآن أنها «تمثيل وتخييل وهي للعظة والهداية» ورأي خلف اللَّه: «أنها مخالفة للواقع ومختلقة وهي للعظة والهداية».

فهما متفقان على الشطر الثاني، ومتفقان في الشطر الأول على أن ظاهر لفظها غير مراد وأنها غير واقعة عبر الأول عن ذلك بالتمثيل والتخييل وعبر الثاني عنه بالاختلاق.

ولا ينفي هذا قوله في موضع آخر: «وجملة القول أن طريقة القرآن في قصص الذين خلوا هي منتهى الحكمة، وما كان لمحمد الأمي الناشئ في تلك الجاهلية الأمية أن يرتقي إليها بفكره، وقد جهلها الحكماء في عصره وقبل عصره ولكنها هداية اللَّه تعالى لعباده أوحاها إلى صفوته منهم ﷺ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فعلينا وقد ظهرت الآية ووضحت السبيل أن لا نلتفت إلى روايات الغابرين في تلك القصص ولا نعد مخالفتها للقرآن شبهة نبالي بكشفها»[2] .

---

(١) جريدة الأهرام ٣٠/ ٨/ ١٩٣٣م مقال «مذهب القرآن في المتشابهات» لمحمد فريد وجدي.

(٢) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٢/ ٤٧٢).

▫ وإني لأستعيد هنا نصوصًا ذكرتها تؤيد ما قلته. قال السيد رشيد: «ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة بل يصح مثله في القصص التمثيلية»[١] ، ويقول: «وإن أخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع»[٢] ، ويقول في إحدى القصص: «ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل[٣] ويقول أخيراً: «قد جرى على هذا الأسلوب كتاب القصص المخترعة والأساطير التي يسمونها الروايات في هذا العصر»[٤] .

▫ ويقول شيخه محمد عبده: «بينا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين»[٥] .

وإني لأدعو كل مسلم أن يجعل البحث عن الحقيقة هدفه وأن لا تعميه منزلة الرجل بين الناس عن طلبها وأن يجعل الحق ميزانًا للأقوال لا أن يجعل الرجال ميزانًا لها.

وبعد أن يؤمن بهذا فلينظر فيما سقناه من النصوص في مذهب الشيخ محمد عبده وبعض تلاميذه في القصة في القرآن الكريم. وما لم نذكره اختصاراً ثم ليقل رأيه بعد هذا وليرشدنا إلى الحق إن كنا قد تجاوزناه فالحقيقة ضالتنا»[٦] .

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٥٧).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٧).
(٣) المرجع السابق (٣/ ٥٢).
(٤) المرجع السابق (١/ ٣٤٧).
(٥) المرجع السابق (١/ ٣٩٩).
(٦) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٤٤٢ ـ ٤٦٦).

* شذوذ المدرسة العقلية في كيفية خلق عيسى من مريم عليها السلام:

* قال تعالى: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

تأثر رجال المدرسة العقلية الحديثة كثيراً بالمستشرقين الفرنسيين وغيرهم، ويظهر تأثرهم بهم أكثر ما يظهر في محاولاتهم الدائبة على تقريب الأخبار الخارقة في القرآن إلى الأذهان بصرفها إلى خضوع الأسباب لمسبباتها، وتعليلها بما يوافق العلم والعقل بزعمهم.

ومن ذلك تأويلهم لخلق عيسى عليه السلام المذكور في هذه الآية، وكان الواجب التوقف في تفصيل كيفية نشوء الحمل لأنه من الأمور الغيبية التي لا تثبت إلا بالوحي ولم ينص الوحي على كيفية ذلك، فكان المنهج السليم ومنهج السلف التوقف في كيفيته وإسناد علم ذلك إلى اللَّه سبحانه وتعالى، وعلينا أن نؤمن أن مريم عليها السلام ليست بغيًّا بل اصطفاها اللَّه وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وأن اللَّه أرسل إليها ملكًا تمثل لها بشراً أخبرها بمهمته وهي أن يهب لها غلامًا، ثم نفخ اللَّه فيها من روحه فحملت بعيسى عليه السلام.

أما محاولة تقريب حملها بعيسى عليه السلام إلى الأذهان بما تكون به هذه الواقعة أمرًا عاديًّا لا إعجاز فيه ولا في كونه آية للناس فيها باطل نرفضه. فكيف إذا كان تأويله بما هو بعيد عن الحقائق متأثر بنظريات علمية ثبت بطلانها وزيفها، ولندع السيد رشيد رضا يشرح لنا محاولتهم حيث يقول: «وأقول: اعلم أن الكافرين بآيات اللَّه ينكرون الحمل بعيسى من غير أب جموداً على العادات، وذهولاً عن كيفية ابتداء خلق جميع المخلوقات. ولو كان لهم دليل عقلي على استحالة ذلك لكانوا معذورين ولكن لا دليل لهم إلا أن هذا غير معتاد، وهم في كل يوم يرون من شئون الكون ما لم

يكن معتاداً من قبل، فمنه ما يعرفون له سبباً ويعبرون عنه بالاكتشاف والاختراع، ومنه ما لا يعرفون له سبباً ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة ونحن معاشر المؤمنين نقول: إن تلك الأشياء المعبر عنها بالفلتات إما أن يكون لها سبب خفي وحينئذ يجب أن تهدي هؤلاء الجامدين إلى أن بعض الأشياء يجوز أن يأتي من غير طريق الأسباب المعروفة، فلا ينكروا كل ما يخالفها لاحتمال أن يكون له سبب خفي لم يقفوا عليه، ولا ينزل أمر عيسى في الحمل به من غير واسطة أب عن ذلك، وأما أن تكون قد وجدت في الواقع ونفس الأمر خارقة لنظام الأسباب وحينئذ يجب بأن يعترفوا بأن الأسباب الظاهرة المعروفة ليست واجبة وجوباً عقليًّا مطرداً وإذا كان الأمر كذلك امتنع على العاقل أن ينكر شيئًا ما ويعده مستحيلاً؛ لأنه لا يعرف له سببًا، ولعل أبناء العصور السابقة كانوا أقرب إلى أن يعذروا بإنكار غير المألوف من أبناء هذا العصر الذي ظهر فيه من أعمال الناس ما لو حدث به عقلاء الغابرين لعدوه من خرافات الدجالين، ونحن نرى علماء الغرب وفلاسفته متفقين على إمكان التولد الذاتي أي تولد الحيوان من غير حيوان أو من الجماد، وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا إلى ذلك بتجاربهم، وإذا كان تولد الحيوان من الجماد جائزاً فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى بالجواز وأقرب إلى الحصول نعم. إنه خلاف الأصل وإن كونه جائزاً لا يقتضي وقوعه بالفعل، ونحن نستدل بوقوعه بالفعل بخبر الوحي الذي قام الدليل على صدقه»[1] .

إلا أن تعدي السيد رشيا رضا حدود التفسير وتجاوزه لمنهج السلف يظهر في محاولته تقريب هذه الواقعة إلى السنن المعروفة في نظام الكائنات، وذلك بصرفها عن أن تكون خارقة وآية للناس إلى أن تكون غير ذلك حيث يقول: «ويمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام

(١) «تفسير المنار» (٣/٣٠٨ ـ ٣٠٩).

الكائنات بوجهين:

أحدهما: أن الاعتقاد القوي الذي يستولى على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا، وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضًا، وكم من أمرئ سقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقدًا أنه سم ناقع فمات مسمومًا به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن اللّه تعالى سيهب لها ولدًا بمحض قدرته وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين، انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالاً فعل في الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاح السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ، وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرى متممًا لهذا التأثير.

الوجه الثاني: وهو أقرب إلى الحق وإن كان أخفى وأدق وبيانه يتوقف على مقدمة وجيزة في تأثير الأرواح في الأشباح، وهي أن المخلوقات قسمان أجسام كثيفة وارواح لطيفة، وأن اللطيف هو الذي يحدث في الكثيف الحي ما نراه فيه من النمو والحركة والتوالد الذي يكون فيه من النمو أو يكون النمو منه فلولا الهواء لما عاشت هذه الأحياء والهواء روح، ولذلك كان من أسمائه إذا تحرك الريح وأصلها روح بكسر الراء ولأجل الكسر قلبت الواو ياء لتناسبه والماء الذي منه كل شيء حي مركب من روحين لطيفين وهو يكاد يكون في حال التركيب وسطًا بين الكثيف واللطيف ولكنه أقرب إلى الثاني، والكهربائية من الأرواح وناهيك بفعلها في الأشباح، فهذه الموجودات اللطيفة التي سميناها أرواحًا هي التي تحدث معظم التغير الذي نشاهده في الكون حتى أننا قد رأينا في هذا العصر من أسرارها ما لم يكن يخطر على بال أحد

من قدماء فلاسفتنا، ويعتقد علماؤنا اليوم أن ما سيظهر منها في المستقبل أجل وأعظم، فإذا كان الأمر كذلك في الأرواح التي لا دليل عندنا على أنها تدرك وتريد فلم لا يجوز أن يكون تأثير الأرواح العاقلة المريدة أعظم.

ثم قال: «إذا تمهد هذا فنقول: إن اللَّه المسخر للأرواحِ المنبثة في الكائنات قد أرسل روحًا من عنده إلى مريم فتمثل لها بشراً ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها فحملت بعيسى عليه السلام وهل حملت إليها تلك النفخة مادة أم لا؟ اللَّه أعلم»[1] .

ذلكم ما قاله رجال المدرسة العقلية الحديثة في أمر خلق عيسى عليه السلام فهو أمر ليس فيه من خارق العادات شيء بل هو إما اعتقاد قوي استولى على قلب مريم واستحوذ على مجموع أعصابها لما بشرت بأن اللَّه تعالى سيهب لها ولدًا بمحض قدرته فانفعل مزاجها انفعالاً فعل في الرحم فعل التلقيح؟! فلم يكن في الأمر عجبًا!! ولم يكن فيه «آية للناس»؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهم بهذا التأويل وإن لم يرجحوه قد فروا من طريق السلامة إلى طريق الضلال وفتحوا طريقًا سهلاً للبغايا الفاسدات وليزعمن إذا وقع منهن الحمل أنهن لم يرتكبن جريمة الزنا، وإنما وقع منهن الاعتقاد؟! وما الذي بأيدينا حتى نثبت كذبهن إذا جعلنا الاعتقاد هذا سبيلاً للحمل، وأي فضل اختصت به مريم عليها السلام بل أي أمر عجب جعله اللَّه آية للناس فليعلم بطلان هذا الزعم.

وأما أن اللَّه المسخر للأرواح المنبثة في الكائنات قد أرسل روحًا من عنده إلى مريم، فتمثل لها بشراً ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها

---

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

فحملت بعيسى عليه السلام وهل حملت إليها تلك النفخة مادة أم لا؟ اللَّه أعلم»[١] .

وهذا هو الذي ورد في القرآن ما يشير إليه، وكنا نود لو اكتفى رجال المدرسة بهذا التأويل في الأمر الغيبي ولم يأتوا من عندهم ومن خارج ما تدل عليه ألفاظ القرآن بتأويلات باطلة ومفاهيم ضالة.

ولكنهم أرادوا زيادة التقريب إلى الأذهان خشية ألا تقبل أذهان «أحرار الأفرنج» التأويل السليم للآية فجاءوا بتأويل آخر تقبله أذهانهم ولكنه مخالف لما دل عليه القرآن الكريم فكان حقًّا علينا أن نرفضه ونرده على أصحابه ليبقى التأويل السليم والفهم السلفي الصحيح هو رائدنا في تفسير الآية، واللَّه الهادي.

* إنكارهم لنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وردهم للحديث المتواتر :

فقد تواتر في السنة النبوية الشريفة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وممن حكى التواتر هذا ابن جرير الطبري[٢] آنفًا والشوكاني في تفسيره[٣] وابن كثير[٤] وابن حجر العسقلاني[٥] وابن عطية الغرناطي الأندلسي في تفسيره[٦] .

وأبو الوليد بن رشد[٧] والسفاريني[٨] والكتّاني[٩] والشيخ محمد شفيع[١٠]

---

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣١٠).
(٢) «تفسير الطبري» (٦/ ٤٥٨).
(٣) «فتح القدير» (١/ ٥٣٥).
(٤) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦١٥ ـ ٦٢١)، و(٤/ ١٤٢).
(٥) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (٦/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤).
(٦) «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٢/ ٤٧٣).
(٧) «إكمال إكمال المعلم» (شرح صحيح مسلم) لأبي عبداللَّه محمد بن خلفة الوشتاني الأبي (١/ ٢٦٥).
(٨) «لوامع الأنوار البهية» لمحمد بن أحمد السفاريني (٢/ ٩٤ ـ ٩٥).
(٩) «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» لأبي عبداللَّه محمد الكتّاني ص(١٤٧).
(١٠) «مقدمة التصريح بما تواتر في نزول المسيح» كتبها الشيخ محمد شفيع ص(٥٦).

والشيخ مصطفى صبري[١] وأبو حيان الأندلسي في تفسيره[٢].

لكن رجال المدرسة العقلية الحديثة جاءوا بالعجب العجاب في تفسير هذه الآية مهدوا للأمر أول تمهيد فأنكروا صحة الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام فضلاً عن تواترها وزعموا أنها «روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافًا لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث وهي فوق ذلك رواية وهب بن منبه، وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام وقد عرفت درجتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل»[٣] وأضاف الشيخ شلتوت قائلاً: «وموجز ما نقول فيها: أنها لا تخرج عن كونها أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد مهما صحت لا تفيد يقينًا يثبت عقيدة يكفر منكرها»[٤].

ثم يصف أولئك العلماء الأفاضل الذي حكوا التواتر ومنهم من ذكرنا آنفًا كابن حجر والطبري وابن كثير والشوكاني وغيرهم بأنهم قوم «تظاهروا بالانتساب إلى الدين والغيرة على أحاديث الرسول واستباحوا لأنفسهم - في سبيل أغراضهم الدنيا - أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه في شأن أحاديث عيسى التي لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء في تحققه وهي مع آحاديتها يكثر ويشتد في معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون، ونكارة المعاني، فتراهم يقولون هي متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين، وذكرت في كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين، فإذا رأوا في بعضها ضعفًا أو اضطرابًا أو نكارة حاولوا التخلص من ذلك

---

(١) «موقف العقل والعلم والعالم» (٤/ ٢٤٧) لمصطفى صبري.

(٢) «النهر الماد من البحر» لأبي حيان الأندلسي (٢/ ٤٧٣) بهامش تفسير البحر المحيط.

(٣) «الفتاوى» للشيخ محمود شتلوت ص(٦٢).

(٤) المرجع السابق ص(٧٧).

فقالوا: إن الضعيف فيها منجبر بالقوي وأن العدالة لا تشترط في رواة المتواتر. وهكذا يخلعون عليها ثوبًا مهلهلاً من القداسة، لا رغبة في علم ولا غيرة على حق ولكن مكابرة وعنادًا وإصرارًا على التضليل، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة أنهم حفاظ وأنهم محدثون!»(١) !.

فإن قال قائل: إنه لا يقصد في اتهامه الخطير هذا أولئك العلماء الذين ذكرت ولم يسم أحدًا منهم؟ قلت: إن كلامه ولا شك يشملهم ويعمهم فإنهم هم الذين قالوا: «أنها متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين وذكرت في كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين»، وهم الذين قالوا: «إن الضعيف فيها منجبر بالقوي».

فإن كان لا يقصدهم فإن كلامه يشملهم بل كدت أقول يخصهم شاء ذلك أم أبى.

ثم أدرك أن كلامه هذا لا يقوم على الأصول الصحيحة في نقد الحديث أو قواعد الجرح والتعديل فذهب يلتمس مخرجًا آخر فزعم «أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل الحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة، فقد تناولتها أفهام العلماء قديمًا وحديثًا، ولم يجدوا مانعًا من تأويلها»(٢) .

□ وقال الشيخ شلتوت أيضًا: «إنه ليس في الأحاديث التي أوردوها في شأن نزول عيسى آخر الزمان قطعية ما، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها»(٣) .

وهذا هو ما ذهب إليه شيخه «الأستاذ الإمام» محمد عبده حيث قال

(١) المرجع السابق ص(٧٧ ـ ٧٨).
(٢) المرجع السابق ص(٧٨).
(٣) «الفتاوى» لمحمود شلتوت ص(٧٩).

عن طريقته: «ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي؛ لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي؛ لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر. وثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله»[١] .

وقد أراد أن يدافع السيد رشيد عن ظاهر هذه الأحاديث بأنه لا يوافقهم ثم أشار إلى تأويل آخر ليسلكوه هو أشد فتنة وضلالاً ممن أنكر التواتر فقال: «هذا ما قاله الأستاذ الإمام في الدرس مع بسط وإيضاح، ولكن ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه، ولأهل هذا التأويل أن هذه الأحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث والناقل للمعنى ينقل ما فهمه»[٢] ، وإنما قلنا: أن هذا التأويل أشد ضلالاً وفتنة ممن ينكر التواتر لأن من أنكر التواتر إذا صح عنده التواتر عمل به واعتقد. أما من زعم أن هذه الأحاديث نقلت بالمعنى فالتأويل الباطل هو سبيله في كل ما خالف معتقده سواء كان الدليل متواتراً أو غير متواتر وحجته أنها رويت بالمعنى.

□ ونقل الشيخ شلتوت عن الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي فتواه في نزول عيسى وجاء فيه «لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو حي الآن بجسمه وروحه وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذي يسوغ تفسير القرآن بها، ثم قال: «ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة،

---

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣١٧).

(٢) «تفسير المنار» (٣/ ٣١٧).

والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر»[1] .

ومن هذا ندرك مبلغ جهدهم في إنكار تواتر هذه الأحاديث وهو جهد ضال؛ لأنه لا يقوم على الأسس الصحيحة لنقد الحديث مع جمع للروايات ثم نقدها ونقد رجالها بما تبطل به صحتها وتواترها ولكنهم يصفونها ـ اعتباطًا ـ بأنها أحاديث غير متواترة وهذا منهج مألوف لهم في إنكار الأحاديث المتواترة التي لا توافق هواهم وقد مر بنا بعض ذلك في إنكارهم تواتر ما تواتر عند السلف من علامات الساعة قال الشوكاني بعد أن ساق الأحاديث الواردة في المهدي والدجال ونزول عيسى: «فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم متواترة»[2] .

وغير ذلك من الآيات التي ذكرنا هناك تواترها، وقد أنكر رجال المدرسة العقلية صحتها فضلاً عن تواترها وأولوها تأويلات باطلة على نحو ما نقلنا عن الشيخ عبده آنفًا عن الدجال وكونه رمزًا للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها»[3].

* نقل رشيد رضا تأويل الشيخ عبده لهذه الآية بقوله:

«يقول بعض المفسرين: «إني متوفيك»، أي منومك وبعضهم إني قابضك من الأرض بروحك وجسدك «ورافعك إليَّ» بيان لهذا التوفي، وبعضهم إني أنجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك وأميتك حتف

---

(١) «الفتاوى» لشلتوت ص(٨٢).

(٢) انظر تحقيق عبدالفتاح أبو غدة لكتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للكشميري ص(٦٤).

(٣) «تفسير المنار» (٣/ ٣١٧).

أنفك، ثم أرفعك إليَّ. ونسب هذا القول إلى الجمهور، وقال للعلماء: ههنا طريقتان أحدهما وهي المشهورة أنه رفع حيًّا بجسمه وروحه وأنه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه اللَّه تعالى ولهم في حياته الثانية على الأرض كلام طويل معروف وأجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القرآن في تقديم الرفع على التوفي بأن الواو لا تفيد ترتيبًا ـ أقول: وفاتهم أن مخالفة الترتيب في الذكر للترتيب في الوجود لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة ولا نكتة هنا لتقديم التوفي على الرفع إذ الرفع هو الأهم لما فيه من البشارة بالنجاة ورفعة المكان. (قال) والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهو الإماتة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ولا بدع في إطلاق الخطاب على شخص وإرادة روحه، فإن الروح هي حقيقة الإنسان والجسد كالثوب المستعار، فإنه يزيد وينقص ويتغير والإنسان إنسان؛ لأن روحه هي هي (قال) ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي؛ لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي؛ لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر وثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة، ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم إلى عالم الأرواح بتحري كمال الآداب أي ولما كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبراً عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقًا لروحها ذاهبًا بحكمتها كان لا بد لهم

من إصلاح عيسوي يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقي وكل ذلك مطوي في القرآن الذي حجبوا عنه بالتقليد الذي هو آفة الحق وعدو الدين في كل زمان فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر»(١) .

▫ ومن هذا ندرك أن الشيخ جعل عيسى عليه السلام رمزاً لغلبة روحه وسر رسالته على الناس كما جعل الدجال رمزاً للدجل والخرافات وكلاهما مذهب جديد سبق إليه الشيخ عبده وتلاميذه. قال الشيخ أحمد مصطفى المراغي: «فزمان عيسى هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر وأما الدجال فهو رمز الخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها، والقرآن أعظم هاد إلى الحكم والأسرار وسنة الرسول ﷺ مبنية لذلك»(٢) .

▫ يا ضيعة الأمة حين تنبذ العقائد الثابتة بما دل عليه القرآن الكريم وما تواتر في السنة النبوية.

وانظر إلى عجب العُجاب من قول السيد رشيد رضا: «وجملة القول: أنه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيًّا حياة دنيوية بهما.. وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام إلى الآن بثها في المسلمين»(٣) .

(١) «تفسير المنار» (٣/ ٣١٧).
(٢) «تفسير المراغي» (٣/ ١٧٠).
(٣) الجزء العاشر المجلد ٢٨ للمنار ص(٧٥٦).

إذن فهذه العقيدة أسطورية؛ لأنها لا تستند إلى الكتاب ولا إلى السنة حاول بثها بين المسلمين أكثر النصارى منذ ظهور الإسلام.

ولا أدري كيف يصفهم بأنهم «حاولوا» ولا يقول: «نجحوا»؛ لأنهم تمكنوا من بثها في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما بل في منابع تلك الكتب وتمكنوا من خداع أصحاب هذه الكتب بل من خداع جمهور علماء المسلمين ولم يكشف زيفهم ودسهم لهذه الأسطورة إلا الشيخ محمد عبده وتلاميذه، هذا على التسليم بأن القرآن لا يدل على هذه العقيدة.

ورحم اللَّه الشافعي الذي أدرك ببصيرته جناية تقديم العقل على النقل فقال: «إنما فسد العرب لما تركوا لسان الفطرة واتبعوا لسان أرسطو طاليس».

□ يقول الشاعر:

من أنت يا رسطو ومن أفلاط قبلك يا مبلدْ
هل أنتمُ إلا الفراش وقد رأى ناراً توقَّدْ
فدنا فأحرق نفسه ولو اهتدى رشداً لأبعدْ
فلتخسأ الحكماء عن رب له الأفلاك تسجُدْ

* أثر المدرسة العقلية الحديثة في الفكر الإسلامي:

□ تكلمنا عن أثر المدرسة في تفسير القرآن، وأنهم يحمّلون الآيات ما لا تحتمله، ويؤولون الحقائق القرآنية تأويلاً منحرفًا عن فهم السلف الصالح.

انظر مثلاً إلى «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن» لأبي زيد الدمنهوري وقد سبق ذكر شطحاته.

وانظر إلى طنطاوي جوهري في كتابه «الجواهر في تفسير القرآن العظيم»، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ الآيات «وأما علم تحضير الأرواح، فإنه من هذه الآية

استخراجه، أن هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولاً ثم بسائر أوربا ثانيًا»[١] ، وقال: «ولما كانت السورة التي نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزير بعد موته، وكذلك حماره، ومسألة الطير وإبراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الطاعون فماتوا ثم أحياهم وعلم اللَّه أننا نعجز عن ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثة في السورة ما يرمز إلى استحضار الأرواح في مسألة البقرة كأنه يقول: إذا قرأتم ما جاء عن بني إسرائيل في إحياء الموتى في هذه السورة عند أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فإني قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾، ولكن ليكن المحضر ذا قلب نقي خالص على قدم الأنبياء والمرسلين كالعزير، وإبراهيم وموسى، فهؤلاء لخلوص قلوبهم وعلو نفوسهم أريتهم بالمعاينة ليطمئنوا وأنا أمرت نبيكم أن يقتدي بهم فقلت: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٢] .

□ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ونحوها من الآيات يقول: «.. أو ليس الاستدلال بآثار الأقدام وآثار أصابع الأيدي في أيامنا الحاضرة هو نفس الذي صرح به القرآن»[٣] .

لا شك أن هذا التفسير وأمثاله من أخطر التفاسير للقرآن الكريم بل هو تلاعب بالآيات وصرف لها عن حقائقها الثابتة إلى معان لا تثبت إلا بقدر ما تثبت مكتشفات علمية تهتز يمنة ويسرة بين الثبات والسقوط ـ هذا في الآيات التي قد يفهم منها ما أورده في تفسيرها فما بالك بما يورده من تفسير لا

---

(١) «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» لطنطاوي جوهري (١/ ٨٤).
(٢) المرجع السابق (١/ ٨٩).
(٣) المرجع السابق (٣/ ٩٩).

تحتمله الآي من بعيد ولا من قريب.

(ب) في السنة النبوية:

وقد سبق ذكر ذلك بالتفصيل وردهم لأحاديث صحيحة بل ومتواترة، وعدم أخذهم بأحاديث الآحاد، وثمرة من ثمارهم النكدة عدو السنة محمود أبو رية.

(جـ) في القصة القرآنية:

قولهم في القصص القرآني بأنه من قبيل التمثيل فتح الباب على مصراعيه أمام محمد أحمد خلف اللَّه ليقول: «إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير»[1].

ويستدل[2] لإثبات هذه النتيجة التي توصل إليها بما جاء في المنار عن احدى قصص القرآن «ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل واللَّه أعلم»[3] ويستدل[4] أيضًا بقول الشيخ محمد عبده: «وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه: إن القرآن كثيراً ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، فليس المراد أن اللَّه تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه، وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا ونحو قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء إلى خلق السماء: ﴿فَقَالَ

---

(١) «الفن القصصي في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف اللَّه (١٧٨ ـ ١٨٠).

(٢) المرجع السابق ص(١٦٤).

(٣) «تفسير المنار» (٣/ ٥٢).

(٤) «الفن القصصي في القرآن الكريم» (١٦٨ ـ ١٦٩).

﴿لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، والمعنى في التمثيل ظاهر»[١] .

(د) في الفقه:

ونحن وإن كنا لا نزعم أن كل انحراف في تقنين الأحكام الشرعية وميل بها عن الحق أنه أثر من آثار المدرسة العقلية إلا أننا نؤكد أن كثيراً من ذلك يستند إلى آرائهم ويستدل بأقوالهم ويستشهد بها وما هذا إلا معيار لتأثرهم بها، نذكر من هذا مسألة تعدد الزوجات دع عنك تحرير المرأة وخروجها إلى العمل واختلاطها بالرجال في ميادينه.. إلخ.

وقد سبق للشيخ عبده أن دعا إلى تطبيق ما ذهب إليه في مسألة تعدد الزوجات ونحن نذكر دعوته هنا حتى ندرك أن ما حدث بعد إنما هو من آثاره ومدرسته قال: «لا سبيل إلى تربية الأمة مع فشو تعدد الزوجات فيها فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة خصوصًا الحنفية منهم الذين بيدهم الأمر وعلى مذهبهم الحكم فهم لا ينكرون أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم وأن من أصوله منع الضرر والضرار فإذا ترتب على شيء مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله فلا شك في وجوب تغير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة»[٢] .

إذن فهو يدعو إلى تغيير الحكم؟! ترى هل يدعو إلى تغييره دفعة واحدة أو بطريقة أخرى؟! يفسر هذا تلميذه السيد رشيد بقوله: «إن قاعدة اليسر في الأمور ورفع الحرج من القواعد الأساسية لبناء الإسلام ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾

---

(١) «تفسير المنار» (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٢) «تفسير المنار» (٤/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

[المائدة: ٦]، ولا يصح أن يبني على هذه القاعدة تحريم أمر تلجئ إليه الضرورة أو تدعو إليه المصلحة العامة أو الخاصة.. وهو مما يشق امتثاله دفعة واحدة لا سيما على من اعتادوا المبالغة فيه كتعدد الزوجات كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس، وشأنهم فيه على ما فيه من المفاسد فلم يبق إلا أن يقلل العدد ويقيد بقيد ثقيل وهو اشتراط انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات وهو شرط يعز تحققه ومن فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحدة يتجلى له أن أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي»[1] ؟!!

إذن فليس الأمر في المنع «دفعة واحدة»؛ لأنه يشق على من اعتادوا المبالغة فيه والحل أن يقيد بقيد ثقيل.. وهو شرط يعز تحققه.. ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي.

وليس المانع من إلغاء التعدد دفعة واحدة «أمر شرعي وإنما المشقة على من اعتادوا المبالغة فيه، والعلاج التدرج في ذلك إلى أن يصل الأمر إلى اعتياد الناس على عدم التعدد ولا يشق على أحد إلغاؤه ومن ثم إلغاء التعدد.

لن أذكر هنا أثر تلك الدعوة على الأفراد في أقوالهم ودعواتهم؛ لأنها كلها تنتهي إلى الدعوة إلى تطبيقه وتقنينه، وإذا ما اكتفينا بذكر القوانين التي سنتها بعض الدول المسلمة في ذلك نكون قد تجاوزنا آراءهم إلى النتيجة والنتيجة هدفنا من الإشارة إلى الأثر.

وفي الواقع أن الدول التي تأثرت بهذه الدعوة انقسمت إلى قسمين ولا يزال بعضها في مرتبة «قيد ثقيل يعز تحققه.. ومن لم يلتزمه فزواجه غير

---

(١) «تفسير المنار» (٤/ ٣٥٩).

«إسلامي»، واستطاع بعضهم أن يصل إلى مرتبة «دفعة واحدة».

أما القسم الأول فدول المغرب وسوريا والعراق قيدته المغرب قضائيًّا بالعدل بين الزوجات، وقيدته سوريا بالقدرة على الإنفاق، وقيد في العراق بمصلحة مشروعة وبالعدل بين الزوجات، وبالقدرة على الإنفاق عليهن.

«وورود أحد هذه القيود في القانون معناه أنه أصبح ملزمًا ويتعين على القاضي أن يتحقق من توافره بحيث إذا لم يكن هذا الشرط متوافرًا أو ذاك كان تعدد الزوجات غير جائز؛ لأن المفروض أن أحكام القانون جميعها ملزمة ويحمل الناس على احترامها وتطبيقها طوعًا أو كرهًا»[1].

أما التي أخذت بالطريقة الثانية فتونس فمنعت تعدد الزوجات ومن تزوج بأكثر من واحدة يستوجب عقابًا بالسجن مدة عام وبخطية (أي غرامة) قدرها (٠٠٠ و٢٤٠) فرنك أو بإحدى العقوبتين فقط «(الفصل ١٨)»[2].

◻ ومصر انتهى الأمر سنة ١٩٦٧م ففي هذه السنة صدر قانون الأسرة في مصر والجديد الذي جاء فيه ما نصّت عليه المادة (١٣٤).

أ ـ للزوجة التي تزوج عليها زوجها وإن لم تكن قد اشترطت عليه في العقد ألا يتزوج عليها أن تطلب التفريق بينها وبينه وفي مدى شهرين من تاريخ علمها بالزواج ما لم ترض به صراحة أو دلالة.

ب ـ ويتجدد حقها في طلب التفريق كلما تزوج بأخرى.

جـ ـ وإذا كانت الزوجة الجديدة قد فهمت من الزوج أنه غير متزوج بسواها ثم ظهر أنه متزوج فلها أن تطلب التفريق.

كما نصت هذه المادة على أن «التفريق للزواج بأخرى طلاق بائن»[3].

---

(١) «تعدد الزوجات» ص(٢٦٢).

(٢) المرجع السابق ص(٢٦٢).

(٣) «تعدد الزوجات» لعبد الناصر توفيق العطار ص(٢٣٧).

وهذا ولا شك «قيد ثقيل يعز تحققه..»؟!.

☐ والاتجاه العام إلى تقييد تعدد الزوجات سائر على منهج مدروس وقد بدأت بعض السلطات في بعض البلدان الإسلامية في إصدار قوانين تحرم من يعدد زوجاته من بعض الحقوق أو المزايا التي يتمتع بها سائر المواطنين كحرمانه من الاشتراك في نقابة أو ناد معين أو قصر الإعارة للخارج على المتزوجين بواحدة أو السماح بالعلاج المجاني لزوجة واحدة أو قصر الإعفاء الضريبي على المتزوجين بواحدة[1] ونحو ذلك.

☐ وهذا كله ولا شك في سبيل «تقييد تعدد الزوجات بقيد ثقيل.. يعز تحققه ـ ومن لم يلتزمه فزواجه غير «إسلامي» «والانتقال بعد هذا إلى الخطوة الأخرى «منع تعدد الزوجات» دفعة واحدة»، وبهذا لا يشق هذا الأمر على «من اعتاد على تعدد الزوجات»؟!.

وقبل أن نترك هذه النقطة نقول: إن المدعو عبدالعزيز فهمي باشا زعم أن القرار يحرم بتاتًا تعدد الزوجات؟!، وإلى تحريم تعدد الزوجات ذهب الشيخ الأزهري عبدالمتعال الصعيدي قائلاً: «لولي الأمر أن ينهى عنه إذا أساء المسلمون استعماله فيصير حرامًا لنهيه عنه، وإن كان في ذاته مباحًا»؟!!

ولذا فلا عجب أن يقول الدكتور عفّت الشرقاوي معلقًا على ما ذهب إليه عبدالعزيز فهمي ونعمّ به عبدالمتعال «ومع ما يبدو في هذا من الغرابة والتجوّز في الاستنتاج، وخروجه عن المألوف المأثور، فإنه كان النتيجة الطبيعية لتأثرنا بالنظم الأوربية في تشريع الزواج.. وكان ذلك في جملته تطوراً واضحًا لنزعة قديمة حمل لواءها «محمد عبده» محاولاً التوفيق بين النص القرآني وهذا التصور الجديد»[2].

---

(١) المصدر السابق ص(٣١٦ ـ ٣١٧).

(٢) «الفكر الديني في مواجهة العصر» لعفّت الشرقاوي ص(٢٣٧).

هـ ـ في السياسة:

عمى الألوان مرض يصيب البصر لا يستطيع صاحبه التفريق أو التمييز بينها، وأحسب أن عمى الألوان هذا يصيب البصيرة فلا يستطيع صاحبه أن يفرق بين دين ودين، ومنهج وآخر.

◻ نظرت طائفة من المسلمين أو من المتسبين للإسلام إلى ما حدث في أوروبا في العصور الوسطى، وإلى ما حدث من صراع هناك بين الدين والعلم، بين الدين والسياسة، بين الدين والدولة، نظروا إلى «رجال الدين» يستندون إلى كتب «محرفة»، وما فيها يخالف حقائق العلم ونظرياته، أضف إلى هذا تشدد أولئك «رجال الدين» في مواجهة خصومهم.

◻ ليس هناك مجال آخر دين محرف أقواله تصادم حقائق علمية، ورجاله متصلبون متشددون، فكان لا بد من قيام ثورة للفصل بين الدين والدولة، بين الدين والسياسة بين الدين والعلم، فعزلوا الدين وأقصوه.

حسب من أصيب بعمى البصيرة أن كل دين كهذا الدين المحرف، فأراد من ينتسب إلى الإسلام منهم أن يطلب تلك الثورة على دينه الذي ينتسب إليه ـ إما عن جهل منه وإما عن خبث فيه ـ فدعوا إلى فصل الدين عن الدولة، وجعل الدين مجرد عبادة تؤدى في المسجد فإذا خرجت إلى الشارع فقد تعدت حدودها وتجاوزت مراسيمها ووجب عقابها وقمعها.

فليبق الدين في المسجد؟!

ولتبق الوطنية والقومية.. إلخ في الشارع، وليسرح الناس وليمرحوا حسب نظامهما، دينهم الوطن وعقيدتهم القومية.

◻ وكان من السابقين السابقين إلى هذه الدعوة الشيخ محمد عبده حيث قال: «إن خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه»[1]. والشيخ

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» رشيد رضا (٢/ ١٩٤).

نفسه هو الذي صاغ برنامج «الحزب الوطني» المصري وجاء فيه «الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني[١] فإنه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذاهب، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرس أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم إليه»[٢] ، ودافع عن القبط في مصر قائلاً: «ليس من اللائق بأصحاب الجرائد أن يعمدوا إلى إحدى الطوائف المتوطنة في أرض واحدة فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوها إلى شائن من العمل تعللاً بأن رجلاً أو رجالاً منها قد استهدفوا لذلك..»[٣] .

☐ وهو في هذا يقلد أستاذه الأفغاني الذي دعا إلى القومية والوطنية «الفرعونية» في مصر حيث يقول موجهًا حديثه للعوام: «إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد.. تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفه وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت.. انظروا أهرام مصر وهياكل منفيس وآثار تيبه ومشاهد سيوه وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرشيد فلاح[٤]

* * *

(١) لاحظ الفصل بين الدين والسياسة.
(٢) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده جمع محمد عمارة (١/ ١٠٧)، و«التاريخ السري» بلنت ص(٤٤٢).
(٣) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده جمع عمارة (١/ ١٠٨).
(٤) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (١/ ٤٦ - ٤٧) و«زعماء الإصلاح» لأحمد أمين ص(٧٨ - ٧٩).

☐ واتبعا القول بالعمل فجدا واجتهدا في سبيل هدم الخلافة الإسلامية، واستقلال العرب عن الأتراك والتقريب بين الأديان.

وقد سرت هذه الأفكار والمبادئ في المجتمع الإسلامي بعد ذلك وانتشرت ولا نزال حتى ساعتنا هذه نعاني من آثارها.

وظهرت آثارها أول ما ظهرت في الثورة الكمالية الإلحادية في تركيا حيث عملت أول ما عملت على فصل الدين عن الدولة وقالوا فيما قالوا: «إننا نحن العثمانيين لا يمكن أن نترقى إلا إذا نبذنا الدين وراء ظهورنا وعصرنا العلماء عصراً نمحقهم به محقًا، وسرنا وراء فرنسة خطوة خطوة»[(١)].

☐ وأشاد بعض العرب بهذه الحركة وفتن بها كثير منهم قال أحدهم: «حصل التقدم في تركيا بعد نبذها تعاليم رجال الدين وفتاويهم وفصلها الأمور الزمنية عن الدينية، واستغنائها عن قراءة البخاري في السفن البحرية»[(٢)].

وفي سنة ١٩٢٥م وضع علي عبدالرزاق كتابه الإسلام وأصول الحكم خاض فيه في مبحثين:

١) هل منصب الخلافة ديني أم سياسي أم مزيج من كليهما معًا؟

٢) هل منصب الخلافة ضروري للمسلمين؟[(٣)].

وهو في سبيل فصل الدين عن الدولة تضمن:

١ - جعل الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٦ جـ٢ ص عدد صفر ١٣٣١ هـ ص(١٣٢).

(٢) «هذا هو الإسلام» لفاروق الدملوجي ص(٢١٣).

(٣) «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرزاق ص(٥).

٢ ـ أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا بلاغ الدعوة إلى العالمين.

٣ ـ وأن نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضوع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجبًا للحيرة.

٤ ـ وأن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغًا للشريعة مجردًا عن الحكم والتنفيذ.

٥ ـ وإنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا.

٦ ـ وإنكار أن القضاء وظيفة شرعية.

٧ ـ وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم كانت لا دينية»[١] .

وجاء فيه «الدنيا من أولها لآخرها وجميع ما فيها من أغراض وغايات أهون عند اللَّه تعالى من أن يبعث لها رسولاً وأهون عند رسل اللَّه تعالى من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها»[٢] .

وزعم «أن كل ما جاء به الإسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فإنما هو شرع ديني خالص للَّه تعالى ولمصلحة البشر الدينية لا غير، وسيان بعد ذلك أن تتضح لنا تلك المصالح الدينية أم تخفى علينا، وسيان أن يكون منها للبشر مصلحة مدنية أم لا فذلك مما لا ينظر الشرع السماوي إليه ولا ينظر إليه الرسول»[٣] .

☐ وقال: «التمس بين دفتي المصحف الكريم أثرًا ظاهرًا خفيًّا لما يريدون

---

(١) «حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم» ص(٥ ـ ٦).
(٢) «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرازق ص(١٥٤).
(٣) المرجع السابق ص(١٧١ ـ ١٧٢).

أن يعتقدوا من صفة سياسية للدين الإسلامي ثم التمس ذلك الأثر مبلغ جهدك بين أحاديث النبي ﷺ ، تلك منابع الدين الصافية في متناول يديك، وعلى كثب منك فالتمس منها دليلاً أو شبه دليل فإنك لن تجد عليها برهانًا، إلا ظنًا وأن الظن لا يغني عن الحق شيئًا»(١) .

◻ ولن ندع مثل هذا التحدي لهذا القزم المتعملق من غير ردّ، ولن نأتيه بشبه دليل بل نأتيه بالصاعقة قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، وهل الحكم بين الناس إلا عين السياسة وهدفها ولا نريد أن نعدد الأدلة بعد هذا فهي جد طويلة ولكن أتينا بما طلبه «التمس دليلاً أو شبه دليل. .» إلخ؟!.

◻ وقال بنحو هذا محمد أحمد خلف اللَّه في كتابه «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة»، حيث يقول: «إن رياسة الخلفاء الراشدين للدولة العربية (!!) لم تكن دينية بحال من الأحوال وإنما كانت مدنية صرفة»(٢) .

◻ وقال: «والقرآن الكريم قد أعرض إعراضًا تامًا عن الحديث في أي نظام أساسي للدولة العربية الإسلامية وترك أمر ذلك للمواطنين (!!) يقررون فيه ما يشاءون (!!)»(٣) .

ودعوا إلى حركة القومية العربية وقالوا: «إن هذه الحركة لم تتخذ من الإسلام خاصة ومن الدين عامة أساسًا لها، وإنما مضت على أساس عربي خالص»(٤) «وإن الفكرة العربية أكثر انتشاراً وأوسع نفوذًا من الفكرة الإسلامية»(٤) .

---

(١) المرجع السابق ص(١٥١).

(٢) «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة» لمحمد أحمد خلف اللَّه ص(٨٢).

(٣) «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة» لمحمد أحمد خلف اللَّه ص(٨٢).

(٤) «مجلة العربي» العدد الأول مقال (القومية العربية كما يجب أن نفهمها) لمحمد أحمد خلف الله ص(٢٢ و٢٤).

ودعوا إلى توحيد الأديان وصهرها بعضها ببعض وهو سبيل من سبل القومية قال أبو ريّة: «إن الناس سيصلون إن شاء اللَّه بعلومهم وعقولهم إلى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينية وتختفي العصبيات المذهبية ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعًا وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد:

١ ـ إيمان باللَّه.

٢ ـ عمل صالح في الحياة.

٣ ـ إيمان باليوم الآخر.

◻ أما ما وراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوض إلى ربهم وبذلك يعيشون الحياة تحت ظل السعادة ظليل متحابين متعاونين على عمل ما فيه الخير لكل قبيل»[١].

◻ وإذا ما استنكر أحدهم الترحم على نصراني قال: «إذا كان حكمكم على الكافر صحيحًا فإن النصراني ليس بكافر»[٢].

ولنقف هنا ولنجمع الشتات

القومية الوطنية

التقريب بين الأديان

فصل الدين عن الدولة

أحسبها وجوهًا متعددة لقضية واحدة، وهدفها واحد: إقصاء الدين الحق وقيام قومية وطنية.. لا دينية «علمانية».. تنبذ الدين وتقصيه عن ميدان السياسة وحينئذ يسهل انقيادها لمن خطط لذلك ووقف خلفه من وراء الستار هل ترون الأصابع الخفية؟! إنها الصهيونية العالمية تسعى للقضاء على

(١) «دين اللَّه واحد على ألسنة جميع الرسل» لمحمود أبو رية ص(١٦٨).

(٢) المرجع السابق ص(٢٨).

القومية الدينية.

وصهر الأديان تحت عنوان التقريب بينها وهو تذويب لها وتدمير.

وفصل الدين عن الدولة.

وظفرت في يومنا هذا على حلم كبير من أحلامها فقد صرح زعيم عربي بـ

فصل الدين عن الدولة بمنع الخطباء في المساجد من التعرض لما يجري في السياسة... إلخ.

وسعي ويسعى في بناء.

«مسجد إسلام» و«كنيسة نصرانية» و«معبد يهودي».

في سيناء في سبيل التقريب بين الأديان أليس «خير أوجه الوحدة الوطن» كما يقول الشيخ محمد عبده[1] آخر أخبار هذا المشروع أن هذا الزعيم طلب من ممثلة أفلام الخلاعة والجنس أن تتبرع لبناء هذه المعابد ولو بدولارين.

و ـ في الاجتماع والأسرة:

والحديث هنا متشعب الأطراف متعدد الجوانب وأهم الأطراف وأخطر الجوانب قضية المرأة أليست المرأة هي الأم وهي الأخت وهي البنت وهي الزوجة وهي المربية وهي المعلمة؟! وهي في كل قاعدة تقف عليها أو منصب يجد الرجل والطفل والشاب ما يجذبه إليها ويشده ومن هنا يكون تأثيرها.

إن صلحت أصلحت وإن فسدت أفسدت أليست المرأة الصالحة خير متاع الدنيا؟! إذن فاظفر بذات الدين تربت يداك.

وأحسب أن المرأة جوهرة يجب أن تصان عن أعين اللصوص وغبار

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (٢/ ١٩٤).

الطريق ما الذي ترجوه من امراة خلعت جلبابها وهتكت سترها وتزينت وتبرجت وفتنت واختلطت برجال تأججت غرائزهم وانفلت زمامهم، ما إن يفتح أحدهم مجلة حتى يرى الصورة المثيرة، ويذهب إلى دار السينما فيرى ما هو أشد ويفتح التلفاز والمذياع فيسمع ويرى قصص الحب والغرام وماذا بعد هذا؟!

ينظر إلى زميلته في العمل أو على كرسي المدرسة وقد اكتست من المدنية سربالاً وتزينت بزينتها ولبست لباسها وأصابها ما أصاب الرجل نفسه وخلا لهم المكان والزمان بعد هذا؟!

ما الذي ترجوه من امرأة تسلم أولادها لمربية وتخرج إلى واجهات المتاجر والمعارض وتتخذ وسيلة لإغراء المشترين حيث تحدثهم بأرق حديث وألينه، أو تتجه إلى آلات المصانع ودخان المعامل وتهين نفسها بين العمال والموظفين هذا يغمزها وذاك يلمزها وذاك ينظر إليها بعين النهم؟! أو تنساق وراء مغريات الحضارة والحياة الغربية وتتبع شهواتها ورغباتها والمتعة المحرمة؟ كل هذا ولا شك سبب خطير لوقوعها في الرذيلة، إن لم تختصر الطريق وتجعل الرذيلة مهنتها..

وحينئذ فلا أسرة؟ وتشتت الأسر ضياع للمجتمع، وضياع المجتمع ضياع للأمة؟ إذن فضياع المرأة ميزان لضياع الأمة يرتفع ضياعها بارتفاع ضياع المرأة وينخفض بانخفاضه ويسلم بسلامتها، ولذلك قال رسول اللّه ﷺ: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**[1] ، وفي رواية **«أضر على أمتي»**.

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة، ورواه مسلم في كتاب الرقاق ورواه الترمذي في كتاب الأدب باب: ٣١ ورواه ابن ماجه في «الفتن»: باب فتنة النساء حديث ٤٠٦٢ ورواه أحمد (٥/ ٢٠٠ و ٢١٠).

* وقبل هذا قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤] عدد سبحانه في هذه الآية متاع الحياة الدنيا وجعل في مقدمته النساء قال ابن حجر ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: «وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك»(١).

□ أدرك ذلك المقياس المعز لدين اللَّه لما قيل له: إن نساء قصر الإخشيد قد أغرقن في الترف ورفعن نقاب الحياء والسرف واستهنَّ بالفضيلة وتركن رسالتهن قال في زهو وانتصار: «اليوم فتحت يا مصر»(٢).

□ وأدرك هذا الشاعر العربي حين قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

□ وأدرك هذا أيضًا الاستعمار ومن خلفه الصهيونية العالمية وجندت جنودها لهذا الهدف، ولقد خدمها ولا زال يخدمها في تحقيقه كثير وكثير من الناس منهم من يعلم أنه جند من جنود الاستعمار ومنهم من يعلم أنهم جند من جنود الصهيونية نفسها ومنهم إمعة يخدمهم من حيث لا يدري.

ظهر أول كتاب في مصر يدعو إلى «تحريرها» من النظام الإسلامي سنة ١٨٩٤م عنوانه: «المرأة في الشرق» لمؤلفه مرقص فهمي المحامي وبعده بسنوات خمس أصدر قاسم أمين كتابه الأول «تحرير المرأة» دعا فيه إلى:

١) القضاء على الحجاب الإسلامي المعروف.

٢) إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها.

٣) تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي.

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني (٩/ ١٣٨).

(٢) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطية خميس ص(١٤).

٤) منع الزواج بأكثر من واحدة[١] .

ونحن ندرك صلة الشيخ محمد عبده بهذا الكتاب فهي لا تخفى وسبق الحديث عنها وأقل ما قيل في هذه الصلة أن هذا الكتاب «وضعه ـ قاسم أمين ـ بإيعاز من الأميرة نازلي وبتشجيع من الشيخ محمد عبده»[٢] .

وقد حقق الأستاذ محمد عمارة في «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» أن هذا الكتاب إنما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين. . وأن في هذا الكتاب عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام وحده، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الأستاذ الإمام الكتاب صياغته النهائية بحيث جاء أسلوبه على نمط واحد هو أقرب إلى أسلوب محمد عبده منه إلى أسلوب قاسم أمين»[٣] .

❑ وقد أحدث صدور هذا الكتاب ضجة في المجتمع المصري دونها الضجة التي أحدثها علي عبدالرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» أو طه حسين في «في الشعر الجاهلي» أو محمد أحمد خلف اللَّه في «الفن القصصي في القرآن الكريم». ذلك أن هذه الكتب إنما يعنى بها رجال السياسة والأدب وعلوم القرآن وإن شئت فقل الطبقة المثقفة.

أما «تحرير المرأة» فيمس كل الطبقات لارتباطه بحياة كل أسرة وتناوله المباشر لأحد أركانها ولهذا كان له من الأثر والصدى في المجتمع وردود الفعل ما لم يكن لتلك.

❑ قالوا عن الكتاب فيما قالوا: «إننا نظن أن يكون ظهور هذا الكتاب

---

(١) المرجع السابق ص(٧٣ ـ ٧٤).

(٢) المرجع السابق ص(٧٤).

(٣) «الأعمال الكاملة» للإمام محمد عبده: جمع وتحقيق محمد عمارة (١/ ٢٥٢).

مصدر تغير عظيم في أفكار الأمة ينشأ عنه فيما بعد تغير أعظم في أخلاقها..»[١] .

لذلك فلا عجب أن يقوم ضد هذا الاتجاه الفكري طائفة من الناس كبيرة إما لغرض ديني محض، وإما تقربًا للمجتمع المصري الرافض لهذا الاتجاه وهو الجانب الأكبر.

وقف فيمن وقف ضد هذا الإتجاه الحزب الوطني[٢] الذي شجب هذا الاتجاه في أول اجتماع عقده بعد صدور الكتاب في ٥ شعبان ١٣١٧هـ ١٨ سبتمبر ١٨٩٩م وفتح صدر صحيفته اللواء لكل طاعن في قاسم أمين وأفكاره[٣] .

وحينما توفي قاسم أمين سنة ١٩٠٨م وأقام له شيعته حفلة تأبين أشادوا فيها بدعوته إلى السفور قابل رجال الحزب الوطني هذه الحركة بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب[٤] .

وفي مقابلة هذا كان «حزب الأمة» من المناصرين لقاسم أمين وأفكاره على صفحات «الجريدة» وكان لطفي السيد باشا في مقدمة المروجين لها بمقالاته العديدة[٥] .

وكان لا بد من تدخل الاستعمار الذي استغل فترة الحرب العالمية الأولى فاعتقل رجال الحزب الوطني وأوعز إلى أنصار الدعوة النسائية بإصدار مجلتهم «السفور»[٥] وحتى هذا الوقت كانت النساء الداعيات إلى السفور

(١) المرجع السابق (١/ ٢٤٥).

(٢) هذا حزب وطني جديد ليس هو الذي شارك محمد عبده في صياغة دستوره وسبق الحديث عنه.

(٣) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطية خميس ص(٧٥ ـ ٧٦).

(٤) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطية خميس ص(٧٨).

(٥) المرجع السابق ص(٨٠ ـ ٨١).

يخرجن في مظاهرات وهن متحجبات ومنهن هدى شعراوي وصفية زغلول حرم سعد زغلول أحد تلاميذ الأستاذ الإمام.

وفي عام ١٩٢٢م تلقت هدى شعراوي[1] دعوة من الاتحاد النسائي الدولي بروما وعند عودتها ورسو الباخرة في الميناء المصري ألقت حجابها في ماء البحر.. ثم كونت الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣م ووضعت حجر الأساس له في إبريل ١٩٢٤م.

ودعا الاتحاد النسائي إلى تطبيق المبادئ التي نادى بها مرقص فهمي وقاسم أمين وفي مقدمتها تعديل قوانين الطلاق ومنع تعدد الزوجات علاوة على المطالبة للمرأة بالحقوق الاجتماعية والسياسية المزعومة[2] وبعد عشرين عامًا من إنشائه أي سنة ١٩٤٤م استطاع الاتحاد النسائي أن يمهد لعقد المؤتمر النسائي العربي وجاءت قراراته بالدعوة إلى تطبيق ذلك؟!.

❑ هل تريدون أن أذكر شيئًا من صلة الصهيونية العالمية بذلك؟ إذن فاعلموا أن حرم الرئيس الأمريكي روزفلت أبرقت إلى المؤتمر بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٤٤م أشادت فيها بالاتحادات النسائية في البلاد العربية وقالت فيها: إنها «واثقة» من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب شقيقاتهن في بلدان العالم أملاً في نشر التفاهم والسلم العالمي في المستقبل «ولسنا في حاجة إلى أن نذكر الجهد الكبير الذي بذلته مسز روزفلت في تكوين الوطن القومي لليهود في فلسطين..»[3].

---

(١) هدى شعراوي ابنة (محمد باشا سلطان) الذي رافق جيش الاحتلال في زحفه على القاهرة ودعا الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته، وأهاب بها إلى تقديم كافة المساعدات المطلوبة له، وسجل له التاريخ صفحة خالدة حينما تقدم مع فريق من الخبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكرًا لهم على إنقاذ البلاد؟! وخدمة لأهداف الاستعمار فجاءت البنت تواصل أعمال والدها.

(٢) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» لمحمد عطية خميس ص(٨٢ ـ ٨٣).

(٣) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» مجمع محمد عطيه خميس ص(٨٥).

☐ وعقب هذا المؤتمر تكون «الحزب النسائي» سنة ١٩٤٥م وفي عام ١٩٤٩م تكون حزب بنت النيل وزعيمته درية شفيق وأصدر العديد من المجلات بالعربية والفرنسية للكبار والصغار.

وأول سؤال يتبادر إلى الذهن هو السؤال عن إيرادات هذا الحزب المالية وقدرته علي إصدار هذه المجلات؟ والجواب كما نشرت الصحف بعد ذلك أنه من سفارتي بريطانيا وأمريكا؟!!!.

☐ ولقد لقي هذا الحزب الترحيب من الاستعمار بكافة دوله، وزيرة الشئون الاجتماعية في إنجلترا تقوم بزيارته ورئيسة الاتحاد الدولي تبرق إلى رئيسة الحزب تدعوها للزيارة في أثينا. وجمعية سان جيمس النسائية بانجلترا تهنئ الهيئات النسائية المصرية علي كفاحها وتعلن تأييدها لها، ورئيسة لجنة الحقوق الاقتصادية بالاتحاد الدولي تقوم بزيارة إلى مصر لغرض الاطمئنان على أحوال الجمعيات النسائية في مصر[١].

☐ اهتمام عجيب ما عهدناه منهم فيما فيه صلاحنا وصلاح ديننا ولكنهم يدركون أنهم بذلك إنما يسعون لخدمة مصالحهم الصهيونية؟! نعم الصهيونية ذاتها!! أتريدون شاهداً على ذلك! لقد دعا المؤتمر النسائي الدولي إلى اجتماع في ستوكهلم عاصمة السويد ومن قراراته قرار يقضي بمطالبة وزير الداخلية في السويد بإنزال أشد العقوبات على مسيو أنيراير؟ أتدرون لماذا؟!! لمواصلته أعمال الدعاية ضد الصهيونية في السويد!! وقد كتب مسيو أنيراير على إثر ذلك إلى الجمعية العربية والحكومة المصرية يستنكر موقف مندوبات الهيئات النسائية المصرية الممثلة في المؤتمر لموافقتهن على هذا القرار[٢] !!.

(١) المرجع السابق ص(٨٦ ـ ٩٣).
(٢) «الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار» جمع محمد عطية خميس ص(٩٤).

وبهذا وغيره كثير تبدو لنا صلة الحركات النسائية بالاستعمار ومن خلفه الصهيونية العالمية»[١] .

❑ هذه قصة الصلة بين الاستعمار والاتحادات النسائية، والصلة بين الحركات النسائية ودعوة محمد عبده وتلميذه قاسم أمين وهي صلة قوية واضحة.

* موقف علماء المسلمين منهم:

❑ يقول الدكتور فهد الرومي:

وأسمح لنفسي هنا أن أستبق الأحداث وأجيب هنا على سؤال هام قد يخطر على ذهن من يقرأ ما سأكتب هنا.

سيقول قائل: تحيّزك هنا بيّن وإجحافك بحقهم واضح وظلمك لهم ظاهر! كان الواجب إذا أردت تقييم أولئك الرجال أن تذكر أقوال أنصارهم وخصومهم، أن تذكر أقوال المدح والثناء عليهم والإعجاب بهم والإطراء لهم، وتذكر في مقابل ذلك عبارات التجريح والذم لهم والتحذير منهم، أما أن تعمد إلى أقوال الخصوم وتدع أقوال الأنصار فليس هذا من الإنصاف في شيء؟

أقول لهذا رويدك.. لقد قلت بعض الحق لو كان قصدي من سياق الأقوال هو تقييم رجال المدرسة العقلية بها، والحق أن هذا ليس كل قصدي.

ذلكم أن تقييمهم لا يكون بعرض أقوال الناس فيهم وإنما يكون بعرض أقوالهم أنفسهم على الكتاب والسنة وبمقدار موافقتهم لهما تكون سلامتهم والعكس بالعكس وهو ما فعلناه في كثير من القضايا التي بحثناها.

---

(١) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» ص(٧٥٩: ٧٧١).

❑ أما مرادنا هنا من عرض أقوال (من سميتهم خصومًا)[١] فهو أن نبين للقراء أنه كان بين علماء المسلمين من لم ينخدع بهم ويعميه الإعجاب بهم عن كشف مثالبهم وتجاوزهم وأخطائهم، وأنه كان بين العلماء من أدرك ذلك في حينه وأخذ على عاتقه كشفه وبيانه للناس، ولكنهم كانوا قلة في العدد والعدة ولم تكن هناك دولة تساندهم ولم يكن هناك استعمار والمستعمرون للناس عامة بصورة المصلحين الساعين إلى ما فيه خيرهم وخير بلادهم ولا تزال هذه الصورة لهم إلى ساعتنا هذه هي الطاغية على الحقيقة حتى عند العلماء منهم، وحتى أن الأستاذ أنور الجندي يقول عن أحد الناقدين لهم: «وهكذا يمضي الدكتور محمد حسين في إثارة الشبهات حول حقيقة جمال الدين ومواقفه مخالفًا كل ما ذهب الناس إليه من الثقة به واعتباره رائد النهضة وموقظ الشرق»[٢] .

❑ إذن فلا يحتاج هذا إلى بيان أقوال المؤيدين لهم والمناصرين لأفكارهم ومبادئهم، وإنما يحتاج الأمر إلى بيان: من رفض أقوالهم، وكشف للناس حقيقتهم وسيرتهم وهذا ما سنفعل إن شاء اللّه فنبدأ:

أ ـ المعاصرين لهم:

* الشيخ محمد الجنبيهي مؤلف كتاب «بلايابوزا» والشيخ يوسف النبهاني يتصديان لمحمد عبده وشيخه الأفغاني:

ونبدأ ذلك بأقوال الشيخ محمد الجنبيهي صاحب كتاب «بلايا بوزا»

(١) الحقيقة أنهم ليسوا كلهم خصومًا بل فيهم من هو معجب بهم في بعض الجوانب لكن إعجابه هذا لم يمنعه من قول الحقيقة في جوانب أخرى وحتى الخصوم الذين ننقل عنهم هنا لم يخاصموهم فيما نعلم لأمر دنيوي أو حقد أو حسد وإنما لأمر ديني وغيرة منهم على الإسلام، ولا يعدّ هذا تجريحًا أو طعنًا في نقدهم.

(٢) «مفكرون وأدباء» لأنور الجندي ص(٢٦٢).

الذي وضعه ردًا على طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي» ويرمز الشيخ الجنبيهي بـ «بوزا» لطه حسين وهو اصطلاح فرنساوي وهي قطعة من الخشب وزنها خفيف.. على هيئة قبل الرجال ولقد ركبت تلك القطعة على مقعر من رصاص ثقيل.. فتراها كلما ألقيت فوق الأرض كانت قائمة وقد ضربها عقلاء الأقدمين مثلاً لكل ضال حائر مغرور ذي لسانة وسفه فقد مزايا الأدباء وشذ عن مناهج الفضلاء متلبسًا بعناد وإصرار شيطاني من حيث لا يشعر بما يقول ولا بما يعمل فلا تتوجه به أمياله إلا إلى مخالفة الفضلاء ومعارضة الأدباء بما لا يعلم عاقبته ولا يستطيع أن يقيم على صحته دليلاً»[1].

وحينما يتحدث الشيخ عن الأفغاني ومحمد عبده، فإنه لا يتحدث حديث التخرص والظنون وإنما حديث من خالطهم وعاشرهم، فهو حديث خبير بهم حيث يقول: «إني نشأت بعد بلوغ الرشد وطلب العلم في الأزهر الشريف مصاحبًا تلميذ جمال الدين الأفغاني ومحاذيًا له قدمًا بقدم بعدما أتى جمال الدين الديار المصرية، وكثيرًا ما جالست ذلك الرجل وتذاكرت معه مذكرات ذكرتها في بعض الكتاب وما كان يدعوني إلى مجالسته إلا صاحبي الذي كان يظن أن يجذبني إلى الميل إلى ما مال إليه من فتنة ذلك الفاتن وكنت أطمع أن أكون سببًا في خلاصه من تلك الفتنة (ولكن اللَّه غالب على أمره)[2]».

إذن فحديثه حديث المخالط المعاشر فلنذكر حديثًا له مع جمال الدين الأفغاني، كان محور الحديث بينهما ما يروى من الحديث القدسي «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني»[3] قال الجنبيهي: «ولقد

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي ص(٢٨ ـ ٢٩).

(٢) «بلايا بوزا) لمحمد الجنبيهي ص(٣٨).

(٣) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: «قال ابن تيمية: أنه ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي وشيخنا» «المقاصد الحسنة» ص(٣٢٧).

كان لي في هذا الحديث القدسي مع جمال الدين الأفغاني واقعة كانت سببًا لعدم اتصالي به مع شديد رغبته ورغبة تلميذه الذي أشرنا إليه من قبل، وتلك الواقعة هي أني سألته عن هذا الحديث لعلمي أنه ينكر الأحاديث القدسية؛ لأنه طبيعي لا يعترف بوجود إله، وكنا في مجمع من الناس فقال: ليس هذا وقت الكلام على هذا الحديث فأملهني لوقت آخر «إلى أن قال: أنه وجده في مجالس اللاهين في قهوة من القهاوي فقال له: «هذا وقت الكلام على ذلك الحديث الشريف» فما كان جوابه إلا أن قال: ذهب فيلسوف إلى المنتزه في يوم العيد فوجد الناس على حال مضحك: منهم من هو مخمور ومنهم من هو لاعب ومنهم من هو مرافق لامرأة من المومسات ومنهم من هو راقص ومنهم من هو متبلس بما لا يرتضيه أبناء البشر فنظر ذلك الفليسوف إلى السماء قائلاً: «الآن وقعت الحسرة في قلبك أهؤلاء كلهم عرفوك»، فعند ذلك تغير حالي وعلمت أن الرجل ضال فقلت له: أن هذا الفيلسوف لأحمق ومجنون. قال: ولم ذلك قلت: لأن من جهل ربه في الدنيا يعرفه فيما بعد الموت ومن جهله في الرخاء يعرفه عند الشدة فما ذلك الفيلسوف إلا ضائع العقل والدين ثم تركت الرجل محزونًا؛ لأن فتنته لم تؤثر في قلبي أثرًا كان يريده وكان ذلك الموقف آخر عهدي به»[1].

ويتحدث الجنبيهي عن المقادير التي جمعت بين دول الاستعمار وأنهم «ألهموا أن المتمسكين بآداب الدين القويم لن يغلبوا ما داموا متمسكين به سواء كثروا أو قلوا لأن المتمسك بدينه مرتكن على قوي متين لا يغلب ولا يقاوم فلذلك أجمعوا رأيهم على أن يعتمدوا على العلماء السياسيين منهم في حل روابط ذلك التماسك فقرر أولئك السياسيون فيما بينهم أن روابط الدين القوية لا تنحل إلا بثلاثة أمور: استبدال العلم النافع الذي كان يسأل رسول

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي ص(١١٨ ـ ١١٩).

اللَّه ربه أن يزيده منه بالعلم الذي كان يستعيذ بربه منه، والأمر الثاني تولية المناصب لغير أهلها.. والأمر الثالث إيجاد أسباب قوية توقد نيران العداوة والبغضاء والتشاجر بين المسلمين حتى لا يتمسكوا بدينهم ولا يتفقوا على عمل مرضٍ» إلى أن قال: «وبمقتضى هذه الفكرة السياسية بعث جمال الدين الأفغاني إلى الديار المصرية لتنفيذ مفهوم تلك الفكرة»[١].

ويتحدث عن علماء الأزهر آنذاك بأنهم أيقنوا أنه أي الأفغاني ـ من رجال الفتنة التي يتيحها اللَّه لأشرار العلماء»[٢].

◻ ويتحدث عن محمد عبده ويسميه (ابن عبده الغرابلي)؛ لأن أهله كما يقول الدكتور محمد محمد حسين من الفقراء الذين يمتهنون صناعات صغيرة منها صناعة الغرابيل[٣]، قال الجنبيهي عن محمد عبده: «أن الأسباب التي جعلت ابن عبده الغرابلي محبوبًا لفحول السياسيين ولولاة الأمور من الدول المتحالفة على محو الإسلام اسمًا ورسمًا وصيرته محمودًا عند محرري الجرائد الأورباوية تتمدح باسمه وتعتني بعمل تذكارله هي بعينها الأسباب التي يتناول بها أستاذ الجامعة المصرية ـ يقصد طه حسين ـ مرتبًا كبيرًا بسبب شهادة الدكتوراه التي تناولها من أوربا لسبب عداوته للدين ورجاله حتى يكون إذا أعلوا شأنه فتنة لأبناء المسلمين»[٤].

◻ ويستدل الجنبيهي على سوء اتجاه محمد عبده الفكري بعلاقته باللورد كرومر فيقول: «فهلا فكرت.. في الأسباب التي صعدت بمحمد بن عبده الغرابلي.. وقد اتخذه جناب اللورد كرومر أستاذًا ومرشدًا في الدين وفي

---

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي ص(٤٥ ـ ٤٦).
(٢) المرجع السابق ص(٤٧).
(٣) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٨٧).
(٤) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي ص(٣٥ ـ ٣٦).

السياسة ثم نعاه بعد موته.. فهل كان ابن عبده الغرابلي في عصره من أكابر المرشدين الدينيين وكان ذلك اللورد متعطشًا لأن يسلك سبيل المؤمنين.. فهلا تفكر في الأسباب التي جعلته محبوبًا لرؤساء الدول المتحالفة على محو الإسلام اسمًا ورسمًا وما ذلك إلا لأنه أجهد نفسه في حلّ روابط المدنية الإسلامية السماوية..»[1].

❑ وتحدث عن محمدعبده بعد عودته من المنفى في البلاد الشامية «فلما انقضت مدة النفي ورجع إلى الديار المصرية كانت ثقة اللورد كرومر به أكبر ثقة فسكن في منشية الصدر بعيداً عن عيون الرقباء، وكانت الواسطة بينه وبين اللورد رجلاً إنكليزيًّا يسمى (بلنت) كان يتزيا هو وزوجته بزي عرب البادية.. فلما قويت رابطة التواصل بين ذلك الإنكليزي وبين ابن عبده الغرابلي أعطاه قطعة أرض.. ليكون له جارًا وفي ذلك الحين اتخذه اللورد أستاذًا ومرشدًا يسترشد برأيه في كل عمل يطلبه في تنفيذ الغرض الذي أجمع عليه السياسيون فكان الإصلاح الأزهري الذي ذهب بالدين وعلمه النافع أدراج الرياح من إشارات ذلك المفتون، وكذلك كان إصلاح المحاكم الشرعية، وما أنشئت الجامعة المصرية إلا بإرشاده وكان من تعليماته لذلك اللورد أن لا يتولى المناصب العالية متمسك بدينه وكان بين ذلك التلميذ وبين المبشرين رابطة وداد قوية فكانوا يزورونه في غالب الأحيان للإسترشاد به في مهمات التضليل التي أجمعوا عليها.. وكان من مساعدة اللورد كرومر لشيخه ومرشده أن ولاه مناصب القضاء الأهلي حتى وصل به إلى وظيفة مستشار.. ثم عينه مفتيًا بالديار المصرية ليكون له الحق في التداخل بشئون الأزهر الذي أجمع السياسيون على خرابه فكان كل من أراد أن يلتحق

---

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي ص(١٠).

بالمناصب العالية يتظاهر بازدراء الدين ورجاله ويكون كزب الأرض في ثباته على تمثيل هيئة العناد والإصرار بعدم الإنقياد لأي واعظ كان من النصحاء.. وما زالت تماثيل زب الأرض تتفاقم رزاياها وتنتشر مصائبها من سفهاء الزيغ الذي افتتنوا بذلك الطالب المارق من الدين ظانين أن انتشار صيته في الممالك كان لمهارته في العلم وتمسكه بالحق وليس الأمر كذلك وإنما هي فتنة اتخذها اللورد كرومر طريقًا مسلوكًا لتنفيذ أغراض السياسيين في البطش بالدين الإسلامي والخلافة الإسلامية وضياع العلم الديني وكان أمر اللَّه قدراً مقدوراً»[(١)] .

ونذكر بعد هذا رأي الشيخ يوسف النبهاني وهو مع رأي الجنبيهي كما يقول الدكتور محمد محمد حسين: «يصوران الجانب الآخر لصدى دعوة الأفغاني ومحمد عبده عند المعاصرين وهو الجانب الذي اختفى الآن أو كاد يختفي تحت تأثير الضغوط والحماية التي تساند هذه المدرسة وتحارب خصومها»[(٢)] .

والشيخ النبهاني ـ أيضًا ـ إنما يتحدث، ويقول بعد معاشرة ومخالطة للأفغاني إذن فقوله قول من أدرك الأمور على حقيقتها لا قول متخرص ظان.

يصفهم بادعاء الاجتهاد المطلق وهم «الجاهلون» قال نظمًا:

وكم من قرون قد توالت ولم يجل ... بدعوى اجتهاد مطلق عالم كفراً
فكيف ادعاه الجاهلون بعصرنا ... فما أقبح الدعوى وما أفظع الأمرا[(٣)]

(١) «بلايا بوزا» لمحمد الجنبيهي ص(٥٠ ـ ٥٣) باختصار.
(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٩٤).
(٣) «الرائية الصغرى» ليوسف النبهاني ضمن العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية له ص(٣٥٤).

*ويرى أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]. يرى أنهم هم المرادون بها ويستدل بما نقله السيوطي في الدر المنثور عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه سئل عن هؤلاء القوم فقال: لم يأتوا بعد وذكر ذلك البيضاوي، ثم قال النبهاني: «قلت: لا شك أن المنافقين المذكورين في هذه الآيات السابقة واللاحقة، والخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه وغيره من أئمة الإسلام متصفون بهذه الأوصاف الذميمة إلا أنهم لم يدعوا أنهم مصلحون لدين الإسلام ويلقبوا أنفسهم بهذا اللقب مثل هذه الفرقة الضالة فرقة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده المصري في مطابقة الآية لهذه الفرقة أكثر من مطابقتها للمنافقين والخوارج وإن شملتم جميعًا أحكامها»(١).

□ وقال نظمًا:

فما بالهم لا يصلحون نفوسهم ... أما هي بالإصلاح من غيرها أحرى(٢)

□ وقال:

وكل امرئ لا يستحي في جداله ... من الكذب والتلفيق مهما أتى نكرًا

فمن قال صلوا قال قائلهم له ... يجوز لنا في البيت نجمعها قصرًا(٣)

□ وقال

وأعداؤهم من بيننا كل عالم ... ولا سيما إن كان في فقهه بحرًا

□ وقال:

فإياك أن تغتر منهم بفاجر ... وإن أنت قد شاهدت من فعله الخيرا

---

(١) «الرائية الصغرى» ص(٣٥٦).

(٢) المرجع السابق ص(٣٥٦).

(٣) المرجع السابق ص(٣٦٢).

فذلك شيء جاء ضد طباعهم وقد فعلوا أضعاف أضعافه شرا
وكم أيد الإسلام ربي بفاجر فنهدي له لا الفاجر الحمد والشكرا
أشد من الكفار فينا نكاية وأعظم منها في ديانتنا ضرا
من الكفر ذو الإسلام يأخذ حذره ومن هؤلاء القوم لا يأخذ الحذرا(١)

❑ وقال عن جرائدهم ومجلاتهم:

بها خلطوا بالحق باطل غيهم بها مزجوا الإسلام بالملل الأخرى(١)

❑ وقال عن الأفغاني:

تسمى جمال الدين مع قبح فعله كما وضعوا لفظ المفازة للصحرا(٢)

❑ وقال عن محمد عبده:

فمن جهة يدعى الإمام ويقتدي بأعمال أهل الكفر من جهة أخرى
يذم خيار المسلمين وعندما يرى حاجة للكفر يستحسن الكفرا
لكيما يقال الشيخ حرّ ضميره فيبلغ عند القوم مرتبة كبرى
وما زال مشهوداً على الدين شره وإن زعم العميان أن به خيرا

❑ ويصف عبده ـ بعد عودته إلى مصر من منفاه:

وعاد إلى مصر فأحدث مذهبًا ولوث من أقذاره ذلك القطرا
وأيّد أعداء البلاد بسعيه وأوهم أهل الجهل أن بهم خيرا
يحسن بين الناس قبح فعالهم ومهما أساءوا راح يلتمس العذرا
بمقدار ما خان البلاد وما أتى لأعدائها نصحًا علا عندهم قدرا

❑ وقال:

ونال بجاه القوم في الناس رتبة بها حاز فيمن شاءه النفع والضرا

---

(١) المرجع السابق ص(٣٦٢ ـ ٣٦٣).
(٢) «الرائية الصغرى» ص(٣٥٤).

□ وقال:

فمن رهبة أو رغبة كم سعى له ... طغام من الجهال أكسبهم خسرا

□ وقال عن منهجهم في التفسير:

وقد ضل في القرآن مع عظم نوره ... كما خبطت عشواء في الليلة القمرا

فتفسيره من رأيه ليس خاليًا ... فإما يرى فسقًا وإما يرى كفرا

أحذّر كل الناس من كتب دينه ... وبالرد والأعراض تفسيره أحرى

□ وقال عنه:

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى ... بذلك من بأس وإن كشف السترا

ويأكل معهم كل ما يأكلونه ... ويشربها حمراء إن شاء أو صفرا

ويفتي بحل المسكرات جميعها ... إذا هي بالأسماء خالفت الخمرا

ويأكل مخنوقًا ويفتي بحله ... لئلا يقولوا أنه ارتكب الوزرا

وتحليله لبس البرانيط والربا ... به بعض أهل العلم قد ألحق الكفر

وكم زار باريز ولندره ولم ... يزر مكة يومًا ولا طيبة الغرا

وإن كان يومًا للرياء مصليًّا ... يرى فاعلاً يومًا وتاركها شهرا

□ وقال:

وقد كنت في لبنان يومًا صحبته ... لقرب غروب الشمس من ضحوة كبرى

وصليت فرض الظهر والعصر بعده ... لديه وما صلى هو الظهرا والعصرا

وكان صحيح الجسم لا عذر عنده ... بلى إن ضعف الدين كان له عذرا

□ وقال:

وقبل غروب الشمس صاحبت شيخه ... لقرب العشا أيام جاورت في مصرا

ولم أره أدى فريضة مغرب ... فقاطعت شيخ السوء من أجلها الدهرا

وقال:

ولو لا حديث المصطفى لأسامة ... يقول به هلا شققت له الصدرا

لما صحت الدعوى بإسلام بعضهم ... لدي وما استبعدت عن بعضهم كفرا

وكنت كتبت الكاف والفاء بعدها ... على جبهات القوم كي يعرفوا والرا

كما جاء في الدجال يكتب لفظها ... فيقرأ من يقرأ ومن لم يكن يقرا

فقد أشبهوه في معان كثيرة ... من الدّجل والإلحاد والبدع الأخرى

وما الفرق إلا أنهم في قلوبهم ... عماهم ودجال الورى عينه عورا

مقدمة للجيش عنه تقدموا ... وجند له من قبله مهدوا الأمرا

تقدمْ فيهم نائبًا عنه عبده ... أغوى الذي أغوى وأغرى الذي أغرى[(١)]

وقال عن رشيد رضا ومجلته المنار:

غدا ناشرًا فيه ضلالات شيخه ... كما نشر الزّراع في أرضه البعرا

وقال:

وكم ضل رأيًا من سقامة فهمه ... بأمر صحيح من شريعتنا الغرا

ولو سأل الأشياخ أدرك سره ... ولكنه مع جهله قد حوى كبرا[(٢)]

وقال عن الثلاثة:

ثلاث أثاف تحتها نار فتنة ... ومن فوقها الإلحاد صار لها قدرا

وقد دخلوا حزب المسون بهمة ... بها حل كلّ من محافله الصدرا

ومذهبهم حكم الديانات واحد ... تساوى به الإسلام والملل الأخرى[(٣)]

---

(١) «الرائية الصغرى» ليوسف النبهاني من ص(٣٦٥: ٣٧٤).

(٢) المرجع السابق ص(٣٧٧).

(٣) «الرائية الصغرى» ليوسف النبهاني ص(٣٨٤).

وهذا رجل آخر يكشف حالهم ويعلنها للناس وهو الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقًا يقول: «أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده فخلاصته أنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني كما أنه على ما يقال وسيأتي إيضاحه في هذا الكتاب هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر»(١) .

❑ وقال عن محمد عبده: «فلعله وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفين زعيمي البروتستانت في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر لتأسيس دين حديث للمسلمين وإنما اقتصر تأثير سعيهما على مساعدة الإلحاد بالنهوض والتجديد»(٢) .

❑ وقال عنه أيضًا: «وكان من مضار الشيخ بالإسلام وعلمائه الناشئين بعده أنّ حملة الأقلام بمصر المنحرفين عن الثقافة الإسلامية كما أكبروا الشيخ وآراءه الشاذة التي انتقدتها في هذا الكتاب وأوجدوا من السمعة العلمية السامية ما لا يزال طنينه في أذن الشرق الإسلامي. ولا شك في تأييد القوة الماسونية له كان ذلك حثًا للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما أرادوا بواسطة الشذوذ في الرأي والتزلف إلى الكتاب المتفرنجين بل الإنتماء إلى الماسونية»(٣) .

❑ ولا نريد أن نذكر بعد هذا موقف الشيخ عليش ـ رحمه اللّه تعالى ـ

---

(١) «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين» لمصطفى صبري (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٤٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

الذي كان يلاحقهم في صحن الأزهر بعصاه أو موقف أبي الهدى الصيادي الذي وصف جمال الدين بأنه «مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية»[١] أو اعترافات أتباعه أنفسهم بأن الأفغاني «برز في علم الأديان حتى أفضى به ذلك إلى الإلحاد والقول بقدمية العالم زاعمًا أن الجراثيم الحيوية المنتشرة في الفضاء هي المكونة بترق وتحوير طبيعيين ما نراه من الأجرام التي تشغل الفلك ويتجاذبها الجو أن القول بوجود محرك أولي حكيم وهم نشأ عن ترقي الإنسان في تعظيم المعبود على حسب ترقيه في المعقولات»[٢] أو وصف السلطان عبدالحميد لجمال الدين الأفغاني بأنه رجل الإنجليز، وأنه مهرج[٣] .

ب : من بعدهم :

سبق أن ذكرنا الموقف المشرف للعلماء الذين أتوا من بعدهم ونقدوا، المدرسةالعقلية نقداً لاذعًا ومن هؤلاء الدكتور محمدحسين فقد كشف عن عور المدرسة العقلية الحديثة وانحرافها وقبح ما تدعو إليه.

ـ ومنهم أيضًا الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه القيم «التفسير والمفسرون» وسيد قطب في كتابه «الظلال» والدكتور علي جريشة ومحمد شريف الزيبق والأستاذ غازي التوبة في كتابه الفكر الإسلامي المعاصر.

❑ ولقد استعرض غازي التوبة جملة من أخطاء محمد عبده فعد منها :

دعوته للتقريب بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاقدة على الإسلام والمسلمين وما ذلك إلا لأنه لم يلتزم حد الإسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطا.

❑ واستعرض الأستاذ غازي جملة الاخطاء والانحرافات بعد أن قسمها

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لرشيد رضا (١/ ٩٠).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٣).

(٣) «مذكرات السلطان عبدالحميد» ترجمة محمد حزب عبدالحميد ص(٦٧).

إلى قسمين:

أ) نتائج سياسية: وعد منها:

١ - التعاون مع رياض باشا عميل الإنجليز.

٢ - التعاون مع المحتل الإنجليزي.

٣ - الاصطدام مع عباس الثاني فقد كانت في مصر آنذاك سلطتان سلطة الاحتلال وسلطة الخديوية إحداهما مغتصبه والأخرى شرعية تمثلت الأولى في الثعلب العجوز اللورد كرومر والثانية الخديوي عباس الثاني.

٤ - تبرير وجود المحتل.

٥ - تكوين مدرسة سياسية باسم محمد عبده حيث وجد الاحتلال في محمد عبده وتلاميذه مدرسة سياسية تحقق أغراضه وتنفذ مآربه فرعاها ونماها.

ب) النتائج الفكرية:

كان الاستعمار يشعر بتحول المجتمع المسلم نحو الحضارة الغربية وأخذه منها في كل مجال وتقليده لها في كل أمر ولكنه كان يؤمن - في الوقت نفسه بأن الهوة ستبقى قائمة بين الغرب والمسلمين من جهة ولا يؤمن الانتكاس من جهة ثانية طالما أن الإسلام باق على طبيعته وحقيقته لذلك فقد صب جهوداً كبيرة كي يحوّر ويحوّل الإسلام من الداخل ليعطي السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية من ناحية وتناولها دون التحرج من ناحية أخرى، وقد وجد الاستعمار في محمد عبده ضالته التي تحقق له هدفه ذاك في التحويل والتحوير أو قل التي تبدأ له بالخطوة الأولى في ذاك التحويل والتحوير»[1] .

(١) «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة انظر ص(٤٤ - ٦٥).

□ والدكتور محمد محمد حسين غير مكثر في ميدان الكتابة لكنه رصين الإداء مقتدر في استيفاء جوانب موضوعه ينظر إلى الأمور في عمق كما قال الأستاذ أنور الجندي[١] ، وقد كان لدراسته العميقة في دعوة الأفغاني وتلاميذه نتيجة خطيرة توصل إليها حيث يقول: «الذي يبدو لي هو أن دعوة الأفغاني التي ربي محمد عبده في أحضانها كان لها ـ ككل الدعوات السرية ـ ظاهر وباطن فظاهرها يخاطب الجماهير. وهو يصور ما يريد صاحب الدعوة أن يعرفه جمهور المسلمين مما يعجبهم ويقع من قلوبهم موقع الارتياح والقبول، وباطنها يمثل حقيقتها التي يخفيها أصحابها عن الناس، ولا يكشفون الستر عنها قبل أن تحقق أهدافها بالوصول إلى مركز السلطة ومحمد عبده كان تابعًا لسيده الأفغاني أو خادمًا له كما تعود هو نفسه أن يكتب إليه في بعض رسائله والأفغاني كان يريد أن يعيد الدور نفسه الذي لعبه الإسماعيلية من أصحاب الدعوات الباطنية التي تتستر وراء التشيع»[٢] .

□ وقال عنهما أي الأفغاني ومحمد عبده: «وكانا ـ ككل الثوار من أصحاب الدعوات السرية ـ يعلنان ما يحبه الناس ويستهويهم غير ما يبطنان مما ينكره الناس وما يبلغهم مطامعهم»[٣] .

□هذا الرأي ليس رأي رجل خراص وإنما رأي رجل وقف جزءاً كبيراً من نشاطه لدراسة حقيقتهم وجلاء أهدافهم حتى إذا ما وصل إلى درجة كبيرة من ذلك كشف للمسلمين ما توصل إليه مستنداً إلى حقائق ثابتة من أقوالهم أو أفعالهم التي لا تنكر وقد عرفت عنهم واشتهروا بها، وهو حينما يكشف

---

(١)«مفكرون وأدباء» لأنور الجندي ص(٢٦٤).

(٢)«الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد حسين ص(٨٣).

(٣) مجلة «رسالة الطالب المسلم» لقاء مع الدكتور محمد محمد حسين ص(١٠٠) العدد الأول ١٣٩٧ ـ ١٣٩٨هـ.

هذا لا يكشفه لحقد أو حسد وإنما يكشفه لغرض إسلامي نبيل هو أن لا تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناسٍ يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد حتى أن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وصف أحد الناس إمامًا من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يموجون حين يوصف أصحاب رسول اللَّه ﷺ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤهم المعصومون»[1] .

إذن فنقده نقد عارف مطلع، هدفه الإصلاح، وهذا ما نبحث عنه.

□ ونختم الحديث هنا برأي صنيعة من صنائعهم وأثر من آثارهم هو الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي لكنه مع هذا أبى إلا أن يقول الحق في منهجهم.

أما أنه متأثر بهم معجب فشاهده أنه قال في إهداء كتابه «النظرات»: «إن كان لي في هذا السفر فضيلة يعجب بها الفاضل أو رأي يرضى عنه العاقل، أو ديباجة يثني عليها الأديب فلا يد فيها لأحد من الناس غير هؤلاء الرجال الثلاثة ولي نفسي والدي السيد محمد لطفي ووليّ عقلي أستاذي الشيخ محمد عبده، ووليّ أمري سيدي سعد باشا زغلول أولئك الذين أهدي إليهم كتابي؛ لأنه حسنة من حسناتهم وصنيعة من صنائعهم وأثر من آثار عنايتهم ورعياتهم وأولئك الذين أحسنوا إلي في هذه الحياة إحسانًا لا أزال أذكر أياديهم البيضاء فيه حتى يعتاق نفسي حمامها وعظامي رجامها»[2] إلخ.

ولكن هذا الولاء ولا دخل لنا فيه، ولمحمد عبده ولسعد زغلول وهو

---

(١) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٤٩ ـ ٥٠).

(٢) نقل لي هذا النص شيخنا وأستاذنا عبدالفتاح أبو غده جزاه اللَّه خيرًا عن الطبعة الأولى من كتاب «النظرات» لمصطفى لطفي المنفلوطي سنة ١٣٢٨هـ الصفحة الأولى.

مرادنا لم يمنعه من قول الحق في نقد منهج محمد عبده حيث عرض لذكره في مقالة عنوانها «يوم الحساب» تخيل فيها أنه قد انتقل من العالم الأول إلى العالم الثاني ورأى كأنه بعث بعد الموت، وكأن أبناء آدم مجتمعون في صعيد واحد يحاسبون على أعمالهم فألهم أنه موقف الحشر، وأنه يوم الحساب ثم تخيل حواراً جرى هناك بين محمد عبده وقاسم أمين عاتب فيه الأول الثاني على دعوته إلى السفور، فإذا بقاسم أمين يجيب «أتأذن لي يا مولاي أن أقول لك: إنك قد وقعت في مثل ما وقعت فيه من الخطأ.. وإنك نصحتني بما لم تنصح به نفسك، أنا أردت أن أنصح المرأة فأفسدتها كما تقول، وأنت أردت أن تحيي الإسلام فقتلته، إنك فاجأت جهلة المسلمين بما لا يفهمون من الآراء الدينية الصحيحة والمقاصد العالية الشريفة فأرادوا غير ما أردت وفهموا غير ما فهمت فأصبحوا ملحدين، بعد أن كانوا مخرفين، وأنت تعلم أن ديِّنًا خرافيًّا خير من لا دين.

أوّلت لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى أولوا الملك والشيطان والجنة والنار، وبينت لهم حكم العبادات وأسرارها وسفهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبابها، فتركوها جملة واحدة! وقلت لهم: إن الولي إله باطل والله إله حق فأنكروا الألوهية حقها وباطلها، فتهلل وجه الشيخ وقال له: ما زلت يا قاسم في أخراك مثلك في دنياك لا تضطرب في حجة ولا تنام عن ثأر»[1].

□ حسبك بهذا الاتهام من صنيعة من صنائعهم وأثر من آثار عنايتهم ورعياتهم وخلاصة ما نقلنا من نقد لهم هنا أنهم:

١ ـ غير ملتزمين للشعائر الإسلامية من صلاة أو حج.. إلخ.

---

(١) «النظرات» لمصطفى لطفي المنفلوطي (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

٢ ـ إن تعاونهم مع الاحتلال ودول الاستعمار إما لأنهم عملاء كما يقول بعض النقاد أو سذاجة منهم كما يقول آخرون.

٣ ـ إن لهم دعوة باطنية يظهرون منها ما يخالف حقيقتها وباطنها.

٤ ـ إنهم جاروا مذهب الاعتزال في كثير من مذاهبهم حتى اطلق عليهم أنهم معتزلة العصر الحديث.

٥ ـ إنهم الوسيلة التي اتخذها الاستعمار والمستعمرون لتحويل وتحوير الإسلام من الداخل ليعطي السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية.

٦ ـ إن منهجهم في التفسير ضال ومنحرف.

كل هذا وغيره كثير كشفه الناقدون لهم لكن هذا كله، ولكنهم كلهم لم يكن لهم من الأثر ما يذكر، في التقليل من رواج حسن سيرتهم بين الناس وانخداع العلماء بهم قبل العوام حتى وصلوا إلى درجة لا يجرؤ عالم من العلماء على نقدهم علانية أمام ملأ من الناس في مجتمعهم.

لم يكن السبب في هذا سرًّا لا يعلمه أحد بل علمه وخبره الكثيرون وأعلنوه للناس أيضًا، قالوا: إن السبب أن الاستعمار يقف خلفهم ويؤيدهم ويساند دعوتهم ويحميهم أينما ساروا، ويحمي أفكارهم ومبادئهم في اللحظة التي يحتاجون فيها إلى الحماية ويسعى إلى ترويج آرائهم بين المسلمين وإيصال صوتهم ودعوتهم إلى الناس.

وجنّد الاستعمار جنوده من المستشرقين للثناء عليهم ومدحهم حتى يروج ذلك بين الكتاب المسلمين فينقلوه عنهم نقل الإعجاب والتأييد «والإفتخار» برجلين أو رجال من الشرق نالوا رتبة عالية عند رجال الغرب في المباحث الدينية، وهي رتبة تهفو إلى بلوغها أنظار طلاب الشهرة ولو على حساب الدين فأخذوا ينقلون ويروجون أفكارهم ومبادئهم لا نقل الفاحص

الناقد، وإنما نقل المؤيد المسلم لهم ما يقولون.

❑ وبهذا راجت بين الناس أفكارهم وطغت على أذهانهم مبادؤهم فلا يسمعون صيحة «مخنوق» ضدهم ولا همس هامس في نقدهم، ولا صرخة محذّر بين صيحات المخدوعين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

حتى ألجأوا بعض من يريد قول الحقيقة إلى قولها مشوبة بالثناء عليهم ومدحهم وتمجيدهم تقربًا إلى المخدوعين بهم.

ذلك أثر من آثار الاستعمار، ونتيجة لدراسة نقدية مزعومة من المستشرقين لا ندعي ذلك ادعاء ونثبت هنا ما يقيم أساسه.

*** موقف الاستعمار البريطاني منهم واعترافه بما قدموه له من خدمات:**

سبق أن ذكرنا ما يثبت حماية الاستعمار لهم ودفاعه المستميت عن دعوتهم، ونعيد هنا للمناسبة بعضه ونزيد عليه.

ونبدأ أول ما نبدأ برجل أعلن عداءه للإسلام حيث قال: جئت (إلى مصر) لأمحو ثلاث القرآن والكعبة والأزهر[١].

ترى من الذي عاون هذا الرجل لتحقيق هدفه؟! إنهم ولا شك رجال المدرسة العقلية من حيث يدرون (فيكونوا عملاء) أو من حيث لا يدرون (فيكونوا سذاج).

❑ قال كرومر في تقريره السنوي لعام ١٩٠٥م عن محمد عبده: «كان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى»[٢].

---

(١) «الخنجر المسموم» لأنور الجندي ص(٢٩).

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين ص(٧٨).

❑ وقال أيضًا: «لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد إليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم إذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوروبيين»[1] .

❑ وقال أيضًا: «إن أهميته السياسية ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين، وإنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي»[2] .

وقد امتثل هو ما دعا إليه فمال إليهم وعطف عليهم وقدم لهم كل عون وتشجيع فكانوا له (حلفاء طبيعيون) فوجبت عليهم حمايته.

❑ صرح اللورد كرومر بنفسه: «إن الشيخ محمد عبده يظل مفتيًا في مصر ما ظلت بريطانية العظمى محتلة لها»[3] .

❑ وقال السيد رشيد: «وقد تحقق أن اللورد كرومر قال للخديوي: إن كان تحريك بعض المشايخ ضد المفتي لأجل فصله من الإفتاء فاسمح لي بأن أقول: أنه ما دام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر فإن الشيخ محمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت»[4] .

هذه بعض حمايته في الداخل أما إذا ذهب إلى الخارج كالآستانة مثلاً، فإنه يكتب إلى تلميذه السيد رشيد «إن السلطان لا يستطيع حبسي لو أراده

---

(١) «تاريخ الأستاذ الإمام» لمحمد رشيد رضا (٣/ ٤٢٦).

(٢) Medern Egept: Cromer P. 180

(٣) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ٥٠١).

(٤) المرجع السابق (١/ ٥٦٤).

وهو يعلم عجزه عن ذلك حق العلم ولذلك أسباب لا أحب ذكرها الآن»[١]، ولكن السيد رشيد يذكر السبب في هذا «وهم لا يجهلون أن السفارة البريطانية كانت بالمرصاد؛ لأنها لا تسكت للحكومة الحميدية على ذلك لو أقدمت عليه والسلطان ورجاله لا يجهلون هذا أيضًا»[٢] .

بل إن الاحتلال الإنجليزي كان عاملاً أساسيًا من عوامل عودة محمد عبده من المنفى في الشام إلى مصر وقد صرح اللورد كرومر بهذا في كتابه مصر الحديثة حيث قال: «إن العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني»[٣] .

هذه إشارة تكفي اللبيب في بيان مدى تعاون إمام المدرسة العقلية الحديثة وأستاذها مع الاحتلال ومدى حمايتهم له وهو أمر له معناه.

* ترحيب المستشرقين بالمدرسة ونتائجها:

كان لأفكار المدرسة العقلية صدى كبيرًا في دراسات المستشرقين، والحقيقة أنا لا ندري من أين نبدأ وإلى أين ننتهي بين عبارات الثناء والترحيب بهم من المستشرقين ولعلنا نكتفي ـ أيضًا ـ بالإشارة.

فهذا جب يقول عنهم: «لسوء الحظ ظل قسم كبير من المسلمين المحافظين ولا سيما في الهند لا يخضعون لهذه الحركات الإصلاحية المهدئة وينظرون إلى الحركة التي تزعمتها مدرسة عليكره بالهند ومدرسة محمد عبده بمصر نظرة كلها ريبة وسوء ظن لا تقل عن ريبتهم في الثقافة الأوروبية نفسها»[٤] ، ثم وضح هذا المستشرق الإنجليزي جب دور المدرسة العقلية

---

(١) «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده» جمع محمد عماره (١/١١٧).

(٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» (١/ ٨٦٠).

(٣) «الفكر الإسلامي الحديث» لغازي التوبة ص(٤٥).

(٤) «إلى أين يتجه الإسلام» للمستشرق جب عن مجلة المجتمع العدد ٣٦٤ في ٩ رمضان =

بقوله: «إن في كل البلاد الإسلامية ـ باستثناء شبه جزيرة العرب وأفغانستان وبعض أجزاء من أواسط إفريقيا ـ حركات معينة تختلف قوة واتساعًا ترمي إلي تأويل العقائد الإسلامية وتنقيحها»، ثم قال: «وقد اتجهت مدرسة محمد عبده بكل فروعها وشعبها نحو تحقيق هذا الهدف»، ثم ذكر «أن الأب (بانيرث) المبشر يرى أن حركة الإصلاح الإسلامي ـ على النحو الذي تسير فيه الآن يجب أن تقابل من المسحيية الغربية بالتشجيع»[1] .

ولعله يكفي هنا أن ننقل عن جب رأيه في تلاميذ محمد عبده حيث يقول: «إن تلامذته هم من أولئك الذين تعلموا على الطريقة الأوروبية وذلك من ناحيتين أولاهما إن ما كتبه الشيخ كان بمثابة درع واقية للمصلحين الاجتماعين والسياسيين فإن عظمة اسمه قد ساهمت نشر أخبار لم تكن تنشر من قبل ثم إنه قد أقام جسراً من فوق الهوة السحيقة بين التعليم التقليدي والتعليم العقلي المستورد من أوربا الأمر الذي مهد للطالب المسلم أن يدرس في الجامعات الأوروبية دون خشية من مخالفة معتقده وهكذا انفرجت مصر المسلمة بعد كبت، فقد ساهم الشيخ محمدعبده أكثر من أي شخص آخر في خلق اتجاه أدبي جديد في إطار الروح الإسلامية»[2] .

أما الجاسوس البريطاني الفريد سكاون بلنت فيصف دعوتهم بأنها «الإصلاح الديني الحر» ويصفهم بأنهم «زعماء الإصلاح في الأزهر» ويصف مدرستهم بأنها «تلك المدرسة الواسعة التقية»[3] .

❏ وقال عن الأفغاني: «ومن أغرب ما يروى أن الفضل في نشر هذا

= ٩٧هـ ص(٢٩).

(١) المرجع السابق ص(٦٣) عن «الفكر الإسلامي المعاصر» لغازي التوبة ص(٦١ ـ ٦٢).

(٢) «الاتجاهات الحديثة في الإسلام» ص(٧٠).

(٣) «التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر» الفرد سكاون بلنت ص(٧٦).

الإصلاح الديني الحر بين العلماء في القاهرة لا يعود إلى عربي أو مصري أو عثماني ولكن إلى رجل عبقري غريب يدعى السيد جمال الدين الأفغاني»[١].

□ وقال عن محمد عبده أنه «رجل من أحسن وأحكم الرجال العظام ويجب أن لا يتوهم أحد أني إذ استخدم هذه الألفاظ ألقي القول على عواهنه أو أبالغ مثقال ذرة، ولكني أقولها معتمداً على معرفتي بأخلاقه في ظروف مختلفة وأحوال صعبة فقد عرفته في أول الأمر معلمًا دينيًا ثم قائداً لحركة الإصلاح الاجتماعي.. وأخيراً حين سودته مواهبه العقلية ونصرته من جديد»[٢].

وتحدث عن هدف الأفغاني فقال: «كان همه أن يطلق العقول من الأغلال التي قيدتها طوال الأجيال الماضية»، وأن هذا «يماثل ما حدث من إحياء المسيحية بأوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر»[٣].

وهذا جولد زيهر يبين قصد مدرسة المنار بأنه «تحقيق قدرة الإسلام على الحياة بين تيارات العصر الحديث عن طريق إصلاح الأحوال المغلولة بقيود المذاهب الجامدة»[٤] واعتبر السيد جمال الدين الأفغاني المحرك الأول لهذا الاتجاه[٤].

وحسبي أن أقف هنا في بيان الصراع بين المحذرين منهم وبين الاستعمار والمستشرقين، ولا يزال ـ حتى ساعتنا هذه ـ صوت الاستعمار هو الأكثر رسوخًا في أذهان الناس[٥].

---

(١)المرجع السابق ص(٧٧).
(٢)المرجع السابق ص(٨٠).
(٣)المرجع السابق ص(٧٨).
(٤)«مذاهب التفسير الإسلامي» لجولد زيهر ص(٣٤٧ ـ ٣٤٨).
(٥)«منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» ص(٧٩٩ ـ ٨٠٨).

* من رفض هذه الحجج وردّها ندعوه إلى المباهلة:

بعدما أطلنا النفس في عوار هذه المدرسة وكيف أن رجالها كانوا وراء كل مصيبة ألّمتْ بأمتنا في واقعنا المعاصر.. فمن لم يقبل هذه الحجج لانحراف الناس عن سواء السبيل، ويقول عن هذه المدرسة: إنها المدرسة الإصلاحية المستنيرة، وإن إمامها نعم الإمام، وأنه سعى لنصرة دين اللَّه حتى لا تقضي عليه عمائم الأزهر أو: «الإسطبل» كما كان يسميه، وكثيراً ما كان يقول:

ولكن دينًا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائمُ

فمن نعت القوم بأنهم أئمة هذا الدين وأن طريقهم خير طريق وهو الأوحد المستقيم فإنا ندعوه للمباهلة.

☐ قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٦٩٧): «في قصة أهل نجران.. وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرّ بعد ظهور الحجّة، وقد دعا ابن العباس إلى ذلك ثم الأوزاعي ووقع ذلك لجماعة من العلماء.

ومما عُرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة ووقع ذلك لي مع شخص كان يتعصّب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها شهرين».

☐ يقول الحافظ ابن حجر: «جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كثيرة في أمر ابن عربي، حتى تبرأت من ابن عربي بسوء مقالته - وهذا هو الملحد الذي يقصده ابن حجر - فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره، وهددني بالشكوى إلى السلطان بمصر بأمر غير الذي تنازعنا فيه يتعب خاطري، فقلت له: ما للسلطان في هذا دخل، إلا تعال نتباهل وقلت: ما تباهل اثنان فكان أحدهما كاذبًا إلا وأصيب، فقال لي: باسم اللَّه قال: فقلت له: قل اللَّهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك،

فقال ذلك. فقلت أنا: اللّهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك وافترقنا.

قال: وكان سكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الهند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم وخرج في أول الليل مصممًا على عدم المبيت، فخرجوا يشيعونه إلى الشختور، فلما رجع أحس على شيء مر على رجله فقال لأصحابه: مر على رجلي شيء ناعم فانظروا فنظروا فلم يروا شيئًا، وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي وما أصبح إلا ميتًا، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وسبعين، وكانت هذه المباهلة في رمضان منها، وعند وقوع المباهلة عرفت أن السنة ما تمضي عليه، وكانت بمحضر من جماعته»[1] .

* وأخيراً:

نقول لكل معاند ومخالف:

أنت القتيـــــل بكـــل من أحببتـــهُ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى

* * *

(١) «غاية الأماني» (٢/ ٣٧٤).

* الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ يدافع عن أهل الحديث ويرد على الشيخ محمد العزالي:

الشيخ محمد الغزالي رمز كبير من رموز الدعوة بمصر، وله قلم سيّال في الرد على العلمانيين والمستشرقين وهو فارس لا يُشق له غبار في هذا الميدان. وهو وإن كان حبيبًا إلى النفوس إلا أن الحق أحب إلينا منه، وقد كبا به جواده حينما يتكلم عن أهل الحديث، أو يطعن ويرد بعض الأحاديث التي وجدت في «الصحيحين» فانبرى للرد عليه عالم من البيت المبارك بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب شيخ الإسلام، وهو فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ فجزاه اللَّه عن المسلمين خير الجزاء فيقول في رده على كتاب الشيخ محمد الغزالي «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»:

«وهذا الكتاب الذي طلبت الكشف عنه طار به أهل الفتن وأعداء السنن، لجريانه مع أهل الأهواء في أهوائهم، وقد ضرّم ناره، وأشعل الفتيل في زناده «خضراء الدِّمَن»[1] ، وما أدراك ما خضراء الدمن، وسوء منبتها، فنشرت منه وانتقت، فدخلت فتنته إلى بيوت لم تعرف الكتاب ولا كاتبه؛ لأنه يخدم مصالح معلومة في بث الخلاف، وتفريق العلماء، وانتقاد الدعاة، وتطوير قلوب أبطأ تطويرها.

لكن هذا حريق ضُرِّمت ناره، وحريق الأقلام قد يُطفئه سيل المداد من ذوي السداد.

□ ألم تر - أيها الفاضل المودود - كم أقرّ الكاتب عين الرافضة والعلمانيين حين اجترأ على الفاروق المحدث رضي الله عنه فخطّأه فيما رواه إذ خالف ما يراه ويهواه، فقال ص(١٧): «إن الخطأ غير مُستبعد على راو، ولو كان

(١) يعني بها «جريدة الشرق الأوسط».

في جلالة عمر»!.

ثم ألم تر كيف عطف وكرّ على خبّاب بن الأرت الذي أسلم سادس ستة، وروّحت روحه في جنة الخلد قبل مجئ الغزالي بثلاثة عشر قرنًا[1]، فطعن في علمه إذ ساق ما رواه البخاري ومسلم عن خباب: «إن المسلم يُؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب»، فقال الغزالي ص(٨٧) متطاولاً: «كلام خباب ﷺ عليه مسحة تشاؤم غلبت عليه لمرضه الذي اكتوى منه».

□ ثم ألم تر ـ أيها الأخ ـ قوله عن سلمان الفارسي ﷺ ص(١١٦) إثر سياق حديث له، قال: «حديث سلمان ليس إلا تعبيراً عن حالة نفسية خاصة» انتهى.

□ فقل لي أيها الموفق، أفيعز على ذي هوى أن يردّ الحجج والدلائل بمثل ما ردّ به الغزالي: عمر مخطئ فيما رواه عن رسول اللَّه ﷺ، وخبّاب متشائم، وسلمانُ ذو حالة نفسية خاصة.

□ ثم قف ـ أيها الودود ـ على قوله ص(١٢٨): «إن من قال بقطع الصلاة بالثلاثة المذكورين في حديث أبي ذر وغيره هم القاصرون من أهل الحديث».

أتدري من الذين قالوا بقطع الصلاة بالثلاثة المذكورة؟ إنهم جمع خِيرة؛ منهم: أنس، وأبو ذر، وأبو هريرة ﷺ، وابن عباس في رواية، والحسن البصري، وأبو الأحوص، وأحمد في رواية وغيرهم.

ثم سل أطفال المسلمين عمن ذكرت لك أسماءهم من الأئمة الأعلام: أقاصرون هم؟ فإن أجابوك بأنهم كَمَلة مُنتخبون فستقاسمني القول بأن الغزالي

---

(١) لا نشهد لمعيّن أنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا بما شهد له الشارع.

عَظُم رَغَبُه في إطاحة من يُخالفه، بألفاظ نابيات، وتحريرات واهيات، شأن أهل الهوى، ومن قال ما شاء لقِي ما لم يشأ.

* أيها الصاحب:

قرأت وقرأت الكتاب، فألفيته غنيًا فقيراً: غنيًّا من القصص والسخريات، فقيراً من عالي الكلام والاختيارات، نصب الكاتب فيه نفسه قاضيًا وحكمًا، وبيْن من؟ بين أهل الفقه وأهل الحديث في فهمهم للسنّة، فدلَّ بذلك على ضيق أفقه، وضعف فقهه، إذ أهل الفقه المتقدمون جلّهم محدثون، وأهل الحديث السالفون جلّهم فقهاء.

واعتبر ذلك بمالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، والليث والثوري، ونحوهم.. أليسوا أمراء المؤمنين في الحديث؟ ثم أليسوا فقهاء الأمة؟»[1].

□ وردّ على الغزالي قوله ص(١٩):

«أهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهذه سوأة فكرية وخُلُقية، رفضها الفقهاء المحققون»!

□ قال الشيخ صالح: «وهذا تعالم، بل كذب، فمن أولئك الفقهاء المحققون الذين رفضوا هذا؟ لم يصح خلاف لأحد؛ إلا أن يعني الغزالي نفسه! وهو الأظهر فالأمة مجمعة على هذا في النفس، وليس هذا من قول أهل الحديث وحدهم، قال: الشافعي في «الأم»:

«لم أعلم مخالفًا من أهل العلم قديمًا ولا حديثًا في أن دية المرأة نصف دية الرجل».

(١) المعيار لعلم الغزالي في كتابه «السنة النبوية» للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص(٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣).

ونقل الإجماع وأثبته: ابن المنذر، وابن حزم، وابن عبدالبر، وابن رشد والقرطبي، وجمع، والعلماء تواتر عندهم نقل هذا الإجماع.

فإذا انكشف لك هذا فاعلم ـ علمت الخير ـ أن قوله: «هذه سوأة فكرية وخلُقية» اتهام لأمة الإسلام، ولشريعة الإسلام، وشهادة على الصحابة والتابعين والعلماء بعدهم أجمعين بأن إجماعهم وفقههم سوأة في الفكر، بل وفي الخُلُق، فالفكر فكر سوء، والخُلُق مذموم هابط!

هذا مكان هذه الأمة ـ وإجماع علمائها ـ في قلب هذا الرجل.

وتذكر هنا قوله ص(١٦٠) آخر كتابه، وكأنما يشهد على نفسه: «إن الذين يخطئون في الفهم، ويجورون علي في حكم لا ينبغي أن يُسقطوا عوجهم الفكري على دين اللَّه» انتهى»[١].

□ وعن قول الشيخ الغزالي في المعازف والموسيقى[٢] ص(٦٣): «التطرف في التحريم نزعة غير إسلامية».

□ قال الشيخ صالح: «لا يبعد عن خاطرك أن الأئمة الأربعة وفقهاء الملّة أفتوا بتحريم المعازف، ولم يُخالف إلا الظاهرية، وبعض أفراد شذّوا ممن قبلهم، ولهذا فإن تهويله وتقريره لما يريد بعنوان مثل هذا، يُفهم أنه متهم للأئمة بأنهم حرّموا حلالاً، نازعين إلى غير الإسلام، فلم يتّبعوا الإسلام، وإنما نزعوا إلى غيره من تقاليد وأديان.

وكلامه في المعازف والغناء كلام من ركب الثقافة، فسعى إلى تقرير ما يريد، بعيداً عن القواعد العلمية، والبينات الشرعية»[٣].

---

(١) «المعيار» ص(٤٦ ـ ٤٧).

(٢) قال الشيخ في غير هذا الموضع «من لم يستمع الغناء فهو جلف الطباع»!.

(٣) «المعيار» ص(٥٨، ٥٩).

❑ وعن تنقّص الغزالي وسخريته من علماء الأمة قال الشيخ صالح: «هذه - أيها الأخ - خلّة من تمكنتْ منه أصابته المقاتل، ولحوم العلماء مسمومة، وتنقّص العلماء من شيم السفهاء، وكِلام الكَلام كجراح السهام، أفلم تشعر بطعن ينفذ إلى حشاك كلما تنقّص الغزالي إمامًا أو عالمًا؟».

قد سمعت مقاله قبل في عمر وخباب وسلمان والقاصرين - عنده - من أهل الحديث - فاسمع تنقصه من نافع أول سلسلة الذهب عن ابن عمر:

قال ص(١٠٣) بعد سياق حديث وأثر: «ونافع - غفر اللَّه له - مخطئ.. ورواية نافع هذه ليست أول خطأ يتورّط فيه، بل قد حدّث بأسوأ من ذلك»، ثم وصفه ص(١٠٥) بأنه: «راو تائه». فاسمع هذا، ثم تذكّر قول الإمام مالك: «كنت إذا سمعتُ نافعًا يُحدّث عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمعه من غيره».

لكن لا يعزُبُ عن لب مثلك - أيها الأخ - أن ذنب نافع هو روايته ما يخالفِ تفقّه الغزالي، وذلك ذنب يهوي بصاحبه!

وعِش تر، وتذكّر قول ساكن المعرّة:

وقال السُّها للشمس أنت خفيّة ... وقال الدجى للصبح لونُكَ حائِلُ
وطاولت الأرضُ السماء سفاهة ... وفاخرتِ الشُّهبَ الحصى والجنادلُ

ولعلّك - أيها الصاحب الموفق - اطلعت على نفيه صفة للَّه تعالى يثبتها أهل السنة[1]، وردّه حديث البخاري - رحمه اللَّه -، ثم قوله ص(١٢٧): «بعض المرضى بالتجسيم هو الذي يُشيع هذه المرويات، إن المسلم الحق ليستْحي أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار» انتهى.

فالبخاري ومن حذا حذوه فيهم خصلتان: مرضى بالتجسيم، وليسوا

---

(١) يعني الشيخ بها صفة الساق الواردة في قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾.

من المسلمين حقًّا!

ولا يقول ذلك إلا أشعري مجازف.

◻ ولا تعجب ـ إذن ـ من قوله ص(١١٤) عن الحافظ المنذري: «إنه ليس لديه فقه صحيح».

ولا تعجب ـ إذن ـ من قوله عن كلام لابن خزيمة، وغيره من المتقدمين، والمازري، والقاضي عياض، لما وجّهوا حديث فقء موسى عين ملك الموت توجيها صحيحًا عليه المعتمد والترجيح، قال ص(٢٩) عن مقالهم السديد: «نقول نحن (!!) هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يُساغ» انتهى.

◻ هذه حُجج السُّوقة والهمل: دفع بالألفاظ المبتذلة الشوهاء في أوجه العلماء الفقهاء.

واسمعه حين قال ص(١١٨): «من زعم أن السنة تنسخ القرآن فهو مغرور» انتهى.

وهؤلاء الذين قالوا بالنسخ جمع من العلماء منهم: حسان بن عطية، وأحمد في رواية، وابن حزم، وجمع من الظاهرية؛ قالوا بوقوع النسخ مطلقًا، وذهب آخرون إلى وقوعه في زمن النبي ﷺ؛ منهم: القاضي في «التقريب»، والغزالي، والباجي، والقرطبي.. وغيرهم.

أفأولئك مغرورون؟

ومن استهزأ وسخر من العلماء السابقين فلا تستكثر منه مقالاً، أو تستغرب منه فعالاً، لأن لحومهم ـ كما أسلفت مسمومة»[1].

◻ يقول الشيخ صالح آل الشيخ في نقده للغزالي: «وقد بلغ هذا الرادُّ

(١) «المعيار» ص(١٥ ـ ١٩) مختصراً.

للسنن أطوريه حين اتهم الأمة وعلماءها تهمة ما تجاسر عليها مستشرق أو حاقد، فقال قالة سوء ص(٤٦) فأصغ لها، قال: «إنني أشعر أن أحكامًا قرآنية ثابتة أُهملت كل الإهمال، لأنها تتصل بمصلحة المرأة»!.

واسمع قوله ص(٣٣) عمن ذهب إلى إجبار البكر على الزواج بمن رضيه لها والدها، قال: «ولا نرى (!!) وجهة النظر هذه إلا انسياقًا مع تقاليد إهانة المرأة وتحقير شخصيتها» انتهى.

فالذين قرروا ترجيح جواز إجبار البكر لأدلة أقاموها.. وإن كان ترجيحهم مرجوحًا ـ تركوا القرآن والنص عند الغزالي، واتبعوا تقاليد تهين المرأة، وتحقّر شخصيتها.

لكنْ؛ أتدري من أولئك؟! هم القاسم، وسالم ـ وهما من فقهاء المدينة النبوية السبعة ـ وعامر الشعبي، وابن أبي ليلى، والليث ومالك، والشافعي، وأحمد في رواية وإسحاق.

هؤلاء الأئمة متهمون بترك القرآن والحُكم به رعاية لتقاليد أهانت المرأة! نعوذ بالله من الحور بعد الكور»[1].

□ ويقول الشيخ صالح: «ومن ضعف الكاتب في الحديث قوله ص(٥٥): «ولم يجئ في أحد «الصحيحين» ما يُفيد منع النساء من الصلاة في المساجد» انتهى. وقد جاء في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى من النساء ما رأينا لمنعهن من المسجد»[2].

□ ويقول الشيخ صالح: «ومن ضعفه في الأصول قوله ص(٦٥): «الحديث الصحيح له وزنه، والعمل به في فروع الشريعة له مساغ وقبول» انتهى.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٠ ـ ٢١).

(٢) المصدر السابق ص(٢٨).

❑وهنا مخالفتان بدعيتان:

الأولى: قوله: «العمل به في فروع الشريعة». تنحية لما صحّ من السنن والأحاديث عن الاحتجاج بها في العقائد وأصول الدين، وتلكم نزعة اعتزالية اشتهرت في قالَبَيْ الأشعرية والماتريدية، ونحوهما من زيْغ الخلف عن محجة السلف.

الثانية: قوله: «العمل به.. له مساغ وقبول» مخالف لإجماع الأمة من الفقهاء ومحدثين، وأصوليين، على أن الحديث إذا صح وجب العمل به في الفقهيات.

وكلمات الأئمة في هذا ذائعة سائرة، وقد يترك أحدهم العمل به للنظر في دلالته بما يسوغ النظر فيه مما عرف في الأصول..

أما قوله: «له مساغ وقبول»، فباطل وردّ، والمستقيم أن يقول: «واجب وحتم، إن لم تكن دلالته محتملة»[(١)] .

* رده على الغزالي في طعنه على السلفية:

❑قال الشيخ صالح: «ومن تناقضه قوله ص(١١) عن كتابه «لعلّ فيه درسًا لشيوخ يحاربون الفقه المذهبي لحساب سلفية مزعومة» انتهى.

ولمزه للدعوة السلفية لا يضيرها، إذ الدعوة دعت إلى التوحيد الحق، وأخذت دين اللَّه كله، بشمولية واتزان، واعتبر بذلك بدعوة إمام الدعوة في هذه القرون شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ومن نهج نهجه، واقتفى سننه، في الدعوة إلى تعظيم اللَّه وتوحيده، والإلزام بشرع اللَّه.. رحم اللَّه أئمتنا رحمة واسعة. ومن شذّ من أتباعها، فغلا أو جفا، أو أخطأ وكبا،

---

(١)«المعيار» ص(٤١ ـ ٤٢).

فعلى نفسها جنت براقش، خطؤه على نفسه، لا تتحمّل ما أخطأ فيه دعوتنا»[١] .

* تفسيره أحاديث بخلاف فهم أهل السنة :

☐ قال الشيخ صالح: «وتارة يُفسِّر أحاديث بتفسير أجمع أهل السنة على خلافه خذ مثلاً قوله ص(١٤): «أمتنا تعد الكذب على صاحب الرسالة طريق الخلود في النار؛ لأنه تزوير للدين، وافتراء على اللَّه لقوله ﷺ : «**إن كذبا عليَّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النار**» انتهى.

وتلكم التي تحكم بالخلود على الكاذب على رسول اللَّه ﷺ هي الأمة الخارجية، لا أمة السُّنِّية، ففسّر الحديث بتفسير الخوارج والمعتزلة، مِن جعله الوعيد خلودًا، والكبيرة كفرًا»[٢] .

* ضّعفه النفسي أمام الغرب وحال العصر :

☐ قال الشيخ صالح آل الشيخ: «وهذا الضعف قصم ظهوراً، فردّها على أدبارها حائرة ثكلى، ومن قوى يقينه باللَّه وشرعه، لم يرفع بحال الغربِ رأسًا، ولم يبالهم باله، إذْ برد الإيمان وبشاشته جالبة للعزة والاعتزاز بشرعنا وأحكامه، مهما شوّش المرجفون، وحاك الشبه المتحيرون، والكاتب كثيراً ما يستحضر شبه المستشرقين، وإخوانهم الذين نافقوا، فيكون ردّ الشبهة عنده بأي طريقٍ، حتى ولو كانت عسفاء أو هوجاء اسمع إلى قوله لما وقف موقفه المنكور من الاختلاط والسفور، مبديًا باعث الموقف الخفي، قال

---

(١) «المعيار» ص(٦٦ ـ ٦٧).

(٢) «المعيار» ص(٣٤ ـ ٣٥).

ص(٤٦): «قد استغلّ الاستعمار العالمي في غارته الأخيرة علينا هذا الاعوجاج المنكور! وشنّ على تعاليم الإسلام حربًا ضارية، كأن الإسلام المظلوم هو المسئول عن الفوضى الضاربة بين أتباعه».

فهذه كلمات خِلَلَها حالة نفسية تصوغ المواقف وتُبْدي المرجوح راجحًا، والضعيف قويًّا.

ومن ذلك قوله ص(٥٢) عن الأوربيين ومن شابههم: «إذا ارتضوا أن تكون المرأة حاكمة، أو قاضية، أو وزيرة، أو سفيرة فلهم ما شاءوا، ولدينا وجهات نظر فقهية تجيز ذلك كله» انتهى.

وهذا غوص في بحار العقلانية، وتجرّد عن التحقيقات الشرعية، والمسألة دين، وغداً سؤال.

ومن ذلك قوله ص(٩٥): «عندما تناقلت الصحف (!) أن الشيخ عبدالعزيز بن باز أخرج شيطانًا بوذيًّا من أحد الأعراب، وأن هذا الشيطان أسلم. كنت أرقب وجوه القرّاء، وأشعر في نفوسهم بمدى المسافة بين العلم والدين» انتهى.

ويعني بالعلم علم الغربيين الفجرة، وبالدين دين الشيخ وأمثاله».

□ وتجده قلقًا في نفسه من مخالفة الشرع للقوانين الدولية ويقول ص(٥٩): «ولست أحبّ أن أوهِّن ديني أمام القوانين العالمية بموقف لا يستند استنادًا قويًّا إلى النصوص القاطعة» انتهى.

فهذه نقول كاشفات للحال النفسية المتوترة التي أنشأ أثناءها كتابه، وأنه بناه مريدًا دفع شبهات عن الإسلام بأي طريق وأي سبيل، حتى ولو كان السبيل ردًّا لقول العلماء والإجماعات، أو سلوكًا لسبيل الشذوذ في الآراء

(١) انظر المصدق السابق ص(٦٩ ـ ٧٣).

المعطلة عن محجة الاستدلال ونور العلم الوثيق الصحيح».

* من أخطائه الاعتقادية:

◻ قال الشيخ صالح: «ومن أخطائة العقدية قوله ص(١٤٢): «العلم الإلهي مسطور في كتاب ضابط شامل محيط ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ انتهى.

وهذا تعدٍّ وابتداع بما لم يُسبق إليه، إذا المسطور في اللوح المحفوظ هو ما في السماء والأرض، لا العلم الإلهي كله، فعبارته فيها عدم توقير لصفات اللَّه وفيها ابتداع وتعالم»[١].

◻ ومن أغلاطه قوله ص(١٤٤): «لقد شاء اللَّه لحكمة لا نعلمها أن يخلقنا ويكلفنا، وقال في وضوح ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ انتهى.

◻ والحكمة من الخلق والتكليف يعلمها صبيان أهل التوحيد ألا وهي تحقيق عبادة اللَّه وحده لا شريك له؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾»[٢].

* العلم... العلم:

◻ ويسوق الشيخ في مقدمه كتابه قول ابن قتيبة: «قد كنا زمانًا نعتذر من الجهل، فقد صرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم! وكنا نؤمِّل شكر الناس بالتنبيه والدِّلالة، فصرنا نرضى بالسلامة، وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال، ولا يُنكر مع تغيّر الزمان. وفي اللَّه خلف وهو المستعان»[٣].

---

(١) المصدر السابق ص(٧٦).
(٢) المصدر السابق ص(٧٦ ـ ٧٧).
(٣) المصدر السابق ص(٥).

□ ويقول: «ولقد شهدت وشهدتُ أن العلم في زماننا قد استدْبر، وأن البُغاث «بأرضنا» قد استنسر.

قد أعوز الماء الطَّهورُ وما بقى غيرُ التيمُّمِ لو يطيبُ صعيدُ»(٢)

* أصل الإنسان وبدع المدرسة العقلية:

أصل الإنسان لا شك أمر غيبي لا سبيل إلى القطع في علمه ومعرفته إلا عن طريق الوحي والسنة الصحيحة المطهرة.

ولقد خلق اللَّه آدم عليه السلام أبا البشر من تراب خلقًا متكاملاً يؤهله لأن يكون خليفة في الأرض بإذن اللَّه، وألقى في ذهنه من العلم ما خفي على الملائكة عليهم السلام لتكون مزية عليهم ليسجدوا له بإذن اللَّه وأمره، ثم ليسكنه بعد هذا الجنة هو وزوجه لتقع منهما المعصية فينزلهما اللَّه إلى الأرض، أرض الابتلاء والامتحان.

ولم تزل البشرية كذلك إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها.. ذلكم المعتقد في خلق الإنسان هو الذي اعتقده السلف وقامت أركانه على قواعد القرآن وآياته وصحيح السنة.

إلى أن ظهرت نظرية داروين سنة ١٨٥٩م التي قال عنها «فون باير» في كتابه «المذهب الداروني»: «إن الرأي القائل أن النوع الإنساني متولد من القردة السيمانية هو بلا شك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الإنسان».

ويأتي الأستاذ محمد فريد وجدي وينكر على داروين نظريته ولكنه أيضًا يخالف نصوص القرآن مخالفة صريحة حين ينكر خلق آدم خلقًا

---

(١)المصدر السابق ص(٧٩)، والبيت قاله الأمير الشاعر ابن حَيُّوس، «ديوانه» (١/ ١٥٨) ط المجمع الدمشقي.

مستقلاً من طور العدم إلى طور الإنسانية الكاملة فيقول:

«ونحن لا نريد من قولنا أن أهل العلم تبينوا وَهَن أصول مذهب داروين أنهم أصبحوا يقولون بالخلق المستقل فهذا ما لا يقول به إلا الشاذ من أهل العلم اليوم، ولكنهم يرون لتسلسل الأحياء بعضها من بعض نواميس أخرى غير نواميس داروين»[1] .

ولا تعتقد أن فريد وجدي هو الفارس الوحيد في ميدان الشذوذ، فقد سبقه وزاد عليه الفارس الذي لا يُشقُّ له غبار في هذا المجال الشيخ محمد عبده، ومن خلفه تلاميذه السيد رشيد رضا، وأحمد مصطفى المراغي، وتبعهم بعد ذلك الأستاذ عبد الصبور شاهين فزاد وأتى بما لم يأت به أحد.

◻ لم يرفض الشيخ محمد عبده نظرية ـ داروين كما أنه لم يصرّح بقبولها، ولكنه فسّر الآيات القرآنية بما يفسح المجال لمن يريد أن يقول بها وأنكر معارضة القرآن لذلك؟!

«ليس هذا تجنيًا منا على الشيخ عبده بل هو مع حسن الظن أيضًا، حينما نعلم أن الشيخ وتلميذه رشيد يساوون بين الاعتقاد بأن أبا البشر آدم عليه السلام والاعتقاد بأنه القرد أو غير ذلك ما دامت الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر.

وحتى ندع القارئ يسبقنا إلى الحكم عليهما نكتفي هنا بإيراد نصوص لهم.

◻ فقد قال الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً

---

(١) «على أطلال المذهب المادي» لمحمد فريد وجدي (١/١٠٣ ـ ١٠٤) ـ الطبعة الأولى ـ طبع دائرة معارف القرن العشرين ـ مصر.

ونِسَاءً﴾ [النساء: ١] «ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر، فمن المفسرين من يقول إن كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكة أو قريش، فإذا صح هذا جاز أن يفهم منه بنو قريش أن النفس الواحدة هي قريش أو عدنان، وإذا كان الخطاب للعرب عامة جاز أن يفهموا منه أن المراد بالنفس الواحدة يعرب أو قحطان، وإذا قلنا أن الخطاب لجميع أهل الدعوة إلى الإسلام أي لجميع الأمم فلا شك أن كل أمة تفهم منه ما تعتقده، فالذين يعتقدون أن جميع البشر من سلالة آدم يفهمون أن المراد بالنفس الواحدة آدم، والذين يعتقدون أن لكل صنف من البشر أبًا يحملون النفس على ما يعتقدون.. والقرينة على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم قوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ بالتنكير وكان المناسب على هذا الوجه أن يقول وبث منهما جميع الرجال النساء، وكيف ينص على نفس معهودة والخطاب عام لجميع الشعوب وهذا العهد ليس معروفًا عند جميعهم فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما، وهذا النسب المشهور عند ذرية نوح مثلاً هو مأخوذ عن العبرانيين فإنهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخًا متصلاً بآدم وحددوا له زمنًا قريبًا. وأهل الصين ينسبون البشر إلى أب آخر ويذهبون بتاريخه إلى زمن أبعد من الزمن الذي ذهب إليه العبرانيون، والعلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ العبرانيين ونحن المسلمين لا نكلف تصديق تاريخ اليهود وإن عزوه إلى موسى عليه السلام فإنه لا ثقة عندنا بأنه من التوراة وإنه بقي كما جاء به موسى»[1] .

وبهذا أكد الشيخ أن آدم ليس أبو البشر كلهم وإنما قلت أكد لأنه: ـ

١ ـ استدل بأن الآية لا تدل (بالنص ولا بالظاهر) على ذلك.

---

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤).

٢ ـ وأنه لو كان آدم أبا البشر كلهم لما قال ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بل قال جميع الرجال والنساء.

٣ ـ وأن من الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما.

٤ ـ أن العلم والبحث في آثار البشر مما يطعن في تاريخ العبرانيين باعتقادهم أن آدم أبو البشر.

وبهذا أضاء الشيخ عبده النور الأخضر لمن يريد أن يقول بنظرية داروين بأن يجعل تطبيقها على آباء البشر الآخرين عدا آدم عليه السلام.

فإن ذهبت تعترض على هذا وتقول: ـ ورد في القرآن الكريم الخطاب ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ وورد في قوله ﷺ: **«كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب»**(١) وما رواه أحمد في «مسنده» عن رسول اللّه ﷺ: **«يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»**(٢).

إذا ما قلت هذا سهل عليه تأويل ذلك وكيف لا يسهل هذا على من يرد أحاديث البخاري ومسلم ويرد الأحاديث المتواترة كما مر بنا، يقول الشيخ عبده في تأويل ذلك: «وما ورد في آيات أخرى من مخاطبة الناس بقوله: «يا بني آدم» لا ينافي هذا ولا يعد نصًّا قاطعًا في كون جميع البشر من أبنائه إذ يكفي في صحة الخطاب أن يكون من وجه إليهم في زمن التنزيل من أولاد آدم وقد تقدم في تفسير قصة آدم في أوائل سورة البقرة أنه كان في الأرض قبله نوع من هذا الجنس فسدوا فيها وسفكوا الدماء، وأقول زيادة في الإيضاح إذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحدة هنا بآدم فهم لم

---

(١) رواه البزّار عن حذيفة بن اليمان.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤١١).

يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم (!!) وهي أن آدم أبو البشر»[١] .

ويؤيد هذا الكلام تلميذه السيد رشيد بنوع من الأخبار لو لم يكن فيها تأييد لما ذهب إليه لاعتبرها من الإسرائيليات التي أدخلها كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما ولشن عليهما هجومًا لا ينقطع ونعى على الإسلام أمثالهما ولكن والحال أن هذه الأخبار في مقام تأييده فلا بأس من الاستدلال بها والدفاع عن المعتقدين لها قال: «وقد نقل عن الإمامية والصوفية أنه كان قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعندنا آدمون كثيرون قال في «روح المعاني»: ذكر صاحب جامع الأخبار من الإمامية في الفصل الخامس عشر خبرًا طويلاً نقل فيه أن اللّه تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم ألف سنة وأن الدنيا بقيت خرابًا بعدهم خمسين ألف سنة ثم عمرت خمسين ألف سنة ثم خلق أبونا آدم عليه السلام، وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق في حديث طويل أيضًا أنه قال لعلك ترى أن اللّه لم يخلق بشرًا غيركم بل واللّه لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين»، ثم قال: «ثم نقل عن زين العرب القول بكفر من يقول بتعدد آدم وهذا من جرأته وجرأة أمثاله الذين يتهجمون على تفكير المسلمين لأوهى الشبهات»[٢] .

□ ثم يجمل لنا السيد رشيد رأي أستاذه «للأستاذ الإمام في هذا المقام رأيان:

أحدهما: أن ظاهر هذه الآية يأبى أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم أي سواء كان هو الأب لجميع البشر أم لا، لما ذكره من معارضة المباحث العلمية

---

(١) «تفسير المنار» (٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

(٢) «تفسير المنار» (٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

والتاريخية له ومن تنكير ما بثه منها ومن زوجها، على أنه يمكن الجواب عن هذا الأخير بأن التنكير لمن ولد منهما مباشرة كأنه يقول بث منهما كثيراً من الرجال والنساء وبث من هؤلاء سائر الناس وعن الأول بأنه لا يزال غير قطعي.

وثانيهما: أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم والمراد بالبشر هنا هذا الحيوان الناطق البادي البشرة المنتصب القامة الذي يطلق عليه لفظ الإنسان، وعلى هذا الرأي لا يرد على القرآن ما يقوله بعض الباحثين ومن اقتنع بقولهم من أن للبشر عدة آباء ترجع إليهم سلائل كل صنف.

❑ ثم إن ما ذهب إليه الأستاذ الإمام يرد الشبهات التي ترد في هذا لمقام ولكنه لا يمنع المعتقدين أن آدم هو أبو البشر كلهم من اعتقادهم هذا لأنه يقول: أن القرآن ينفي هذا الاعتقاد وإنما يقول: أنه لا يثبته إثباتًا قطعيًّا لا حتمل التأويل وقد صرحنا بهذا؛ لأن بعض الناس كان فهم من درسه أنه ل أن القرآن ينفي هذا الاعتقاد أي اعتقاد أن آدم أبو البشر كلهم وهو لم هذا تصريحًا ولا تلويحًا وإنما بين أن ثبوت ما يقوله الباحثون في العلوم ار البشر وعادياتهم والحيوانات من أن للبشر عدة أصول ومن كون آدم ليس لهم كلهم في جميع الأرض قديمًا وحديثًا كل هذا لا ينافي القرآن ولا ضه ويمكن لمن ثبت عنده أن يكون مسلمًا مؤمنًا بالقرآن»[1].

❑ ثم يقول السيد رشيد: «وليت شعري ماذا يقول الذين يذهبون إلى المسألة قطعية بنص القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بأن البشر من أصول؟ هل يقولون إذا أراد أن يكون مسلمًا وتعذر عليه ترك يقينه في

---

(١) «تفسير المنار» (٤/ ٣٢٦).

المسألة أنه لا يصح إيمانه ولا يقبل إسلامه وإن أيقن بأن القرآن كلام اللَّه وأنه لا نص فيه يعارض يقينه»[١] .

◻ ويقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي: وجمهرة العلماء على أن المراد بالنفس الواحدة هنا آدم وهم لم يأخذوا هذا من نص الآية بل أخذوه تسليمًا وهو أن آدم أبو البشر»[٢] ، وقال: «وقال بعض العلماء أبهم اللَّه تعالى أمر النفس التي خلق الناس منها، فلندعها على إبهامها، فإذا ثبت ما يقوله الباحثون من أن لكل صنف من أصناف البشر أبًا كان ذلك غير مخالف لكتابنا، كما هو مخالف للتوراة التي نصت صراحة على أن آدم أبو البشر فحمل ذلك بعض الناس على الطعن في كونها من عند اللَّه ووحيه»[٢] .

◻ وكان الأولى بالشيخ المراغي أن يدعو إلى إنكار هذه الفكرة والرد عليها وبيان مخالفتها لنصوص القرآن؛ حتى إذا ما ثبت للناس بعد هذا بطلان هذه النظرية وقف المسلم شامخًا معتزًا بدينه، وكأنه يقول أرأيتم الدين الحق يقول كلمته مخالفًا نظرية في وقت دولتها وعصر سطوتها حتى حسبها بعض الناس حقيقة علمية، ولكن الإسلام يقول كلمته ولا يقف يعضُّ بنانه حائرًا بين تأييدها أو إنكارها جاهلاً الحق فيها أو يقف حائرًا بين هذه النظرية وحقيقة دينه الناصعة فيها، بل يقول حقائق دينه، ولو خالفت ما توهمه المتوهمون وزعمه الزاعمون.

◻ ويفسر الشيخ رشيد رضا المراد بالنفس بقوله: «هذا وأن المتبادر من لفظ النفس بصرف النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات ـ أنها هي الماهية أو الحقيقة التي كان بها الإنسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات أي

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٣٢٧).

(٢) «تفسير المراغي» لأحمد مصطفى المراغي (٤/ ١٧٥).

خلقكم من جنس واحد وحقيقة واحدة ولا فرق في هذا بين أن تكون هذه الحقيقة بدئت بآدم كما دل عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين، أو بدئت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشيعة والصوفية، أو بدئت بعدة أصول انبث منها عدة أصناف كما عليه بعض الباحثين ـ ولا بين أن تكون هذه الأصول أو الأصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات أو خلق مستقلاً على ما عليه الخلاف بين الناس في هذا العصر»[1] .

ثم قال: «على كل حال وكل قول يصح أن جميع الناس هم من نفس واحدة هي الإنسانية التي كانوا بها ناسًا وهي التي يتفق الذين يدعون إلى خير الناس وبرهم ودفع الأذى عنهم على كونها هي الحقيقة الجامعة لهم فتراهم على اختلافهم في أصل الإنسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف: أنهم إخوتنا في الإنسانية فيعدون الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر سواء اعتقدوا أن أباهم آدم عليه السلام أو القرد أو غير ذلك»[2] .

❑ لا نريد الرد عليه هنا بإثبات أن مناط الوحدة والألفة في الإسلام هو الدين لا الإنسانية ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]»اهـ.

*** الدكتور عبدالصبور شاهين يخالف إجماع الأمة ويأتي بالعجب العجاب فيتصدى له الدكتور عبدالعظيم المطعني ويلقمه حجراً:**

في كتابه «أبى آدم.. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة» الذي صدر فيه عام ١٩٩٨م عن دار النشر المسماة بـ «الروافد الثقافية» أنكر الدكتور

(١) «تفسير المراغي» لأحمد مصطفى المراغي (٤/ ١٧٥).
(٢) «تفسير المنار» (٤/٣٢٧).

عبدالصبور شاهين أن يكون آدم أبًا للبشر، ولا أن يكون هو أول مخلوق عاقل من غير الجن والملائكة ولنترك المجال لفضيلة الشيخ الدكتور عبدالعظيم المطعني الذي أفحمه في رده، وقال قولاً شافيًا.

□ يقول الدكتور المطعني في كتابه «أبي آدم.. قصته الخليقة.. بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض»: «الفكرة التي تبناها الكتاب من أول سطر فيه إلى آخر سطر، هي باختصار شديد الآن، أن آدم عليه السلام ليس هو أبا البشر، ولا هو أول مخلوق عاقل من غير الملائكة والجن؟!

بل هو أبو الإنسان، وأن اللَّه تعالى خلق قبله من جنسه خلائق كثيرين عاشوا قبل آدم هذا ملايين السنين، وكانوا في تلك الأزمان خاضعين للتصرف الإلهي من التسوية والتعديل والتهذيب، ثم انقرضوا جميعًا بعد أن انتخب اللَّه منهم آدم ـ هذا ـ من أب وأم منهم، كما انتخب حواء زوجة آدم من أب وأم كذلك من آخر أجيال البشر الأولين، الذين انقرضوا تمامًا. ولم يصبح في الوجود منهم أحد، وأن آدم وحواء وحدهما هما اللذان بقيا ليكونا أبوين لنوع جديد من ذلك الجنس الذي انقرض. أي نوع الإنسان المستمر توالده حتى الآن إلى قيام الساعة؟!

والفروق بين البشر والإنسان عند الدكتور عبدالصبور شاهين نوجزها الآن في الفروق الآتية:

ـ البشر أقوام همجيون لا سمع ولا بصر لهم ولا عقل؟!

ـ الإنسان هو النوع المنتخب المهذب الراقي، لهم سمع وأبصار وعقول.

ـ البشر لم يرسل اللَّه فيهم رسولاً، ولم يكونوا من أهل التكليف الإلهي، فلا إيمان باللَّه، ولا أوامر ولا نواهٍ كلفهم اللَّه بها؛ لأنهم كما ردد هذا الدكتور شاهين مرات، كانوا بمثابة مشروع إلهي تحت التنشئة، ينتقلون بصنع اللَّه من طور ـ إلى طور آخذين في الصعود نحو الرقي والكمال، وهذا

هو ما قاله دعاة «نظرية النشوء والارتقاء» أو الانتخاب الطبيعي من قبل، وأن «البقاء للأصلح».

ـ البشر مخلوقون من تراب أو طين.

ـ أما الإنسان فإنه هو المخلوق من «ماء» أو من «علق» أو من «نطفة».

هذه هي الفكرة، التي تمثل خطوط العرض والطول في هذا الكتاب؛ لأنها ملكت كل حواس ومشاعر المؤلف وعاشت في وجدانه ـ كما قال هو ـ خمسة وعشرين عامًا أو تزيد. هذه الفكرة هي التي نواجهها في هذه الدراسة. ولكن قبل البدء في المواجهة، لا بد من تحرير مدخل لهذه الدراسة، نعرض فيه بعض الأمور المهمة، التي تتصل بفكرة الكتاب، من جهة، وبمنهج المؤلف في عرضها، ثم الجهة التي اعتمد عليها في إثبات الفكرة التي تحمس لها، والنظر في الطريقة، أو الطرق، التي سلكها في انتزاع الأدلة منها، وهل سلمت له أدلته فيكون قد أثبت الفكرة التي تبناها بما لا مجال للطعن فيه، أم لم يسلم له استدلال في الواقع، وإن كان هو يراه مقنعًا يفيد اليقين، أو حتى الظن القوي، الذي يشيع في النفس نوعًا ما من الاطمئنان.

فالدعوى التي ادعاها المؤلف دعوى «غريبة» حقًّا، والدعاوى الغريبة، إذا وجه بها مدَّعُوها الناس تكون في أمس الحاجة، إلى أدلة قوية تكافئ المقام الذي يحدثه رد الفعل. وإلا كانت وهمًا من أوهم الأوهام»[1].

* موقف السلف من هذه القضية:

☐ وخلاصة موقف السلف: أن هذه القضية أمر غيبي، يجب الإيمان

---

(١) «أبي آدم.. قصة الخليقة بين الخيال الجامح.. والتأويل المرفوض» للدكتور عبدالعظيم المطعني ص(٧ ـ ٨) ـ مكتبة وهبة.

بها كما وردت في كتاب اللَّه، وكما أشارت إليه أحاديث الصادق المصدوق ﷺ.

والوقوف في الإيمان بها عند دلالات النصوص المقدسة دون تحريف، أو تأويل تأباه دلالات اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أو تأباه حقائق الإسلام الواضحة. وأن هذه القضية لا يحتاج المسلم في الإيمان بها جملة وتفصيلاً إلى مصادر أخرى غير المصادر الإسلامية المقدسة.

□ وأنهم لا يقولون فيها غير ما قاله اللَّه ورسوله. شأنهم فيها شأنهم في كل أمر غيبي لا يملك الحديث عنه إلا علام الغيوب.

□ لهذا، فإننا نختلف كل الاختلاف مع الدكتور عبدالصبور شاهين في موقفه غير المنصف، حيث ذكر في إحدى مقدمات كتابه الفقرة الآتية:

«قال المفسرون بألفاظ مختلفة، ومعان متفقة: إن اللَّه تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام، أوحى إلى الأرض: إني خالق منك خلقًا منهم من يطيعني، ومنهم من يعصني، فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة، ومن عصاني أدخلته النار، ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها، فلما آتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الأرض: إني أعوذ بعزة اللَّه الذي أرسلك لا تأخذ مني شيئًا يكون فيه غدًا للنار نصيب، فرجع جبريل عليه السلام إلى ربه، ولم يأخذ منها شيئًا. قال: يا رب، استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها؟

فأمر اللَّه ميكائيل عليه السلام، فأتى الأرض فاستعاذت باللَّه أن يأخذ منها شيئًا، فرجع إلى ربه، ولم يأخذ منها شيئًا؟

فبعث اللَّه ملك الموت، فأتى الأرض فاستعاذت باللَّه أن يأخذ منها شيئًا، فقال ملك الموت: وإني أعوذ باللَّه أن أعصي له أمرًا، فقبض قبضة من زواياها الأربع من أديمها الأعلى، ومن سبختها وطينها، وأحمرها وأسودها

وأبيضها وسهلها وحزنها، فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والخبيث، والصالح والطالح، والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم. . »[١].

❑ قدَّم المؤلف لهذه الفقرة بقوله:

«جوهر القصة كما تلقيناها عن القدماء، وكما رواها صاحب قصص الأنبياء المسمى بـ «العرائس. . » ثم عقب عليها بقوله:

على هذه مضت كل كتب التفسير تقريبًا، وكلها تنقل عن مصدر واحد، مع انطواء الرواية، على كثير من صور السذاجة»[٢].

وهذا الصنيع من المؤلف يوحي لجمهور قراء كتابه أن ما ذكره صاحب «عرائس المجالس» هو التصور الإسلامي الوحيد في قصة آدم، بدليل أن جميع المفسرين أطبقوا على ترديد ما ذكره صاحب «العرائس» وهو ينقل في كتابه خرافات لا حصر لها، لا يصدقها عقل، ولم يرد بها نقل مع بُعد ما ذكره عن الاعتقاد الإسلامي الصحيح في نشأة آدم عليه السلام.

وهذا الذي ذكره إنما هو مجرد رواية، أو روايات غير معتمدة في النظر الصحيح. فلم ينص عليه السلف في مسائل الاعتقاد، ولم يرد في مسائل ما أجمعت عليه الأمة، ووجوده في كتاب التاريخ والسير، ليس معناه اعتماده والإيمان به، وهذه الروايات وإن وردت في بعض المصادر الإسلامية بدون تنبيه عليها، فإنها لا تسلم من الطعن في مصادر أخرى. وعلماء الكلام، وغيرهم نصوا بكل وضوح على مسائل الاعتقاد الصحيح الذي يجب على المسلم الوقوف عندها. ولهم في ذلك مؤلفات مطولة وموجزة، مثل «منهاج السنة النبوية» للإمام ابن تيمية، و«مجموعة الفتاوى الكبرى» له، ومثل «الإبانة» للإمام أبي الحسن الأشعري.

---

(١) «أبي آدم» لعبدالصبور شاهين ص(٧).

(٢) المصدر السابق ص(٩).

فكان حريًا بالدكتور شاهين أن يغفل هذا الجانب ولا يذكر ما يسيء إلى سلف الأمة الصالح، ثم يكتفي به ليضع السلف موضع السخرية أمام قراء كتابه ويظهرهم بمظهر المرددين ـ بلا وعي ـ لأكاذيب بني إسرائيل، والنقل عنهم بلا أدنى روية. وهو يعلم الحركات النقدية الواعية، التي قام بها العلماء حول الأكاذيب الإسرائيلية في التفاسير والسيرة والتاريخ والأحاديث النبوية، ووضع الضوابط التي يعرف بها الصحيح من الأقوال، ويعرف بها كل ما هو مكذوب أو معلول. وقد استمرت هذه الحركات الوثابة من عصر الإمام البخاري، وبلغت ذروتها في عصر ابن الصلاح صاحب كتاب «علوم الحديث» المتوفى في القرن السابع الهجري. وما يزال أهل العلم حتى يومنا هذا يضيفون إضافات حسنة إلى جهود أولئك العلماء الأعلام. ولكن يبدو أن بريق الفكرة، التي أراد الدكتور شاهين عرضها على الناس، قد أنساه الإشارة إلى بعض الأساسيات «الواقية» التي تحول بين القراء وبين سوء الظن بعلماء الأمة، الذين نحن عالة عليهم الآن»[1] .

□ يقول الدكتور المطعني في رده على الدكتور عبدالصبور شاهين:

«عرض المؤلف في الشطر الأول بعد المقدمة لثلاث نقاط هي:

ـ القصة بين العقل والنقل.

ـ النظرة العلمية.

ـ نظرة القدماء إلى وجود الخليقة.

أما المقدمة فقد أشار فيها إلى خطورة الفكرة التي وضع من أجلها الكتاب، وهي الفصل التام بين البشر والإنسان وأشار فيها إلى أن باحثًا معاصراً من تونس كتب بحثًا ذهب فيه إلى أن البشر غير الإنسان. وأن

---

(١) «أبي آدم» للمطعني ص(١٢ ـ ١٤).

المؤلف - أعني الدكتور عبدالصبور شاهين - يتفق معه في أصل الفكرة ويختلف معه في التفاصيل[1] .

أما النقاط الثلاثة الأول، فقد كان الغرض منها لدى المؤلف أن قصة الخليقة يغلب عليها الغموض والاضطراب بين العقل والعلم والروايات الدينية بوجه عام، وأن إزالة هذا الغموض، وذاك الاضطراب، لا يمكن حصوله من جهة العلم العملي التجريبي، ولا من جهة الروايات الدينية التي ساق جانبًا منها، وإنما السبيل الوحيد هو ما ورد في القرآن الكريم، لكن لا على فهم القدماء للآيات القرآنية التي تحدثت عن «قصة آدم» بل على نظر جديد مغاير تمامًا لما ذكره المفسرون، وما قام عليه إجماع علماء الأمة، وفي ذلك يقول:

«أما القرآن، وهي الكلمة النهائية في الخطاب ما بين السماء والأرض، أو ما بين الأعلى والأدنى، فإنه - ولا شك - يقدم للعقل الإنساني الحقائق النهائية في الموضوع. ولكن الأجيال تتفاوت في فهم النص المقدس؛ حتى ليبدو ما استخرجه الفكر الديني، حتى الآن من النصوص، مناقضًا للعلم، ولا سبيل إلى اللقاء بينهما»[2] .

ظاهر جدًّا أن الدكتور عبدالصبور شاهين ينكر في هذه الفقرة التي نقلناها عنه، ينكر ما أجمعت عليه الأمة في فهم الآيات التي تحدثت عن خلق آدم وزوجه وذريته، والسبب عنده أن هذا الفهم يبدو مناقضًا للعلم، ويعني بالعلم تلك النظريات المتضاربة، الناتجة عن دراسة بعض الجماجم والآثار. ونذكر القارئ الكريم أننا نقلنا من قبل من كلام الدكتور شاهين ما أفاد رفضه هو نفسه لنتائج التجارب العلمية. وحتى إذا فرضنا أن اختلافًا ما

(١) «أبي آدم» لعبدالصبور ص(١٣ - ١٦) واسم الباحث هو: بشير التركي.

(٢) «أبي آدم» لعبدالصبور ص(٤٢).

حدث بين معان وردت في القرآن، وبين نتائج علمية من هذا النوع تحدث عنه في كتابه، فإن الخطأ يكون في نتائج التجارب العلمية لا في معاني القرآن إذ لم يثبت ـ ولن يثبت ـ حدوث تناقض بين الحقائق العلمية اليقينية، وبين المعاني القطعية الواردة في كتاب اللّٰه العزيز. والدكتور شاهين نفسه يدرك هذه الحقيقة تمامًا.

وبعد أن هوَّن من شأن ما أجمعت عليه الأمة في شأن خلق آدم وذريته، نراه يقترح البديل الذي يزيل ما بين العلم والعقل وبين القرآن من تعارض، أو تناقض فيقول بعد أن تساءل هل يمكن التوافق بين ما يفهم من القرآن وبين العلم والعقل: وهذه عبارته بالحرف «وهل من سبيل إلى لقاء بينهما»؟

«نحن نرى أن ذلك ممكن، من خلال فهم واعٍ للنصوص القرآنية. فهمٌ يخرج عن المذهب التقليدي، الذي التزمت به التفاسير كلها؟ ويسعى إلى استنطاق النظم القرآني، ما دام هناك إمكان لالتقاء العلم بالقرآن»؟[1] .

◻ معنى هذا الكلام أن تناقضًا عظيمًا حدث بين العلم والقرآن في مسألة بدء الخليقة، وأن آدم عليه السلام هو أبو البشر والإنسان والناس والإنس، وأن هذا التناقض لن يُزال إلا بالنظر الجديد في دراسة الآيات القرآنية، الذي سيقوم به الدكتور عبدالصبور شاهين بعد قليل، بعد رفضه القاطع لما أجمعت عليه الأمة ـ سلفًا وخلفًا ـ من فهمهما للآيات التي تتحدث عن خلق آدم وما تربت عليه من وقائع؟

ولا يُفْهمُ من كلامه هذا أنه يريد تلك الروايات الواهية، من خارج القرآن والحديث الصحيح؛ نحن نرفض أن يكون مراد المؤلف تلك الروايات.

---

(١)«أبي آدم» لعبدالصبور ص(٤٢).

ولرفضنا هذا سببان قويان:

الأول: أن تلك الروايات الواهية التي وردت في كتب التراث ليست هي عقيدة الأمة، ولا فهمها المجمع عليه في وقائع الخلق الأول. بل إن عقيدة الأمة أرفع قدراً وأصدق تصوراً، وأصح سنداً مما حفلت به الروايات النظرية التي لا تثبت أمام النظر الغامض السليم، ومن يدعي قصر عقيدة الأمة على تلك الروايات الواهية فقد أعظم على اللَّه الفرية. وسلوك الدكتور شاهين نفسه ـ كما سيأتي ـ هو الدليل أو السبب الثاني الذي حملنا على القول ـ بكل اطمئنان ـ على أنه لم يرد هذا الذي نفينا آنفًا أن يكون هو مراده من عبارته الثانية التي نحن بصدد التعليق عليها هنا.

الثاني: أن الدكتور شاهين ـ فيما سيأتي عمد إلى الآيات التي تحدثت عن خلق آدم، ورفض تفسير علماء الأمة لها، وقام بوضع تفسير آخر من عنده مخالف كل المخالفة للتفسير المجمع عليه عند سلف الأمة وخلفها سعيًا وراء إثبات الفكرة التي من أجلها وضع كتابه «أبي آدم».

وهذا يؤكد ـ بكل قوة ووضوح ـ أنه لم يقصد رفض الروايات الواهية، فهي مرفوضة قطعًا ـ وإنما أراد رفض التفسير الصحيح، الذي أجمعت عليه الأمة جمعاء ثم بنت عقيدتها في خلق اللَّه آدم عليه، وهو نفسه يعلن ذلك مرات، ويسم منهج سلف الأمة وخلفها بالمذهب التقليدي، الذي ترتب عليه حدوث صدام عنيف بين العلم والقرآن؟!

ومسألة بدء الخلق مسألة غيبية محضة. والأمور الغيبية لا صلة للعلم التجريبي بها لا من قريب ولا من بعيد، والمعول عليه فيها هو الوحي الأمين، أو الخبر الصادق عن لسان رسول اللَّه ﷺ. فإذا ورد على لسان الشرع معنى قطعي، وجب على العقل التسليم به سواء فهم وأدرك كنهه، أو لم يفهم ولم يدرك. أما العلم فإن جاءت نتائج بحثه مطابقة لخبر الشرع فتلك

هي محمدة تحسب للعلم وأهله، وإن اختلفت فعلى العلماء أن يتهموا أنفسهم بالعجز أو الخطأ في الاستدلال. ويبقى الحق مع ما قرره الوحي أو الرسول ﷺ. إذن، فما كان ينبغي ـ أصلاً ـ وضع العلم التجريبي في درجة مكافئة للوحي، تمهد لنشوء خصومة بينهما، ثم تحمل هذه الخصومة بعضنا للاعتداء على النصوص المقدسة فننزلها من هاماتها العُلى، لنعقد مصالحة بينها وبين دلالات العظام البالية، والجماجم المحطمة ونحن كما قال ربنا: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ والله وحده هو «علام الغيوب».

أما الشطر الثاني من الكتاب، فقد وقفه المؤلف على حديث القرآن عن الإنسان.

والغرض منه إثبات التفرقة بين مفهوم «بشر» ومفهوم «إنسان» وأن «بشر» الواردة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ليس هو آدم قط بل هو أب لبشر كثيرين.

وأن «بشر» هذا ليس هو الذي أمر الله الملائكة بالسجود له، وليس هو المخلوق الذي خلقه الله لعبادته، وأرسل إليه رسله؛ لأن «بشر» هذا ومن تناسل منه كانوا مثل الدمى لا عقل ولا سمع ولا أبصار لهم. بل هم «مشروع بدائي جدًّا موضوع تحت التعديل والتسوية والترقي شيئًا فشيئًا، خاضع للتنشئة عبر ملايين السنين؟ وبعد ما لا يعلمه إلا الله من تطاول الأزمان حدثت تصفية جذرية فانقرض بنو البشر جميعًا، ولم يصطف الله منهم إلا اثنين هما: آدم وحواء، اصطفاهما بعد تلك التجارب الطويلة من أبوين وأمّين؟

فآدم هذا غير «بشر» الذي قال الله فيه: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾.

وهكذا تطور الوجود من بشر مخلوق من تراب ثم انقرض تمامًا إلى «إنسان» مخلوق من ماء، هو الذي أسجد الله له الملائكة، وكلفه بعبادته،

وأرسل إليه رسله، ثم راح الدكتور عبدالصبور شاهين يستدل على هذا الزعم الغريب بالآيات القرآنية بعد حملها على غير معناها كما سنرى فيما يأتي:

* المنهج الذي سلكه في كتابه:

لكل باحث منهج يختاره في سبيل الوصول إلى غايته من بحثه. ويصطبغ هذا المنهج بصبغة المادة موضوع الدراسة ومنزع الاستدلال.

ومنهج الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين في محاولته إثبات الفكرة التي تبناها لا يخرج عما أثبتناه في عنوان هذه الدراسة أو المواجهة، وهما دعامتان رئيستان:

الأولى: الخيال الجامح أو المفرط في التصور؛ لأن التفرقة بين البشر الذي انقرض عنده، والإنسان الذي يعمر الأرض ـ الآن ـ ويتناسل ويتوالد إلي يوم القيامة، أن تصور هذه التفرقة من صنع الخيال الجامح، أو الوهم الموغل في الإيهام، ومحال أن يكون لهذا التصور مثقال ذرة من واقع، أو خيال مقبول.

إن عمل هذا الخيال هو المسيطر على هذه الفكرة من الألف إلى الياء، أو من ما قبل الألف إلى ما بعد الياء.

أما الدعامة الثانية: فهي التأويل المرفوض المرفوض، حيث لم يَدَعْ المؤلف نصًّا واحدًا، يقف حجرة عثرة في طريق فكرته إلا سارع إلى تأويله بما يتفق مع مراده. ولولا ذلك الخيال الجامح، وهذا التأويل المرفوض لوئدت فكرته في صلب أبيها قبل أن تستقر في رحم أمها، ولكنه بهاتين الدعامتين طارت الفكرة بلا جناحين، ولكنه طيران وقف بها عند نقطة البدء، فلا صعود ولا إقدام، وذلك شأن كل ما ليس له وجود إلا في الوهم.

والمنهج الذي سلكه الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين يذكرنا بمذهب المعتزلة في الانتصار لمعتقداتهم وآرائهم في مسائل النظام السياسي ومسائل الاعتقاد.

فهم ـ مثله ـ ما كانوا يأخذون الأحكام من واقع النصوص المقدسة، بل كانوا يقررون ما يرون من آراء ومذاهب، ثم ينزلون النصوص المقدسة عليها، فما وافق معتقداتهم اعتمدوه، وما خالفها فلهم فيه مسلكان:

الأول: أن يصرفوه عن ظاهر معناه ويؤولوه بما يتفق وآراءهم، غير عابئين بدلالات اللغة وطرائق البيان في المفردات والتراكيب، وقد سجَّل عليهم خصومهم شناعات منكرة نتجت عن تأويلاتهم التعسفية للنصوص مما لا يقره نقل، ولا يقبله عقل.

أما الثاني: فقد كانوا يطعنون في صحة النص إذا استعصى عليهم تأويله، وهذا خاص بما كان غير قرآن؛ لأن القرآن قطعي الثبوت.

هذا ما أردنا بيانه في هذا المدخل، ونكتفي به. أما ما يتعلق بالشطر الثاني من الكتاب فهو ما عنون له المؤلف بـ «حديث القرآن عن الإنسان» وهو غرضنا الأهم من تحرير هذه الصفحات. فلنول وجوهنا شطره، وباللَّه ومن اللَّه التوفيق»[1].

□يقول الدكتور المطعني على تفرقة عبدالصبور بين بشر وإنسان:

«وهذا تحكم بغيض حمله عليه التعصب لرأيه بعد أن أقام فواصل وهمية بين البشر من جهة والإنسان والإنس والناس من جهة أخرى.

□وهذه البدعة لم يقل بها أحد من أهل العلم، ولا وردت بها الآثار اللغوية. بل اللغة تقرر أن هذه الكلمات: البشر، الإنسان، الناس، الإنس،

(١)«أبي آدم» للمطعني ص(١٤ ـ ٢٠).

تطلق على بني آدم عليه السلام، وهي وإن كان لكل منها اعتبار خاص في التسمية بها، فلا يراد لغة ولا عرفًا ولا شرعًا منها إلا الدلالة على بني آدم.

والدكتور شاهين يعلم ذلك جيدًا، ولكن تعصبه لرأيه المعروض في كتابه «أبي آدم» أنساه كل الضوابط اللغوية، وغير اللغوية.

◻ وبقى في هذا المبحث تحكّم آخر، مهد له بقوله:

«غير أن خلق زوج آدم من نفسه مشكل. فهل حواء من ضلع آدم، كما ورد بذلك آثار؟ أو أن حواء خلقت خلقًا مستقلاً ـ يعني من أب وأم ـ كما هو شأن آدم؟».

ثم يختار المؤلف الرأي الثاني كما أشرنا في المدخل، ونراه هنا يشير إلى حديث صحيح رواه الشيخان البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ، يقرر أن حواء خلقت من ضلع آدم بلا أب ولا أم، وهذا الحديث يتفق مع ظاهر المعنى في آيتي النساء والأعراف: ﴿وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا﴾ في النساء، ﴿وَجَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا﴾ في الأعراف.

لكن المؤلف يضرب بدلالة الآيتين والحديث عُرْض الحائط، ويتشبث بتأويلين لا وزن لهما، ولم تدع إليهما ضرورة شرعية أو عقلية أو لغوية؟

الأول: تأويل النفس في الآيتين بالنوع أو الجنس، أي خلق اللّه حواء من فصيلة آدم وجنسه، لا من جنس آخر.

والثاني: حمل الخلق من ضلع آدم على التمثيل والتشبيه والمعنى المراد منه الرمز إلى اعوعاج في طبع المرأة؟

◻ وإنما قلنا إن هذين التأويلين لا وزن لهما لسببين:

الأول: أن إبقاء المعنى على ظاهر المراد من الآيتين والحديث سائغ لا حرج فيه. والتأويل يُحتاج إليه حين يمنع من ظاهر الكلام مانع شرعي أو

عقلي، ولا مانع هنا قط.

الثاني: أن إجراء المعنى في الآيتين على الظاهر يتضمن أن حواء مخلوقة من جنس آدم وفصيلته وفي هذا تمام النعمة المراد وهو الامتنان بالخلق والجعل»[١] .

◻ ويقول الدكتور المطعني أيضًا: «يعلم القارئ قبل اطلاعه على كتاب «أبي آدم» للدكتور عبدالصبور شاهين أن البشر والإنسان لهما معنى واحد هو ابن آدم، أو أبناء آدم. ولا يعرف لهذا مخالف من سلف الأمة أو خلفها.

لكن الدكتور شاهين يفاجؤنا بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فجاء كتابه هذا ببدعة «العصر» وأعلن أن البشر غير الإنسان، وأن الأمة طوال خمسة عشر قرنًا من الزمان غفلت عن هذه الحقيقة، أو ضل عنها بصرها وزاغ»[٢] .

* **مشروع إنسان!!!**

◻ يقول د. عبدالصبور في كتابه «أبي آدم» ص(٨٨): «فقبل التسوية لم يكن المخلوق البشري إنسانًا، بل كان مشروع إنسان في حيز الفطرة قبل أن يكون إنسانًا في حيز القوة»؟!!.

◻ يقول الدكتور المطعني: «ولم يقتصر ذكر كلمة «مشروع، أو المشروع» في كلامه على هذا الموضع، بل ذكره مرات في كتابه «أبي آدم»، الدكتور شاهين ـ هنا ـ يغرق في الخيال أو الوهم بلا حدود، أو يرجم بالغيب بلا ضوابط.

---

(١)«أبي آدم» للمطعني ص(٢٧ ـ ٢٨).
(٢)المصدر السابق ص(٣٠).

ثم يغرق ويغرق مرة أخرى حين يكرر في كتابه أن هذا المشروع ظل تحت الرعاية الإلهية المكثفة ملايين السنين؟ يا سبحان اللَّه؟ ملايين السنين وهو مشروع إلهي؟ فلماذا هذا البطء يا دكتور؟ ألعجز في قدرة اللَّه، تعالى اللَّه عما نقول علوًّا كبيرًا؟ أم لحكمة غابت عن مدارك ذوي التبصير؟!!!»، ثم يأتي الدكتور المطعني بالآيات التي وردت فيها «كن فيكون»، ثم يقول: «هذه سبع آيات يخبر اللَّه فيها عن نفسه، بأن أداة الخلق والتكوين عنده هي كلمة «كن» فيكون ما قضى وأراد دون مسافة فاصلة بين صدور الأمر، ووقوع المأمور به».

❏ ثم يقول الدكتور المطعني ص(٣٩ ـ ٤٠): «نسألك يا سيادة الدكتور: خلق السموات والأرض وما بينهما أكبر وأظهر أم خلق الناس؟ أنت لا بد قائل في الجواب: بل خلق السموات والأرض وما بينهما أكبر وأظهر؛ لأن اللَّه عز وجل قال في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [غافر: ٥٧].

هذا الخلق الأكبر من خلق الناس خلقه اللَّه في ستة أيام كما جاء في القرآن مرات عديدات:

* ففي سورة الأعراف {٥٤} جاء قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...**﴾.

* وفي سورة السجدة {٤} قال عز وجل: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ..**﴾.

فإذا كان خلق السموات والأرض وما بينهما من أفلاك ونجوم وكواكب، هذا العمل الضخم الفخم ثم إنجازه بما فيه من دقائق وأسرار وإحكام في ستة

أيام، فكيف يقع الوهم أن مشروع تطوير «البشر» إلى «إنسان» استغرق ملايين السنين؟ ولو كان الأمر هكذا لذكر اللَّه تعالى بيانًا عنه كما ذكر مدة خلق الكون، ومراحل الأجنة في بطون أمهاتها».

* **دعوى الدكتور عبدالصبور شاهين بخلو المجتمع البشري من التكليف:**

□ يقول الدكتور المطعني ص(٥٥): «ومن غرائب مدعيات المؤلف، أنه بعد أن سلب عن مفهوم «البشر» كل وسائل الإحساس، وصورهم في أشكال ممسوخة لا تعرف لهم وجهًا من قفا، ولا بطنًا من ظهر، ادعى أنهم كانوا مهملين من جانب اللَّه، بل هم كالأنعام أو هم أضل:

فلم يكلفهم اللَّه بمعرفة ذاته، ولم يطالبهم بتوحيده، ولم يأمرهم بخير، ولم ينههم عن شر، ولِمَ لم يكونوا كذلك عند المؤلف وهم ـ عنده ـ صم بكم عمى، في صورة جماد متحرك، ولكن حركاته وسكناته همجية غشيمة ليس من ورائها قصد ولا إرادة؟!

وهذه الدعوى من المؤلف هي ـ كما يمثل الفلاسفة والمناطقة لكل أمر وهمي ـ القُبَّعة السوداء التي يُبحَثُ عنها في غرفة مظلمة لا وجود لها».

□ وفي هذه الدعوى يقول المؤلف: «ولأمر ما وجدنا القرآن لا يخاطب البشر، بل يخاطب الإنسان، والتكليف الديني منوط بصفة الإنسانية لا بصفة البشرية، فلم يعد للبشر وجود منذ ظهر آدم عليه السلام وتناسلت ذريته، وورث الأرض، وما عليها»[١] .

□ ثم يقول الدكتور المطعني: «إذن تعالى نحتكم إلى فيصل ما بين الحق والباطل والصواب والخطأ:

* ففي سورة آل عمران الآية (٧٩) يقول اللَّه جل شأنه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ

---

(١) «أبي آدم» للدكتور عبدالصبور ص(٩٨).

أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾. فقد وضع القرن أفراد البشر في هذه الآية موضعًا فوق درجة التكليف العام (العادي) الذي هو صفة لكل فرد منهم، ذلك الموضع (الفوق) هو:

ـ أن البشر صالحون لأن ينزل اللَّه على من يختار منهم وحيًا من عند اللَّه (الكتاب).

ـ أن البشر صالحون لأن يجعل اللَّه من يختار منهم ولي أمر أو حاكمًا عامًّا لشعب أو أمة (الحكم).

ـ أن البشر صالحون لأن يتخذ اللَّه منهم أنبياء (النبوة) وهذا فضل اللَّه في أُعلى درجاته يهبه اللَّه لمن يشاء من البشر.

*وفي سورة المدثر (٣١) يقول أحكم الحاكمين: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

*وفي السورة نفسها الآية (٣٦) يقول رب العالمين: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾.

فلو كان البشر غير مكلفين لما أنزل اللَّه عليهم وحيًا، وما جعلهم ساسة الناس على الأرض، وما بعث منهم رسولاً ولا نبيًّا، وما لفت أنظارهم مذكِّرًا لهم، وما أنذرهم بطشه وعقابه. أليس هذا هو التكليف بدرجاته العليا والدنيا يا دكتور عبدالصبور؟

□لو كنا نواجه غيرك لقلنا له: أم أن التكليف معنى آخر عندك لم يعلمه اللَّه، ولا رسوله، ولا صالحو المؤمنين؟

شيء واحد يزيل كل هذه التحكمات والمغالطات، هو أن تقرّ أن البشر والإنسان وصفان لموصوف واحد. إذا أقررت بهذا وقفت مع الأمة في صف واحد، وإن أصررت ـ ولا نخالك تصر وقفت وحدك في صف، ووقفت الأمة كلها وراء رسولها في صف واحد أمامك.

□ يا سيادة الدكتور: هل أنت ما تزال متمسكًا بقولك:

«أما الإنسان فلا يُطلق بمفهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عليه السلام، وآدم على هذا هو (أبو الإنسان) وليس (أبو البشر) ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله، تمهيدًا لظهور ذلك النسل الجديد»؟!![1] .

لقد غاليت وأسرفت في الادعاء يا سيادة الدكتور، وزاد من خطر مغالاتك استنادك فيها إلى القرآن الأمين، والقرآن بريء كل البراءة مما تنسب إليه. أما تخشى يا دكتور أن ينطبق عليك قول الحق عز وجل: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

إنهم كانوا يحرفون الألفاظ والمعاني، قاتلهم اللَّه، وأنت تحرِّف المعاني، وفي كلا التحريفيْن جرأة مذمومة وخيمة العواقب. ونحن ـ واللَّه ـ ما كنا نتوقّع صدور هذا عنك مع ما لك من جهاد في سبيل الدعوة، فهل هذا من باب «لكل جواد كبوة، ولكل حليم نبوة» أم من باب «من مأمنه يؤتى الحذِر»؟

□ إن الأمل كبير في أن يعلن الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين براءته من هذا «اللغو» وأن يسارع بإعدام كتابه «أبي آدم» لأن في بقاء نسبته إليك فضائح؟ أم ترى أنك مجتهد، والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر. لا يا دكتور، ليس هذا اجتهادًا، وإن كان الاجتهاد مع النص واقعًا في فهم النص إن كان احتمالي الدلالة أو احتمالي الثبوت.

لكن النص الذي حاولت الاجتهاد فيه نص قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، يعني إنه في «حصانة من التأويل» فيجب التسليم بظاهر معانيه،

---

(١) «أبي آدم» لعبدالصبور ص(٩٨).

وبخاصة أن هذه القضية التي تناولتها في كتابك «أبي آدم» فوق أن نصوصها معصومة من التأويل، فإن لها محصنًا ثانيًا، وهو إجماع الأمة على التسليم بظواهر معانيها، فهل تسمح لنفسك استمراء الاعتداء على حرمة النص المقدّس، وإهدار إجماع الأمة ـ خاصتهم وعامتهم ـ القائم عليها.

إنه لمن أصعب الصعوبات علينا أن نراك منفردًا عن الأمة فتشمت فيك أعداءك إياهم وما أكثرهم؟ وما ألأمهم؟ وما أغدرهم؟ وما أخسّهم؟»[1] .

وفي مقدمة هذه الأمة ـ بعد رسولها الكريم ـ أصحابه الكرام البررة، الذين قال فيهم علاَّم الغيوب: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح: ٢٩].

هؤلاء الذين أثنى اللَّه عليهم في هاتين الآيتين من آل عمران والفتح، وفي غيرهما من آيات كتاب اللَّه العزيز، في مقدمة من قسا عليهم المؤلف في الحكم وجار، ورماهم بالسذاجة والبله والبهلولية. درى الدكتور أو لم يدر؛ لأنه وهو يرسل هذه الأحكام ـ جزافًا ـ وبلا ضوابط أو معايير، ما كان يقيم وزنًا لمفهوم اللفظ بل قصر ذهنه على «منطوق اللفظ». والإنسان قد يقع في بحور من الإثم بإهماله مراعاة «مفهوم اللفظ» والدكتور على دراية بالمعاني التي تستفاد من دلالات الألفاظ والتراكيب سواء كانت تلك الدلالات قريبة أو بعيدة.

□ وننقل للقراء هذه الفقرة من كلامه بالألفاظ والتراكيب التي خطها هو

---

(١) «أبي آدم» للمطعني ص(٥٥ ـ ٥٨).

بقلمه: «ومعنى هذا أن خلق الإنسان تم عبر ثلاث مراحل هائلة، هي (الخلق، والتسوية، والنفخ).

«ومن السذاجة أن نفسر هذا النفخ بأنه بث الروح في الجسد؟! فقد حدث ذلك في مرحلة «الخلق» الأولى، التي أحالت التراب أو الطين إلى مخلوق ظاهر (بشر) يتحرك على الأرض بالروح الحيواني، كما يتحرك سائر الكائنات من (حشرات)[1] وطير، وحيوان»[2] ؟!

❑ قف أمام قوله: «ومن السذاجة أن نفسر هذا النفخ بأنه بعث الروح في الجسد»؟!

المؤلف يقصد النفخ في قوله اللَّه عز وجل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ هذا النفخ عند المؤلف نفخ من نوع خاص سيأتي ذكره بعد قليل أما عند الأمة - بدءاً من رسولها الكريم، وأصحابه البررة، والذين اتبعوهم بإحسان، إلى يومنا هذا فإن المراد بنفخ روحٍ من اللَّه في ذلك البشر الأول (آدم) هو النفخ الذي صار به «الجماد» إنسانًا ارجع إلى أحاديث رسول اللَّه كلها فلا تجد فيها ما يخالف هذا الفهم، ثم إلى تفاسير علماء الأمة لكتاب اللَّه العزيز، وكتب السيرة والتاريخ وكل مصادر المعرفة الإسلامية، فأنت غير واجد فيها ما يخالف هذا المعنى البدهي.

فإذا بحثت عن من وصفهم المؤلف بالسذاجة في عبارته المذكورة لم تبصر أمامك إلا أمة الإسلام لم يتخلف منها أحد. أفلست معي - إذن - بأن سيادة الدكتور قد وصف كل أفراد الأمة بالسذاجة والبله والبهلولية؟!

وهل هذا الاتهام الآثم عندك - أيها القارئ - هين أم عظيم؟ إن هذا

---

(١) هي في الأصل (حشر) وكتبناها هكذا (حشرات) جريًا على العرف اللغوي السائد.

(٢) «أبي آدم» ص(١٠٥).

التفسير للنفخ عند المؤلف تفسير بدعي شنيع، ولا نملك إلا أن نرده على القائل به مهما كان حظه من الثقافة والمعرفة. وإذا استقصينا استعمال القرآن لهذا النفخ وجدناه في كل مواضع وروده يحيل الجماد أو الأموات أحياء، إما ببعث الروح في الجسد لأول مرة. وإما لإعادة الحياة إليها بعد الموت، كما هو الشأن في البعث العام يوم القيامة. وليس فيه موضع واحد أريد به المعنى البدعي الذي انفرد به المؤلف ووصف مخالفيه فيه بالبله.

* معنى النفخ عنده:

بقي أن نعرف معنى النفخ عند الأستاذ الدكتور، ولكن قبل بيان معنى النفخ عنده، نذكر بمعنى التسوية التي سبقته في الآية ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ إنها عنده هي مهمة المشروع الإلهي لتهجين البشر عبر ملايين السنين ـ تحت المراقبة الإلهية الدقيقة ـ أمكن من خلالها نجاح ذلك المشروع المدهش فصار البشر إنسانًا، ودخل بوّابة الزمان بحضوره وحضارته هكذا قال؟!

هذا هو معنى التسوية، كرره في كتابه «أبي آدم» مرّات عديدات.

وقد شبّه المؤلف هذه التسوية بالهندسة «المعمارية» هندسة البناء وتجميله ومن الطريف أن المؤلف يسمى التسوية الإلهية: الهندسة المادية الظاهرية، وقد استغرق ملايين السنين؟!

أما النفخ عنده ـ فهو كما يقول: «ثم جاءت المرحلة الثالثة للهندسة الداخلية، وهي المتمثلة في تزويد المخلوق السوّي بالملكات والقدرات العليا، التي جوهرها العقل؟ والحياة الاجتماعية ثمرة العقل، واللغة وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع من العقلاء.

وبذلك اكتمل مشروع بناء الإنسان، فكان آدم هو أول «إنسان» وطليعة

سلالة التكليف بتوحيد اللَّه وعبادته»[١] .

يعني: أن نفخ الروح في الآية كان بشق السمع والبصر وتركيب جهاز العقل فيه»!!![٢] .

* مصدر الأمة في نشأة الإنسانية :

من البواعث التي دعت المؤلف إلى تأليف كتابه «أبي آدم» حماية الأمة من التصديق بالروايات الإسرائيلية في نشأة الحياة الإنسانية على الأرض وإيجاد صيغة توفق بين القرآن والعقل والعلم فيها.

وقلنا آنفًا أنه لا منافرة بين القرآن والعقل والعلم في هذه القضية: لأنها قضية غيبية من اختصاص الوحي الصادق والقرآن لم يأت فيها بما يثير العلم، أو يغضب العقل، وعلى العقل والعلم أن يجثوا على الركب أما صوت الوحي لا في قصة آدم وحدها، بل في كل مسائل الغيب، أو أمام يسمى بما وراء الطبيعة. فإن اصطنع علم عالم أو عقل عاقل خصومة مع الوحي في هذه الأمور فإنما يرجع ذلك إلى جهل العلم، وجنون العقل، ورحم اللَّه كل شيء عرف قدر نفسه.

ونقول هنا: إننا نختلف مع سيادة الدكتور كل الاختلاف في دعواه أن الأمة استقت عقيدتها في نشأة الحياة الإنسانية من الروايات الإسرائيلية الباطلة، كلا يا سيادة الدكتور: لأن الأمة لم تخرج قيد أنملة عن وحي ربها، وكفاها القرآن هاديًا وموجهًا، وما جاء به القرآن حول هذه القضية واضح كل الوضوح، كامل كل الكمال.

فلا الأحافير التاريخية ولا الروايات الإسرائيلية هي التي لقنتها عقيدتها

---

(١)«أبي آدم» لشاهين ص(١٠٥).

(٢)«أبي آدم» للمطعني ص(٦٩ ـ ٧٢).

في نشأة الحياة الإنسانية، وإنما هاديها هو القرآن في ماضيها وحاضرها ومستقبلها بإذن اللَّه.

ولم تتأثر كل التفاسير بالروايات الإسرائيلية. بل القليل منها، وأنت تعلم أن التفسير غير المفسَّر (اسم مفعول)؟ فرنين الآيات في الآذان، وأثرها في القلوب يمحو تلك الأساطير من النفس، وإن ظلت أسطراً سوداء على الورق. وسل - إن شئت - أي مسلمٍ عن قصة آدم فلن تجد على لسانه إلا ما جاء به القرآن مالئًا كل قلب مسيطراً على كل نفس.. وأما الزبد فيذهب جفاء كما قال عز وجل، والإسرائيليات - عمومًا - نهض جيش عرموم من العلماء الأقدمين والمحدثين، وتتبعوها أثرًا أثرًا، وخبراً خبراً في شتى مصادر الفكر الإسلامي: في كتب التفسير وفي كتب الحديث، وفي كتب السيرة والتاريخ، ونبهوا عليها، وحذروا منها. وهي في كتب التفسير هين أمرها، أما في كتب الحديث فإن البلاء بها عم وطم، وهذا ما دعا الأقدمين من التصدي لها، فوضعوا تاريخ الرواة وصنفوهم أصنافًا كثيرة ونصوا على من تقبل روايته ومن ترد روايته، وجمعوا الأحاديث الموضوعة في مجلدات شتى ورتبوها ترتيبًا منهجيًا رائعًا، وأمام هذه الأعمال المجيدة، يسهل التمييز بين الحق والباطل والغث والسمين ولا يخشى على الأمة بعد هذا من ضلال، لكن بقيت كتب بعينها وضعها مؤلفوها بحسن نية أو بسوء نية، يحشو أدعياء الدعوة عقولهم بها في مادة وعظهم وخطبهم ودروسهم، ولو أن الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين أنفق من الخمسة والعشرين عامًا، التي أنفقها في هذا الكتاب «أبي آدم» لو أنفق خمسة أعوام منها في إحصاء تلك الكتب الضالة المضلة، وكتب تقريرات عنها، ونشرها في كتاب ليحذر منها أو طالب بجمعها من على الأرصفة وإعدامها، لقدم للدعوة أجل عمل، بدلاً من شَغْل نفسه بموضوع العلم به لا ينفع، والجهل به لا يضر.

وآخر ما نذكّر به أن هذا الكتاب «أبي آدم» من أوله إلى آخره، إنما هو مجموعة من أخبار مسندة إلى اللَّه، أي أن المؤلف يسوق أحداثًا ليس لها في الوجود فاعل لو كانت صوابًا، إلا اللَّه عز وجل:

فاللَّه هو الذي خلق آدم الأول (؟!) واللَّه الذي خلق ذرية آدم الأول، بلا سمع ولا بصر ولا عقل، وجعلهم يتناسلون عبر ملايين السنين، واللَّه الذي أهملهم وحرمهم من النور والهدى فلم يرسل إليهم رسولاً، ولم يعرِّفهم بالتوحيد، ولم يطلب منهم عبادة، واللَّه هو الذي أبادهم وطهر الأرض منهم، وأحل آدم الثاني وزوجه وذريته محلهم.

واللَّه الذي خلق آدم الأول من تراب، أمَّا آدم الثاني فقد خلقه من صلب أب، وترائب أم، إن له والدًا ووالدة، وحواء لم تخلق من ضلع آدم، بل لها أب وأم كذلك.

إن هذه كلها أخبار تروى عن اللَّه في كتاب «أبي آدم» وتسند إليه على لسان الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين، فما هي المصادر التي استقى منها هذه الحقائق، التي غابت عن فكر الإنسانية جمعاء؟ وإذا كان الإسلامُ يُجرِّمُ من يتحدث عن لسان الرسول بغير سند، ويمنع الرواية عنه بغير دليل، فما بالنا بإسناد وقائع خطيرة إلى اللَّه، بغير ما أخبر اللَّه به عن نفسه، ولا أخبر بها عنه رسوله؟ هذا ما نريد من المؤلف تدبره، وإنعام النظر فيه، ثم اتخاذ القرار المناسب نحوه فإن الأمر جد خطير.

ونذكر الداعية الكبير بقول اللَّه تعالى، وهو يتوعد الذين خاضوا في أمرٍ غيبي، ليس لهم به علم، فوصف اللَّه خوضهم هذا بأنه «شهادة زور، وأنه سوف يسألهم عنها يوم القيامة، وذلك في سورة الزخرف.

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾.

إنهم شهدوا شهادة زور واحدة.. وأنت شهدت ـ مجتهداً ـ عشرات الشهادات. فماذا أنت فاعل حين يقول اللَّه لك: أشهدت خلقهم يا عبدالصبور؟!

والأمر للَّه من قبل ومن بعد.. وعلى اللَّه قصد السبيل.

نداء: **«من كل قلوبنا ننادي الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين أن يعود إلى حظيرة الأمة في فهمها لقصة آدم؛ لأن خطو الأفراد نحو الأمة مقبلين عليها، أخف من خطو الأمة نحو الأفراد مقبلة عليهم؛ لأن الأمة هي الأصل. ومن نأى عن أصله اغترب. ومن عاد إلى أصله اقترب. ولا يأكل الذئب من الغنم إلا القاصية».**

عزيزنا الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين: ما كان أحوجنا نحن وأنت، إلى غير هذا منك، وإلى غير هذا منا. وفقنا اللَّه وإياك إلى ما يرضيه، ويرضي رسوله، وصالحي المؤمنين، وسلام على عباده الذين اصطفى والحمد للَّه رب العالمين»[1].

* رئيس قسم السموم بجامعة القاهرة الدكتور إسماعيل منصور يبث سمومه في الأمة فيتصدى له الرجال:

الدكتور إسماعيل منصور رئيس قسم الطب الشرعي والسموم بجامعة القاهرة والخطيب بمسجده بمنطقة الإمام الشافعي بعد انتقاله من المنصورة حيث كان يخطب بمساجد الجمعية الشرعية، ثم أخرج سمومه للناس من خلال كتبه «تذكير الأصحاب بتحريم النقاب»، وكتاب «شفاء الصدر بنفي عذاب القبر»، وكتاب «تبصير الأمة بحقيقة السنّة»، وهو يرى أن تدوين الحديث بدعة ضالة أحلّت بالأمة، وكتب السم بقلمه: نجمع صحاح البخاري ومسلم

---

(١) «أبي آدم» للمطعني ص(١٥٨ ـ ١٦٠).

وسنن الترمذي وأبي داود وابن حبان وابن ماجه ومسند أحمد والدارمي وابن خزيمة والنسائي والدارقطني على الترتيب ثم نرمي بها في محرقة الباطل.

وعلى دربه يسير الدكتور محمد بن الشيخ عبداللطيف مشتهري، وقد كان والده داعية فذًّا فإذا بالابن العاق الضال يسوّد الصفحات طعنًا في السنة الصحيحة عامله اللَّه بما يستحق.

* أخي: عش مع الحديث تفز.. ودر معه حيث دار.. اقصد النهر وخلّ القنوات.. إذا جاء نهر رسول اللَّه ﷺ بطل نهر معقل «فحكمة اللَّه مطويّة فيما يأمر به على ألسنة رسله، وليست مما يسنبطه ذو العلم بعلمه، ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله، ولو كان من عند غير اللَّه لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا» كما يقول ابن الأثير الأديب.

* أخي: إن هذه الأقلام التي حادت عن سواء السبيل وتنكبت الصراط المستقيم وأنكرت وردت الأحاديث الصحاح بهواها حسابها شديد عند ربها ومولاها.

لا بُورِكت تلك الأكفُّ فإنها ... ضربتْ على الآذان سدًّا عاتيا
حجبت صديع[1] الرشد عنها فارتمت ... تجتاب ليل الغيِّ أسفع داجيا
بعثوا الصحائف يلتوين كأنما ... بعثوا بهنّ عقاربًا وأفاعيا
صحف يَزِلُّ الصدق عن صفحاتها ... ويظلُّ جدّ القول عنها نابيا[2]

* * *

(١) الصديع: الصبح.

(٢) انظر «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين (١/ ٢٢٠).



فهرس الموضوعات



الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *